

International Islamic
University
Islamabad – Pakistan
Faculty of Arabic
Department of Linguistics



الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد – باكستان
كلية اللغة العربية
قسم اللغويات

أدوات الاستفهام ودلالاتها في "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي

[٥٤٨١هـ - ٥٥٤١هـ]

(الثلث الأول من القرآن الكريم)

دراسة تحليلية نحوية دلالية إحصائية

(رسالة تكميلية لنيل درجة الدكتوراه في اللغويات)

تحت الإشراف

الدكتور حافظ محمد بشير (حفظه الله)

(الأستاذ في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد)

إعداد الطالبة

أفشان قاسم

رقم التسجيل: ١٧/FA/PhD/F-١٩٣



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي المصطفى وآله وصحبه أجمعين.
وبعد:

فإن أجل العلوم قدرا وأعظمها مكانة هي التي تتعلق بالقرآن الكريم الذي جعله الله كتابا في لوح محفوظ ثم أنزله على نبيه الحبيب - مُحَمَّدٌ ﷺ - منجما منجما مؤيدا إياه، ومتحديا للمعتزين بفصاحتهم وبلاغتهم بأنهم ما استطاعوا، ولن يستطيعوا أن يأتوا بكتاب أو جملة أو كلمة مثله بحجة ألا يأتيه الباطل من أمامه، ولا رصد من خلفه لكونه كتابا لله - جل وعلا - الذي قال: **وإننا له لحافظون**^١. والنحو العربي باتفاق علماء الأمة له مكانة سامية ومنزلة مرموقة بين وسائل العلوم القرآنية التي تساعد على فهم المعنى الكامن والمراد المضمّر في النص القرآني، والاطلاع على خفايا الآيات وكُنْهها حتى اعتنى به العلماء عناية وعلموا أنه أساس تفسير القرآن الكريم، فاعتمدوه اعتمادا كلياً في بناء المعنى واستنباط الدلالة واستخراج المعنى المقصود. قال الإمام عبد القاهر الجرجاني عن علاقة النحو بالنظم القرآني عند الحديث عن زهد الناس في النحو واحتقارهم له: "وأما زهدهم في النحو واحتقارهم له، وإصغارهم أمره، وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم، وأشبه بأن يكون صدا عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه. ذاك لأنهم لا يجدون بدا من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها"^٢. فاتضح مما سبق من قول الإمام الجرجاني أن النحو له علاقة رصينة بإعطاء المعنى ومعنى المعنى بل الوصول إلى المقصود من الكلام. والإمام عبد القاهر الجرجاني نفسه هو الذي قسم المعنى إلى نوعين أساسيين: المعنى ومعنى المعنى. قصد بالأول المعنى القاموسي والدلالة المعجمية، بينما قصد بالآخر المعنى المقامي والحالي والدلالي الذي يضمه المتكلم عند التلفظ والكاتب عند الكتابة، أما القارئ فيفهم ذاك المعنى السياقي

^١ - الحجر الآية ٩

^٢ - كتاب دلائل الإعجاز "عبد القاهر بن عبد الرحمن بن مُجَدِّد الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود مُجَدِّد شاکر، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م، ص ٢٨.

(الثاني) من خلال تعرضه لجانبي السياق: اللغوي وغير اللغوي فيقوم بتشريح الكلام في إضاءة السياقات المحيطة بالكلام ليصل إلى ما هو مقصود لدى صاحبه.

وقد وقع اختياري على موضوع "أدوات الاستفهام ودلالاتها في تفسير "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي - دراسة تحليلية نحوية إحصائية" بحثا لنيل درجة الدكتوراه؛ وبيان ذلك في النقاط الآتية:

التعريف بالموضوع وأهميته:

إن الجملة في العربية على قسمين رئيسين: الجملة الخبرية والجملة الإنشائية، أما الإنشائية فهي ما لا يهتم الصدق والكذب، وهي تنقسم إلى نوعين: الإنشاء الطلبي والإنشاء غير الطلبي. أما الطلبي فهو ما يقتضي مطلوبا وهو غير محمول عليه عند الطلب، وهو على خمسة أنواع آتية: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني والنداء. أما غير الطلبي فيقصد به ما لا يستدعي مطلوبا عند الطلب أي: أن حصوله غير مرتبط بالطلب. وله ستة أنواع على النحو الآتي: المدح، والذم، والقسم، والتعجب، والرجاء، وصيغ العقود.

أما موضوع هذه الرسالة فهو متعلق بدراسة النوع الثالث من الإنشاء الطلبي، وهو الاستفهام ومعانيه في القرآن الكريم في ضوء تفسير "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي.

أدوات الاستفهام، معانيها وأغراضها:

الهمزة، هل، ما، متى، من، أيان، كيف، أين، أنى، كم، أي.

الهمزة: للتصور والتصديق.

هل: للتصديق فقط.

ما: يستفهم بها عن غير العاقل لإيضاح الاسم وشرحه.

متى: يستفهم بها عن الزمان في الماضي والمستقبل.

من: يستفهم بها عن العاقل.

أيان: يستفهم بها عن الزمان المستقبل، وتكون في مقام التفخيم والتهويل.

كيف: يستفهم بها عن الحال.

أين: يستفهم بها عن المكان.

أنى: يستفهم بها عن معان عدة، بمعنى (كيف)، وبمعنى (من أين)، وبمعنى (متى).

كم: يستفهم بها عن تعيين العدد.

أي: يستفهم بها عن تعيين أحد المتشاركين بحسب ما تضاف إليه.

المعاني (الأغراض) الأخرى للاستفهام:

قد يخرج الاستفهام عن المعاني الأولية للدلالة على معان أخرى، وهي تكون مفهومة من خلال سياق الكلام، مثل: النفي، والإنكار، والتوبيخ، والتقرير، والتعظيم، والتحقير، والتشويق، والتعجب، والأمر، والتمني، والتسوية، والاستبطاء، والفخر، والاستبعاد، والتحسر والتوجع، والتقرير، والتهكم والاستهزاء، والتذكير والاعتاظ، والتخويف والإنذار، وغيرها من المعاني العديدة.

وردت أدوات الاستفهام في النظم القرآني بكثرة، وجاءت لمعان عدة، اختلفت آراء المفسرين حولها، فمنهم من حملها على معنى بما لديهم من محجة، والآخرون حملوها على معنى آخر بما لديهم من محجة أخرى، وبذلك تتنوع دلالات أدوات الاستفهام بناء على استعمالاتها العديدة المنوطة بالسياقات المتنوعة: اللغوية وغير اللغوية.

فالدراسة التي أتعرض لها خلال موضوعي المختار ترتبط بدقائق أدوات الاستفهام القرآنية ومعانيها ودلالاتها وهي معاني معانيها من منظور تحليل موارد وقوع تلك الأدوات ومواطنها وما يدور في محيطها نحو وإعرابا ثم سياقاً ودلالة، فأدرس دراسة وافية لمعاني كل أداة من أدوات الاستفهام في ضوء تفسير المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز وأحللها تحليلاً نحويًا ودلاليًا. وأدرس - إضافة إلى ما تقدم - مذهب ابن عطية الأندلسي ووجهة نظره في حمل تلك الأدوات على المعاني المخصوصة لديه، فخالف بذلك سائر المفسرين أو بعضهم.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت هذا الموضوع لأسباب آتية:

١- هذا الموضوع يتعلق بالقرآن الكريم الذي يُعدُّ باتفاق الجميع أساس اللغة العربية الفصحى، والنحو هو المعيار الأول لتلك العربية القرآنية بل يحسب القرآن الكريم أحد مصادر النحو العربي ولاسيما العربية الفصيحة البليغة المتعارفة لدى الناطقين وغير الناطقين بها. والدلالات الناجمة من الجمل والعبارات وال فقرات والكلام هي تميز وتفاضل فيما بينها على أساس تفاوت مستويات العلاقة النحوية قوة وضعفا ومتانة ورصانة. وهذا ما جعلني أن أدرس موضوعا أحلله تحليلا نحويا ودلاليا في هذه المرحلة العلمية من الدراسة.

٢- تُعْتَبَرُ التفاسير مصادر تطبيقية للعلوم القرآنية، فكل وسيلة من وسائل اللغة العربية يُرَجَّعُ في إفادتها إلى القرآن الكريم لِيُنْظَرَ في ضوء تلك العملية التشريحية مدى إيجابية صلاحيتها وسليبتها في إفادة المعنى وأداء المقصود. فالنحو أحد أنبل العلوم العربية وأعلاها حيث يؤدي إلى الاطلاع على المعاني الثانوية للكلام والمعرفة بالدلالات الغامضة فالكامنة في الجمل التي يستعصي على الدارس العاجز عن الوصول إلى كُنْهِ الجملة وذاتها - أن يفهمها فهما صحيحا ودقيقا.

وهذا ما كنت أود معرفته بطريقة عملية مطبَّقة، فاخترت - نظرا إلى ذلك - تفسير "المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي؛ لكونه منهلا لتلك المعاني الثانوية التي صرح بها ابن عطية عند تحليل الآيات تحليلا نحويا فدلاليا، ثم قمت باختيار إحدى الأدوات النحوية التي لها علاقة قوية بالمعنى الأول (الظاهر) والمعنى الثاني (الباطن أو غير الصريح)، فوقع اختياري على دراسة المعاني الثانوية لأدوات الاستفهام.

٣- لم يدرس أحدٌ قَبْلُ هذا الموضوعَ في تفسير "المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، فوقع اختياري عليه لأنه صالح للدراسة، وهو تفسير يمثل دائرة معارف لتفسير كلام الله تعالى، لأن تفسير "المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" من التفاسير الهامة في مجال علم التفسير، وللمفسر مجهود كبير في إثراء المباحث اللغوية والنحوية والدلالية وتطبيقاتها في إضفاء أوجه

الدلالات المتعددة والمتنوعة، وذلك لما تميز به المفسر بشمولية النظر وعمقها وميلها إلى أصالة المعالجة والأخذ الوفير من الأقدمين في استخراج الفوائد واستنتاج الفرائد.

٤- إن الاستفهامات وردت بكثرة في القرآن الكريم، وجاء ابن عطية الأندلسي بالمحتملات العديدة لكل أداة ولكل مرة، ولم يعد أحد يستوفي هذا الجانب أو يدرسه دراسة نحوية تحليلية دلالية. لذلك اخترت هذا التفسير لمكانته الملموسة وتعرضه للمادة بشكل لصيق.

اخترت هذا الموضوع من أجل هذه الأسباب وهي مجرد نقاط لعلها تفتح آفاق الدراسة للدارسين القادمين في هذا المجال.

حدود الرسالة:

هذه الدراسة تقتصر على الثلث الأول من القرآن الكريم في تفسير "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي. لأن أدوات الاستفهام ومعانيها كثيرة ودلالاتها عديدة، والدراسة سيكون لها جانبان:

- الجانب النحوي.
- الجانب الدلالي.

نظرا لكثافة الموضوع ودقته اخترت الثلث الأول من تفسير "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، وله عدة مجلدات، وحسب طبعة محققة عن نسخة "رصد ومتابعة للردود حول تعليق" أيا صوفيا - استانبول رقم (١١٩) المحفوظة صورتها في مكتبة مرعشي نجفي - قم.

الدراسات السابقة:

١- ابن عطية و منهجه في تفسير المحرر الوجيز، (التفسير وعلوم القرآن)

إعداد: إسلام فرح الخليفة سليمان، الناشر: الجامعة الخرطوم كلية الدراسات العليا قسم الدراسات الإسلامية ٢٠٠٧م.

تناول الباحث في هذا المؤلف منهج ابن عطية في تفسيره المحرّر الوجيز وتبين أنه كيف قام بتفسير آي القرآن الكريم وهل اعتمد التفسير بالمأثور أو غيره وهل طبق في تفسير الآيات حججا عقلانية بحتة أم اتبع تباعا خالصا لما جاء في السنة الشريفة.

- ٢- المحاكمة بين المفسرين أبي حيان وابن عطية ومحمود الزمخشري
لأبي زكريا يحيى بن مُحمَّد الشاوي؛ تحقيق ناجي بن مُحمَّد بن حسين بن عبد الجليل، إشراف
الأطروحة: مُحمَّد بن حمود الدعجاني. الطبع: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة السعودية ١٩٩٩م.
تعرض الباحث في هذا المؤلف لإجراء المحاكمة بين المفسرين المختارين لديه وهم ثلاثة: أبو حيان
وابن عطية والزمخشري، فقام بالمقارنة بين هؤلاء الثلاثة وحاول الوصول إلى أن أيا منهم اعتمد
التفسير بالمعقول أو المنقول كثيرا.
- ٣- الظواهر الصوتية في كتاب "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الغرناطي في
ضوء علم اللغة الحديث
إعداد: عبد القادر سيلا، إشراف الأطروحة: فوزي يوسف الهابط، الناشر: الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة السعودية ٢٠٠١م.
درس الباحث في هذا المؤلف الظواهر الصوتية عند ابن عطية الأندلسي في تفسيره المحرر الوجيز
واستقطب نظر القارئ إلى تلك الظواهر بخلق الارتباط والصلة بينها وبين علم اللغة الحديث،
فحاول معرفة كنه تلك الظواهر في أضواء مقتضيات علم اللغة الحديث.
- ٤- ترجيحات ابن عطية في تفسيره من أول الكتاب إلى نهاية سورة البقرة: عرضا ودراسة
إعداد: عبد العزيز بن مُحمَّد بن عبد العزيز الخليفة، إشراف عبد السميع مُحمَّد حسنين،
الطبع: جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين السعودية ٢٠٠٠م.
ذكر الباحث في هذا المؤلف الترجيحات في المعطيات الدلالية عند ابن عطية في سورتي الفاتحة
والبقرة حيث وجد أن المفسر طالما وافق وقلما خالف الآخرين من المفسرين في تأويلات المعاني
الواردة في القرآن الكريم.
- ٥- مواقف النحاة من القراءات القرآنية من خلال تفسير ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في
تفسير الكتاب العزيز
تأليف: ياسين جاسم المحيمد، الطبع: دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٩٩٩م.

تناول الباحث في هذا المؤلف آراء نحوية مبنية على القراءات القرآنية في ضوء تفسير المحرّر الوجيز.

٦- اعتراضات السمين الحلبي النحوية والصرفية في كتابه الدر المصون على ابن عطية الأندلسي في كتابه المحرر الوجيز: دراسة ونقدا

إعداد: خديجة بنت إبراهيم بن محمد الفقيه، إشراف دياب فارس ديب
درست الباحثة في هذا المؤلف ما وجّه الحلبي من الاعتراضات إلى ابن عطية فيما جاء لديه في تفسيره المحرّر الوجيز، فدرسها دراسة نقدية ٢٠١٥.

٧- المسائل النحوية في المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي: من أول آل عمران إلى آخر الأعراف

إعداد: سهية بنت مقبل بن محمد الشلوي، إشراف محمد الزين زروق، الطبع: الجامعة الرثاسة العامة لتعليم البنات السعودية ١٩٩٨م.
جمعت الباحثة في هذا المؤلف المسائل النحوية في تفسير ابن عطية المحرّر الوجيز من جزء مخصص (آل عمران إلى آخر الأعراف)، استخرجت تلك القواعد النحوية الواردة عند ابن عطية في ثنايا تفسيراته للآي القرآنية الواردة في هاتين السورتين.

٨- ترجيحات ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز - عرضا ودراسة تطبيقية - من سورة التحريم إلى نهاية سورة المرسلات

إعداد: عائشة بنت مشاري النعيم، إشراف هدى بنت دليجان الدليجان، الطبع: جامعة الملك فيصل كلية الآداب السعودية ٢٠٠٠م.
حاولت الباحثة في هذا المؤلف أن تدرس قضية ترجيحات في مسائل الإعراب والفقهاء والشرع في جزء مخصص من سورة التحريم إلى نهاية سورة المرسلات.

٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام الجليل والعالم البارع أبي مُحمَّد عبدالحق بن عطية الأندلسي من بداية تفسير سورة الأنعام إلى نهاية تفسير الآية ١٥٩ من سورة الأعراف : دراسة وتحقيقاً

إشراف وتحقيق: علي بن سليمان بن عبيد العبيد، وأحمد بن عبد الله بن أحمد الحصيني، الطبع: دارالتدمرية الرياض المملكة العربية السعودية ٢٠١٢م.

قام الباحثان في هذا المؤلَّف أن يدرس المحرَّر الوجيز من سورة الأنعام إلى نهاية سورة الأعراف ويعرض عرضاً نقدياً لما جاء به ابن عطية في هذا الجزء المخصص.

١٠- التوجيهات الإعرابية في تفسير "المحرر الوجيز" لابن عطية - عرضاً ودراسة

إعداد: أسامة بن مُحمَّد موسى عبد الرزاق، الطبع: جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا ٢٠١٩م. درس هذا الباحث في هذا المؤلَّف ما يتعلق بالتوجيهات الإعرابية في تفسير المحرَّر الوجيز. واقتصر على تبينها والاستدلال عليها عند ابن عطية.

هذه الدراسات وأشباهها التي قامت حول تفسير "المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي دليل بيِّنٌ على مكانة آراء ابن عطية في بناء المعنى القرآني، وهي من إعداد عدة باحثين ودارسين ومؤلفين فهم تناولوا العديد من المعاني النحوية والفقهية والشرعية وغيرها، وجاءوا بالكثير من التعليقات والتحليلات في ضوء ما ذهب إليه ابن عطية الأندلسي، رغم هذه الكثرة والوفرة في الدراسات التي تتعلق بتفسير "المحرَّر الوجيز" فما وجدت أي دراسة - وإن مثلَّ جزءاً ضئيلاً من الموضوع المختار - حول استخراج المعاني الأولية والثانوية لأدوات الاستفهام الواردة في تفسير "المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".

وبذلك تختلف دراستي عن الدراسات السابقة كلها حيث أقوم بالبحث عن دراسة دور أدوات الاستفهام في أداء المعنى وإضفاء المعنى على المعنى مع استيفاء الدلالات الناجمة عن السياقات الواردة فيها تلك الأدوات. وهذا ما يجعل العمل الذي أقوم بدراسته يختلف عما سبق من منظور الاستيعاب والتحليل والإحصاء والدلالة وجمع المعاني الثانوية وتعليقاتها اللغوية لدى ابن عطية الأندلسي في تفسيره "المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".

إشكالية الرسالة:

ثمة أسئلة تأتي إلى ذهن القارئ عند القراءة في تفسير "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي، ومن أهمها ما يأتي:

- ١- هل استوفى ابن عطية الأندلسي المعاني المحتملة لأدوات الاستفهام الواردة في القرآن الكريم؟
 - ٢- هل فضّل ابن عطية الأندلسي بعض المعاني على بعضها الآخر؟
 - ٣- هل هناك من المعاني الجديدة لأدوات الاستفهام الواردة في القرآن الكريم في رأي ابن عطية الأندلسي التي لم يتعرض لها الآخرون من المفسرين؟
 - ٤- هل أضفى ابن عطية الأندلسي المعاني الجديدة على المعاني القديمة المعروفة والمدروسة لأدوات الاستفهام في القرآن الكريم عند المفسرين؟
- هذه الأسئلة وأشباهاها هي التي باتت إشكالية البحث والدراسة، وستكون هذه الرسالة مجيبة عنها بالتفصيل في حدود الثلث الأول من القرآن الكريم في ضوء تفسير "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".

منهج الرسالة:

أتبع في دراسة هذا الموضوع المنهج التحليلي:

المنهج النحوي
المنهج الدلالي

أولاً: أحلل محل الاستشهاد في الآية التي جاءت في تفسير "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي تحليلاً نحويًا لأصل إلى المبتغى وهو الدلالة المقصودة وغير المقصودة والمختار عند المفسر.

ثانياً: أذكر أحد معاني الاستفهام الوارد في القرآن الكريم مثل: التشويق، ثم أردفه من الثلث الأول من تفسيره بالآيات التي حمل فيها ابن عطية الأندلسي أداة الاستفهام على ذلك المعنى المذكور أعلاه. إذا اختلف في التعليل فأفصل وأشرح، وإذا لم يختلف فأذكره دون تعليق.

خطة الرسالة

ستتابع الرسالة مسيرتها على الخطوات الآتية:

المقدمة:

التمهيد:

يشتمل التمهيد على النقاط الآتية:

- لمحة موجزة عن حياة ابن عطية الأندلسي
- المنزاع النحوي لابن عطية في تفسيره "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".
- مكانة تفسير "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي.

الباب الأول

المعاني الصريحة لأدوات الاستفهام في الثلث الأول من تفسير "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب

العزيز"

الفصل الأول: المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام

الفصل الثاني: المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام

الباب الثاني

المعاني غير الصريحة لأدوات الاستفهام في الثلث الأول من تفسير "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب

العزيز"

الفصل الأول: المعاني اللغوية غير الصريحة لأدوات الاستفهام

الفصل الثاني: المعاني الدلالية غير الصريحة لأدوات الاستفهام

الباب الثالث

ترجيحات ابن عطية الأندلسي في تفسيره "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"

الفصل الأول: ترجيحات ابن عطية في المعاني اللغوية الصريحة

الفصل الثاني: ترجيحات ابن عطية الأندلسي في المعاني الدلالية الصريحة

الخاتمة:

تتضمن الخاتمة على النقاط الثلاث:

١. الملخص

٢. النتائج

٣. التوصيات

الفهارس الفنية

التمهيد:

وهو يتناول نبذة عن حياة ابن عطية ومذهبه ومكانة تفسيره.

يشتمل التمهيد على النقاط التالية:

- لمحة موجزة عن حياة ابن عطية الأندلسي.
- المنزاع النحوي لابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"
- مكانة تفسيره "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" بين التفاسير

حياة ابن عطية الأندلسي

اسمه وكنيته ونسبه:

هو أبو مُحَمَّد، عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم المحاربي أو المحربي الأندلسي، من قبيلة قيس غيلان بن مضر، من أهل غرناطة، وينتمي إلى عائلة مهاجرة من المغرب.^١

مولده:

ولد ابن عطية عام ٤٨١ هـ في غرناطة في الأندلس،^٢ وعلى رأي آخر إنه ولد عام ٤٨٠ هـ مع بداية عهد دولة المرابطين التي كانت تعرف بدولة الفقهاء. عاش ابن عطية في ظل دولة المرابطين بالأندلس، وفي تلك الأيام قامت دولة المرابطين بقمع أعداء الإسلام وبخاصة منهم الذين تكالبوا على الأندلس. ففي البداية لم يكن ابن عطية قوي الصلة بالدولة إلا أنه بعد عودة أبيه إلى غرناطة صار قوية الصلة بالمرابطين، فكان يغزو في جيشهم، ويحرض القادة والأمراء على قتال النصارى الصليبيين الذين كانوا يتربصون ببلاد الإسلام، وسقطت دولة المرابطين سنة ٥٤٠ هـ تقريبا قبل وفاته بعام.^٤

^١ - انظر: فهرسة ابن عطية أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية الأندلسي، ط ٢، تحقيق مُحَمَّد أبو الأجفان، مُحَمَّد الزاهي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٣م)، ص ٥٩-٦٠.

^٢ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، (القاهرة: دار الكاتب العربي ١٩٦٧هـ)، ج ١، ص ٣٨٩.

^٣ - سير أعلام النبلاء مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ط ٣، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ص ٥٨٧.

^٤ - انظر: معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، ابن الأبار، (مصر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ص ٧٠.

نشأته العلمية:

نشأ ابن عطية الأندلسي في بيئة علمية بالأندلس، وكان صاحب أسرة نبيلة ذات علم وتحقيق، ولها منزلة ومكانة حتى تهيأت له الأسباب لطلب العلم، إنه بدأ مسيرته العلمية بتعلم اللغة العربية، والفقهاء وأصول الدين على يد والده العالم القاضي غالب بن عبد الرحمن، وعدد آخر من مشاهير علماء غرناطة مثل: أبو مُجَدِّد بن غالب القيرواني، وأبو علي الغساني وغيرها الكثيرون من الأجلاء. ثم ارتحل ابن عطية من غرناطة لطلب العلم إلى بلاد أخرى مثل: قرطبة وإشبيلية، فلزم هنالك مجالسة المشايخ.

النشاطات الأخرى لابن عطية الأندلسي:

كان ابن عطية صاحب علم وفضل وكمال، وهو في الوقت نفسه مجاهدا في سبيل الله حيث خرج للجهاد إلى غزوة طليبة عام ٥٠٣ هـ.^١

مؤلفات ابن عطية:

أسهم ابن عطية في الدراسات الإسلامية بإنتاج علمي غزير، ومن أهم مؤلفاته ما يلي:

- فهرس ابن عطية
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

اتهامه بالزندقة:

هذا وقد أشار الزركشي إلى اتهام ابن عطية بالزندقة، وأفاد براءته منها، فنقل عن شيخه القاضي المفتي أحمد بن مُجَدِّد القلجاني ما يلي: يحكى أن بعض الأدباء دخل محلة عبد المؤمن فوجد أهل المرية يشكون قاضيهم الإمام أبا مُجَدِّد عبد الحق بن غالب وينسبونه إلى الزندقة،

^١ - أبو مُجَدِّد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي، فهرس ابن عطية، تحقيق: مُجَدِّد أبو الأجنان، ومحمد الزاهي، ط ٢، ١٩٨٣ م، دار الغرب الإسلامي بيروت، ص ١٤.

قال فأنشد: [بسيط]

أهل المرية قوم لا خلاق لهم يفسقون قضاة العدل تفسيقاً
قالو تزندق عبد الحق قلت لهم والله ما كان عبد الحق زنديقا

تلاميذه: كان لابن عطية - رحمه الله تعالى - حلقة علمية حيث يروى عنه من يأتيه طالبا العلم منه، فيملى ويفتي، ومن أشهر تلاميذه الذين درسوا عليه:

١- أبو القاسم عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن عبيد الله بن يوسف الأنصاري الأندلسي، المعروف بـ ابن خبيش (ت ٥٨٤هـ).^١ قرأ ابن خبيش على ابن عطية جميع تفسيره بالمرية حينما كان ابن عطية قاضيا بها.

٢- أحمد بن عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن مضاء بن مهند بن عمير اللخمي (ت ٥٩٢هـ).^٢

٣- عبد المنعم بن مُجَدِّد بن عبد الرحيم بن أحمد الأنصاري الخزرجي المعروف بابن الفرس (ت ٥٩٧هـ).

وفاته ابن عطية الأندلسي: اختلف المؤرخون في سنة وفاته، رأى أبو حيان الغرناطي أنه توفي في ٢٥ رمضان لعام ٥٤١هـ، وقال ابن بشكوال والسيوطي ومُجَدِّد مخلوف أنه توفي عام ٥٤٢هـ، وذهب الداودي وابن فرحون والبغدادى وعبد الحي الكتاني إلى أنه توفي سنة ٥٤٦هـ.

١- سير أعلام النبلاء، ج ٢١، مُجَدِّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ، ط٣، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، صفحات ١١٨-١٢٠.

٢- الديباج، ابن فرحون، ج ١، تحقيق: الدكتور مُجَدِّد الأحمدى أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة صفحات ٢٠٨-٢١١.

المنزِع النحوي لابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".

وكان ابن عطية نحويا بارعا فأتقن علم اللغة أي النحو والتصريف للعربية ففسر كتاب الله - جل وعلا - بعد إجادته نحو لغته وصرفها. ولذلك أنتج ما أنتج في هذا التفسير العزيز من النكت العلمية واللطائف اللغوية. إنه كان يميل إلى التفسير المأثور أي تفسير القرآن الكريم بالقرآن الكريم، ولكن عندما يرى أن التفسير بالمأثور لا يغني عن الفائدة المرجوة والغاية المقصودة فيتبع في ذلك نقل أقوال الآخرين من المفسرين واللغويين والفقهاء والمحدثين، ولا يكتفي بذكر قول دون آخر بل يقوم بالترجيح في الآراء المتفاوتة وأحيانا يفضل رأيه على سائر الآراء فيناقش المسألة من جميع جوانبها.

اهتم ابن عطية بالنحو و اللغة ومعاني الكلمات وإعرابها وشرح مدلولات المفردات.

تتبع مظاهر التركيب اللغوي في الآية الكريمة، فقد قام بتحليل الكثير من الأساليب النحوية كالإستفهام والنداء من ذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى: {فأتوا حرثكم أنى شئتم} ^١. و " (أنى) إنما تجيء سؤالا أو إخبارا عن أمر له جهات ، فهي أعم في اللغة من (كيف) ومن (أين) ومن (متى) هذا الاستعمال العربي، وقد فسر الناس (أنى) بهذه الألفاظ، وفسره سيبويه (كيف). ^٢

هكذا كان تفسير ابن عطية يسير مع اللغة العربية في كل مجال كالإستفهام و اللغة والنحو والصرف والشعر كذلك، فلا يتجاوز قواعدها ولا يتخطى حدودها ، و هذا ما زاد من قوته و

^١ - البقرة، الآية- ٢٢٣

^٢ - المحرر الوجيز عبد الحق بن عطية ج ١ ص ٣٢٣

مكانته، لأنه يعتمد على أسس قوية من قواعد اللغة و النحو، و تلك من أقوى اللبانات في بناء
صرح التفسير .

مكانة تفسيره "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" بين التفاسير.

قال ابن عطية في مقدمة هذا التفسير... "وقصدت فيه أن يكون جامعاً وجيزاً محرراً لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح رضوان الله عليهم كتاب الله من مقاصده العربية السليمة من إحداهم أهل القول بالرموز وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم فمتى وقع لأحد من العلماء الذين قد حازوا حسن الظن بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدّين نهت عليه وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية من حكم أو نحو أو لغة أو معنى أو قراءة وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر كما في كثير من كتب المفسرين ورأيت أن تصنيف التفسير كما صنع تفسير المهدوي مفرق للنظر مشعب للفكر وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها واعتمدت تبين المعاني وجميع احتمالات الألفاظ كل ذلك بحسب جهدي وما انتهى إليه علمي وعلى غاية من الإيجاز وحذف فضول القول".

هذا التفسير هو تقرب إلى الله عزوجل رجاء أن يحرم الله جسده على النار و هذا يدل على أن هدف ابن عطية في تفسيره هو رضا الله عزوجل.¹

ولهذه الغاية السامية هياً ابن عطية لنفسه ما ينبغي أن يتوافر من معارف و علوم و إمكانات حتى يفسر نصوص الكتاب الحكيم. فأعد نفسه لشرف هذه المهمة، علماً و اطلاعاً و فضلاً. وقد كان لهذا الإعداد أثره البين في براعته اللغوية فضلاً كما لذوقه الأدبي المتميز، و ظهر ذلك جلياً في تحليلية العميق للألفاظ و معرفته باشتقاقاتها، و ذكره لأبرز الآراء اللغوية في نصوص عرضه الأقوال

¹ - منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب فايد، ج ١ ص ٨١-٨٢

و التأويلات الواردة في آيات القرآن الكريم التي لم يخرج فيها عن نطاق أقوال العلماء وتأويلاتهم، رغم ما يلاحظ عليه أنه يحاول مرارا الإفلات مما اختطه لنفسه من منهج لغوي ليظهر قدراته و إمكاناته اللغوية فيكثر من الشواهد الشعرية و التحليلات النحوية و الصرفية، وكأنه الغرض الأساسي لكتابه.

اعتماد التفسير على المنهج اللغوي القائم على اللغة و النحو وهذا ما جعل تفسيره قويا في بابه، محكماً في بنيانه، لقيام تفسيره على أبرز أركان التفسير لكتاب الله عزوجل لأن القرآن عربي فلا بد من الرجوع إلى اللغة العربية بألفاظها و مشتقاتها و نحوها و صرفها... وقد قام منهجه اللغوي على بعض الأسس هي:

تتبع مظاهر التركيب اللغوي في الآية الكريمة، فقد قام بتحليل الكثير من الأساليب النحوية كالإستفهام والنداء من ذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى: {فأتوا حرثكم أنى شئتم} ^١. و " (أنى) إنما تجيء سؤالاً أو إخباراً عن أمر له جهات ، فهي أعم في اللغة من (كيف) ومن (أين) ومن (متى) هذا الاستعمال العربي، وقد فسر الناس (أنى) بهذه الألفاظ، وفسره سيبويه (كيف). ^٢ هكذا كان تفسير ابن عطية يسير مع اللغة العربية في كل مجال كالاستفهام و اللغة والنحو والصرف و الشعر كذلك، فلا تجاوز قواعدها ولا يتخطى حدودها ، و هذا ما زاد من قوته و مكانته، لأنه يعتمد على أسس قوية من قواعد اللغة و النحو، و تلك من أقوى اللبانات في بناء صرح التفسير.

^١ - البقرة، الآية- ٢٢٣

^٢ - المحرر الوجيز، عبد الحق ابن عطية، ج ١ ص ٢٩٩

مصادره في كتابه:

يعد كتاب الإمام ابن عطية موسوعة علمية ، قل أن تجد مثلها في التفسير بالمأثور، و موسوعة في المسائل الفقهية والأصولية و موسوعة فيما يتصل باللغة من شعر و غريب وإعراب. لا ريب أنه استفاد ممن قبله فأضاف و استدراك و صنف وليس القصدها هنا حصر كل ما اعتمده من المصادر ،

بل المراد الإشارة على ما عول عليه من المصادر التي استقى منها معرفة و علومه من خلال ما وفق على و يمكن ذكرها فيما يلي:

أولاً: مصادره من كتب التفسير و علوم القرآن.

- غريب القرآن ابن قتيبة الدينوري(١٠٧هـ).^١
- الناسخ و المنسوخ قتادة(١١٧هـ).^٢
- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى(٢٠٩هـ).^٣
- معاني القرآن الأخفش (٢١٥هـ).^٤
- تفسير عبد بن حميد(٢٥١هـ).
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣١١هـ)
- تفسير الرماني(٣٨٤هـ)
- إعجاز القرآن القاضي الباقلاني(٤٠٣هـ)
- معاني القرآن للفراء(٥١٦هـ)

^١ - المحرر الوجيز ج ١ ص ٥٣٦،٥٨٥

^٢ - نفس المصدر ١١\٤٩١

^٣ - نفس المصدر ١١\٩٥، ٣\١٦١

^٤ - نفس المصدر ١٢\٤٢

- تفسير القرطبي، تفسير الكلبي، تفسير الثعلبي.^١

مصادره من كتب القراءات:

- أقوال الكسائي.
- أقوال ابن محيصن.
- أقوال أبي بكر بن مجاهد ٣٢٤ هـ.
- أقوال أبي علي الفارسي ٣٧٧ هـ.
- مؤلفات مكّي بن أبي طالب القيسي ٤٣٧ هـ.
- أقوال أبي عمرو الداني ٤٤٤ هـ.^٢

مصادره من كتب اللغة:

عُني القاضي أبي مُحمَّد بجانب اللغة عناية فائقة يدل عليها تحليله للمعاني اللغوية و بيان مواردها فقد نقل عن أئمة اللغة..

- كالخليل بن أحمد الفراهيدي (١٦٠ هـ).^٣
- أقوال سيويه.
- أقوال الأصمعي ٢١٦ هـ.
- أقوال ابن قتيبة ٣٢٨ هـ.^٤
- المحكم ابن سيده ١٧ هـ.^٥

^١ - المحرر الوجيز ج ١/٦٥، ٦٧

^٢ - نفس المصدر ج ١/١٧٥، ١٨٧/٣

^٣ - نفس المصدر ج ١/١٠٤، ١١٢/٢

^٤ - المحرر الوجيز ج ١/١٢٤، ٧٩، ١٢٦

^٥ - نفس المصدر ج ٢/٢٥٠

- أقوال ابن المبرد ٢٥٩ هـ.^١
- أقوال ابن المبرد ٢٥٩ هـ.
- أقوال ابن الأنباري ٣٧٠ هـ.
- أقوال الثعالبي.^٢

مصادره من كتب السنة:

حرص الإمام أبي مُحمَّد بن عطية على التفسير بالمأثور وكان يرى الموطأ أول كتب الباب فقد كان يقدمه على صحيح البخاري.

مالك موطأ

البخاري صحيح

مسلم صحيح

سنن الترمذي

سنن أبي داود

سنن النسائي

سنن ابن ماجه

السنن سعيد بن منصور.^٣

مصادره من كتب الفقه:

اتسم كتاب المحرر الوجيز بغزارة مادته الخلافية وتأصيل الخلاف وتوجيه الأقوال وذكر أدلتها غير أن القاضي لا يصرح بنقولته عن غير المالكية إلا في القليل النادر.

^١ - نفس المصدر ج ١٥٢/١

^٢ - نفس المصدر ج ٣٧٥/٢

^٣ - نفس المصدر ج ٣٢٨/٣

ذكر نماذج من مصادره في الفقه المالكي:

أورد هنا ما وقفت عليه من مصادره في فقه مالك؛ الموطأ وذلك لأنه الكتاب

الأول عند المالكية في الفقه والحديث:

المدونة، ويسميتها القاضي الكتاب.^١

أقوال أشهب بن عبد العزيز ت ٢٠٤ هـ.^٢

أقوال عيسى بن دينار ت (٢١٢ هـ) وهي: سماعه عن ابن القاسم و كتاب الهدية له الذي اعتبره بن

حزم الظاهري من مفاخر الأندلس.^٣

الموازية لمحمد بن إبراهيم المعروف بابن المواز ت (٢٦٩ هـ)، وهو من أقدم كتب المالكية.^٤

هذا ما ذكره أو أحال عليه من المصادر في فقه مالك في كتابه، و قد نقل عن غيره كأبي حنيفة،

وأبي يوسف، و محمد بن حسن الشيباني، والإمام الشافعي و ابن المنذر و أحمد و أبي ثور.^٥

مصادره في العقيدة وأصول الدين: كذلك مصادره في العقيدة و أصول الدين، كأقوال أبي

الحسن الأشعري و أقوال أبي المعالي الجويني.^٦

^١ - المحرر الوجيز ج ٢ / ٢٢٩

^٢ - نفس المصدر، ج ٢ / ٥٠

^٣ - نفس المصدر ج ٢ / ١١٥

^٤ - نفس المصدر ج ٢ / ١١٢

^٥ - نفس المصدر ج ٢ / ١٩١

^٦ - المحرر الوجيز ج ٢ / ١٥٤

المصادر التاريخية: وقد ذكر ابن عطية في تفسيره عن الكتب التاريخية، مثل: السيرة النبوية لابن إسحاق، الدلائل لثابت السرقسطي، الشامل أبو المعالي، التاريخ ابن أبي خيثمة و الاستيعاب في الصحابة أبي عمر بن عبد البر كذلك...^١

أسماء الكتب التي صرح بذكر أسمائها:

- التفسير للرماني
 - الهداية مكّي بن أبي طالب القيسي
 - مشكل القرآن مكّي بن أبي طالب القيسي
 - المدونة
 - العين خليل بن أحمد الفراهيدي
 - الحجة لأبي علي الفارسي
 - كتاب سيبويه
 - المقتضب
 - الشامل ابو المعالي
 - الناسخ و المنسوخ هبة الله بن سلامة
 - اللغات الفراء
 - الأدب ابن قتيبة
 - تفسير النقاش.^٢
- أما نسخ الكتاب فقد طبع الكتاب ثلاث طبعات وقفت بعون الله وتوفيقه على الطبعتين المتوفرة وهي كالتالي:

^١ - نفس المصدر ج ٥٢٩\٢

^٢ - نفس المصدر ج ٣٦٥\٥، ٤٥٦

الطبعة الأولى فقد صدر الكتاب عن دارالفكر، وإنما وقفت عليها الكترونية في أربعة مجلدات كثيرة السقط والتحريف.

الطبعة الثانية، طبعة المجلس العلمي بفاس صدر عام ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م. وهو أول إخراج للكتاب وفي هذه الطبعة كانت العناية بإخراج النص حيث هي خلو من التحقيق و قد صدرت هذه الطبعة في ستة عشر مجلداً.^١

أما الطبعة الثالثة فهي الطبعة المشهورة بالقطرية عام ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م، الصادرة عن دار ابن تيمية بمصر وهي أجود من التي قبلها والخطأ فيها أقل من غيرها.^٢

المحرر الوجيز من التفاسير التي عنى بها أصحابها بالجانب اللغوي عناية فائقة وقد تبين من خلال ترجمة مؤلف أنه لم يؤلف في علم النحو كتاباً مفرداً، ولم يذكر له إلا هذا التفسير. إن تفسير ابن عطية له قيمة العالية بين كتب التفسير وعند جميع المفسرين وذلك راجع إلى أن مؤلفه أضفى عليه من دوحه العلمية الضيافة ما أكسبه دقةً ورواجاً وقبولاً.^٣

^١ - المحرر الوجيز ج ٦ / ٣٧٠

^٢ - نفس المصدر ج ٦ / ٤٢٥

^٣ - التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي، دارالمكتبة الحديثة، ط ١، ١٩٦١م، ص ٢٤٠

الباب الأول

المعاني الصريحة لأدوات الاستفهام في الثلث الأول من تفسير "المحرر

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"

الفصل الأول: المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام

الفصل الثاني: المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام

الفصل الأول

المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام

مدخل:

الاستفهام لغة: مصدر استفهمت أي: طلبت الفهم، يقول ابن منظور: "وأفهمه الأمر وفهمه إياه: جعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته، وفهمته تفهيمًا"^(١) أما الاستفهام اصطلاحاً: "فهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، بإحدى أدوات الاستفهام"^(٢).

ويقول ابن هشام: "الاستفهام: طلب الفهم"^(٣).

ويقول ابن فارس في باب الاستخبار وهو يفرق بينه وبين الاستفهام: الاستخبار: "طلب خبر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام، وذكر قوم آخرون أن بين الاستخبار والاستفهام فرقا بسيطاً، ألا وهو: أن أولى الحالين التي سبقنا أعلاه الاستخبار، لأنك عندما تستخبر أحداً فتجيب بشيء، فربما تكون فهمته وربما لم تفهمه، فإذا أعدت السؤال فهذا يكون الاستفهام، تقول: أفهمني ما قلته لي، قالوا: ويدل على ذلك أن البارئ -تعالى ذكره- يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم"^(٤)

(١) لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار الإحياء والتراث بيروت لبنان ١٢٩٠. ص ٤٧

(٢) هو مختصر ما ورد عن ابن فارس وابن هشام وغيرهما في تعريف الاستفهام، د. سميرا حيدا، مجلة حوليات التراث جامعة

وجدة المغرب، ص ٥٦

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ١٩٨٧، المكتبة العصرية، بيروت،

١٣/١، ص ٨٠.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب كلامها، ابن فارس، تحقيق وتدقيق الدكتور مصطفى الشومى ١٩٦٤، ص ١٨١.

إن لأدوات الاستفهام لدورا ببناء في أداء المعنى والدلالة، والنحاة قد اعتنوا بها اعتناء كبيرا، نظرا لمكانتها التي هي من الأهمية بمكان يفوق كل مكان؛ فإن الكثير من المعاني والدلالات لا تتأتى في الجملة والتركيب إلا من خلال فتح الارتباطات بين مكوناتها، والمكونات الرئيسة التي تربط بين الجمل والعبارات والتركيب هي الأدوات، وتحتّم عدد أدوات الاستفهام منها أيضا، وهذه الدراسة ستركز على فتح المعاني اللغوية التي صرح بها القاضي الإمام الفقيه ابن عطية الأندلسي في تفسيره "المحرر الوجيز". وقبل استعراض بسيط لتلك المعاني اللغوية التي أوضحها ابن عطية وقصر تلك الأدوات عليها -يحسن إلقاء النظر على المعاني اللغوية لتلك الأدوات، وهي ما يلي:

"الهمزة"، و"هل"، و"ما"، و"ماذا" و"من"، و"متى"، و"أي" و"أيان"، و"كيف"، و"أين"، و"أني"، و"كم"، و"أي"، و"لم" و"لماذا".

أما "الهمزة" (أ) فهي تأتي للدلالة على الاستفهام في الجملة المثبتة مثل: أترغب في الذهاب إلى المسجد معي مساء اليوم؟ أو المنفية مثل: ألم تسمع أذان المغرب؟ وقد تأتي للدلالة على طلب تعيين واحد من شيئين مثل: أصعبا كان حلّ الأمر أم سهلا؟ وإذا استعملت "الهمزة" للسؤال عن الجملة المنفية كان الجواب بحرف "بلى" للإثبات، و"نعم" للنفي، مثل: ألم تناقش هذه القضية مع الزملاء؟ فتد بالإثبات، وهي: "بلى، ناقشت". أو بالنفي وهي: "نعم، ما ناقشت". فالهمزة تدلّ على التصور و التصديق، وهذان المعنيان يأتيان وفق مقتضى سياقات الجملة.

فإن أداة الهمزة باختصار تأتي للتصور والتصديق، وتليها الجملة بنوعها الاسمية والفعلية، وهي تنصدر في الجملة، وقد تحذف الهمزة إن دلت عليها قرينة، وإن وقعت بعدها "أل" التعريفية أدغمت فيها، وأصبحتا همزة ممدودة مثل: ﴿قُلْ أَلَمْ يَأْتِكُمْ آيَاتُنَا بِبُحْرَانٍ كَثِيرٍ﴾ (١).

(١) يونس، الآية: ٥٩.

إن دلت الهمزة على معنى "التسوية" تليها جملتان، تفصل بينهما "أم" المعادلة المتصلة العاطفة، وتسبقها كلمة "سواء" أو ما في معناها، وهي غير مستخدمة في القرآن الكريم إلا في سياق الدعوة إلى الدين أو الصدود عنه، كقوله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١). وقد تحذف كلمة "سواء" من الجملة لدلالة القرينة عليها كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(٢).

أما "هل" فهو حرف يستفهم به عن محتوى الجملة المثبتة مثل: هل جئت أمس؟ وقد وردت هذه الأداة من أدوات الاستفهام قرابة ثمانين مرة في القرآن الكريم، وأكثرها مع الجملة الفعلية، وتختص هذه الأداة بما يلي:

تدخل على الجملة الفعلية مثل: هل دخل طالب في الفصل؟ وكذلك تدخل على الجملة الاسمية ما لم يكن خبرها فعلا مثل: هل الدرس صعب؟ وتأتي لطلب التصديق فقط، ويكون جوابها وقتئذ بـ "نعم"، ولا تليها "أم" المعادلة مثل: هل حفظت القرآن الكريم؟ ولا يجوز أن يقال: هل حفظت القرآن الكريم أم الحديث الشريف؟

ومن خصائص هذه الأداة الاستفهامية أنه يستفهم بها في الإثبات دون النفي والإنكار، فلا يصح القول بمثل: هل لم تأت بالغداء؟

وإذا دخلت على الفعل المضارع صرفته للمستقبل، فلا تستعمل معها وقتئذ من الصيغ الدالة على الحال مثل: الآن وأشباهه، فلا يقال: هل تذهب الآن؟

ثمة أدوات أخرى لا تدخل عليها "هل" مطلقا، مثل: الفاء والواو العاطفة، وكذلك "إن" المشبه بليس، والمفعول به المقدم، فلا يقال: هل إنك تعود؟

(١) يس، الآية: ١٠.

(٢) الجن، الآية: ١٠.

أما "ما" و"ماذا" فهما تأتيان للسؤال عن غير العاقل، مثل: ما الخطة المستقبلية؟ أو ماذا رأيت؟

أما "مَنْ" فهو حرف يأتي للسؤال عن العاقل، مثل: من صنع هذه العمارة؟ وقد وردت هذه الأداة في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة، وأغلبها للنوع، وأكثرها لإثبات ظلم الكافرين عن طريق الاستفهام المحمول معنى النفي كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ﴾^(١).

أما "متى" فيستفهم بها عن الزمان عموماً، مثل: متى تغادر؟ وردت هذه الأداة تسع مرات فقط في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾^(٢).

و "أَيَّانَ" فيستفهم بها عن الزمان المستقبل في حال التعظيم والتفخيم، وهي مكونة من حرفي "أي" و"أن" على أحد الآراء النحوية، وقد وردت ست مرات في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٣).

أما "أين" فيستفهم بها عن المكان، وقد وردت عشر مرات في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿أَيْنَ الْمَقَرُّ﴾^(٤).

أما "أنى" فتأتي بمعنى "من أين"، كقوله تعالى: ﴿أَنى لَكَ هَذَا﴾^(٥). وكذلك تأتي بمعنى "كيف" كقوله تعالى: ﴿أَنى يَكُونُ لِي عُلَامٌ﴾^(٦). وردت هذه الأداة في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة.

(١) التوبة، الآية: ١١١.

(٢) البقرة، الآية: ٢١٤.

(٣) الذاريات، الآية: ١٢.

(٤) القيامة، الآية: ١٠.

(٥) آل عمران، الآية: ٣٧.

(٦) مريم، الآية: ٨.

أما "كيف" فيستفهم بها عن الحال، كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾^(١). وقد وردت هذه الأداة أكثر من ثمانين مرة في القرآن الكريم.

أما "كم" فيستفهم بها عن العدد، كقوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ﴾^(٢). أما "أي" فيطلب بها تعيين شيء، وتصلح للعاقل، مثل: أيّ أخ جاءك؟ وكذلك تصلح لغير العاقل، مثل: أيّ كتاب قرأت؟ وكذلك تأتي للزمان، مثل: أيّ وقت سافرت؟ وكذلك تأتي للمكان، مثل: أيّ جهة جلست؟

المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام التي وردت في سورة البقرة:

المعاني اللغوية لأدوات الاستفهام هي التي وضعت لها، ولا تنصرف أداة الاستفهام عن معناها اللغوي إلا إن دلت قرينة على ما هو يتعدى إلى معنى من المعاني البلاغية، والمقصود بالصريحة هي المعاني اللغوية التي صرحها ابن عطية - رحمه الله - في تفسيره "المحرر الوجيز".

قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾^(٣).

محل الاستشهاد: "ما هي".

المعنى اللغوي الصريح: السؤال عن حالة البقرة وصفتها.

من هذه الآية تنطلق سلسلة تساؤلات بني إسرائيل، التي كانت منهم إلى الله - جل وعلا - في قصة البقرة التي أمرهم الله عز وجل بذبحها. روي أن رجلا من بني إسرائيل أسنّ كان يملك مالا، فطمع في ماله ابن أخيه، وقيل: أخوه، وقيل: ابنا عمه، وقيل: ورثة كبير على اختلاف الآراء، واستبطأ موته، فقتله ليرثه، وألقاه في سبط آخر غير سبطه، وقيل: ألقاه إلى باب إحدى المدينتين،

(١) مريم، الآية: ٢٩.

(٢) الكهف، الآية: ١٩.

(٣) - البقرة، الآية: ٦٨.

التي لم يقتل فيها على تفسير آخر، وهو أن بني إسرائيل كانوا يسكنون في قريتين متجاورتين، هذا ليتهمهم بدمه، ويأخذ منهم ديتته، ثم جعل هو وسبطه يبحثون عنه، حتى عثروا عليه قتيلا، فادّعوا على سكانها بقتله، لكنهم أنكروا قتله ورفضوا اتهامهم به، الأمر الذي أفضى إلى محاصرة شديدة بينهم حتى لجأوا إلى السلاح، فقال أهل النهي منهم: أنقتل ورسول الله معنا؟ فرفعوا القضية إلى رسول الله موسى -عليه السلام- ليبين لهم ويحكم بينهم، فأوحى الله تعالى إليه أن يذبحوا بقرة فيضرب القتل ببعضها، فيحيي ويخبر بقاتله..

معنى الآية: لما بلغهم نبي الله موسى -عليه السلام- بأن الله يأمركم بذبح بقرة، تفهّموا واستبينوا وقالوا له: سل لنا ربك يوضح لنا حالة البقرة وصفتها حتى تتبين. لكنهم لم يكتفوا بهذا ولم يأتوا هذا السؤال فقط، بل وأتبعوه بثلاثة أسئلة من النوع نفسه، والأعتى من ذلك أنها لا تدخل في طواعية نفوسهم من شيء، وليست تمثل اتباعهم لله ولرسوله، وجاء خطابهم: (قالوا ادع لنا ربك) بهذا اللفظ ثلاث مرات في هذه القصة، وفيه من الاستكبار والجفاء والسخرية وسوء الأدب ما لا يخفى على أحد.

هذه الآيات تشير إلى تعنت منهم وقلة طواعية، حيث أمرهم الله تعالى بذبح بقرة غير معينة، فلو امتثلوا الأمر وذبحوا بقرة عامة غير مقيدة بصفات معينة، لقضوا ما أمروا به، لكنهم دخلوا في طرح تساؤلات لا تعنيهم البتة عن تحديد أوصافها وأحوالها وهي أكثر من اللازم، وشددوا فشدد الله عليهم. فقد جاءت في هذه الآية والتي تليها تساؤلات واستفهامات من بني إسرائيل عن استبيان أحوال البقرة ولوئها. يقول ابن عطية: "و ﴿ما﴾ استفهام". وقد وردت هنا للسؤال عن حالة من حيث البقرة، أي: ادع لنا ربك يحدّد لنا صفتها في السنّ، أي: أيّ شيء هي من السنّ؟ وما حالتها؟ والدليل على هذا أن الله عز وجل قال بعده: ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر﴾ يتضح من هذا الردّ الذي هو من عند الله -جلّ ثناؤه- جليّا أن أداة الاستفهام "ما" هنا

جاءت في معناها اللغوي صراحة، وهو: السؤال عن حالة البقرة وصفتها تحديدا، وقد صرح به ابن عطية -رحمه الله- في تفسيره.

ووافق ابن عاشور في تفسيره حيث جعل الاستفهام هنا في معناه اللغوي حيث قال: وقوله: ما هي حكي سؤالهم بما يدل عليه بالسؤال ب (ما) في كلام العرب وهو السؤال عن الصفة لأن (ما) يسأل بها عن الصفة، كما يقول من يسمع الناس يذكرون حاتما أو الأحنف وقد علم أنهما رجلان ولم يعلم صفتيهما ما حاتم؟ أو ما الأحنف؟ فيقال: كريم أو حلیم.^(١)

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ۖ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

محل الاستشهاد: "ومن ذريتي؟".

المعنى اللغوي الصريح: ماذا يكون؟

جرى الحديث في هذه الآية عن ابتلاء الله -جلّ ذكره- نبيه إبراهيم -عليه السلام-، والمعنى: اذكر يا محمد -صلى الله على محمد- حين اختبر إبراهيم رب العالمين في كلمات -خصال فطرية حميدة أو مناسك الحج على تنوع الآراء في تحديد مدلولها- فنجح في ذلك الاختبار، وقام بتطبيق وتنفيذ ما أمره الله به، فشرّفه الله مقابل فوزه ونجاحه بأن جعله للناس إماما، فسأله -تعالى- إبراهيم عليه السلام: ومن ذريتي يا رب ماذا يكون؟ يعني: وهل تجعل من ذريتي أئمة أيضا؟ قال تعالى: لا يصيب عهدي الظالمين؛ لأن الظالمين وأمثالهم لا يستحقون عهدي ولا يلتزمون أداء أمانتي؛ فإن الإمامة وكل عهد من الله -جلّ وعزّز- تستوجب أن يكون من يكرّمه الله -تعالى- بها عادلا ومطيحا وأميّنا في القيام بها وأداء الأمانة التي على عاتقها.

(١): التحرير والتنوير لأبن عاشور ص ٥٤٩ ج ١

(٢)- البقرة، الآية: ١٢٤.

يعود سبب هذا الاستفهام إلى أن الله تعالى لما اختبر نبيّه وخليله إبراهيم -عليه السلام- بتنفيذ كلمات وإتمامها (خصال) فاز فيه ونجح، وقد وردت في تأويل "كلمات" أقوال عديدة، منها: روي عن ابن عباس وقتادة -رضي الله عنهما-: الكلمات عشر خصال، خمس منها في الرأس: المضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وفرق الرأس، وقيل مكان فرق الرأس: إعفاء اللحية، وخمس في الجسد: تقليم الظفر، وحلق العانة، وتنف الإبط، والاستنجاء بالماء، والاختتان. وقالت طائفة: هي مناسك الحج خاصة، فجعله إماما للناس ليأتوا به في هذه الخصال ويكون قدوة يقتدي به عباد الله الصالحون، فاستفهم إبراهيم -عليه السلام- ربّه سائلا: ما الذي يكون من ذريّتي يا رب؟ وتقدّر أداة الاستفهام "ماذا" محذوفة في هذه الحالة.

جاءت هذه الآية الكريمة بصيغة الإخبار، إلا أن المنشود الرامي إليها هو الأمر، فالله -عزّ وجلّ- أمر عباده أن لا يوسّدوا أمور الدين والدنيا إلى ظالم.

يقول القاضي الفقيه الإمام الجليل ابن عطية الأندلسي -رحمه الله- في تفسير قوله: ﴿قال ومن ذريّتي؟﴾: "وقيل: هذا منه على جهة الاستفهام عنهم، أي: ومن ذريّتي يا ربّ ماذا يكون؟" أي: ما الشرف الذي ينال ذريّتي يا ربّ؟ فالمعنى "ومن ذريّتي يا ربّ ماذا يكون؟" (١) بيان ابن عطية هذا يدلّ بكل صراحة على أن هناك أداة استفهام محذوفة، وتشهد عليها قرينة إيراد الاستفهام في تفسيرها، الذي يعطي المعنى اللغوي لأداة "ماذا" الاستفهامية، وهو الاستفهام عن الشرف والصلة الحسنة التي سأل عنها إبراهيم -عليه السلام- ربّه من أجل ذريّته.

ووافقه أبو سعود في هذا المعنى بعد ما ذكر الوجه الأول (ولو كان بصيغة التمريض) بأن الجملة هنا دعائية فقال: ﴿ومن ذريّتي﴾ عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل أي وجاعل

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٢٠٦.

بعض ذريتي كما تقول وزيداً لمن يقول سأكرمك أو بمحذوف أي واجعل فريقاً من ذريتي إماماً وتخصيص البعض بذلك لبداية استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي؟^(١)

ولكن بعض المفسرين قالوا ليس هنا استفهام بل دعاء قال الإمام الطبراني في تفسيره: {ومن ذريتي؛} أي ومن أولادي، فاجعل أئمة يقتدى بهم.^٢

قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

محل الاستفهام: "ما تعبدون من بعدي؟".

المعنى اللغوي الصريح: الاستفهام عما يعبدون.

في هذه الآية احتجاج يقيمه الله -جلّ وعزّ - على المشركين من العرب، تحديداً من أبناء إسماعيل عليه السلام، وعلى الكفار من بني إسرائيل -وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام- بأن النبي يعقوب لما أشرف على الموت، دعا بنيه، ووصاهم بعبادة الله وحده لا شريك له، إذ سأهم: ما تعبدون من بعدي؟ فأجابوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وحده، ونوحده بالألوهية ولا نشرك به شيئاً، ونحن له مطيعون خاضعون، وهو وعد منهم على إطاعته -تعالى- والخضوع له -تعالى- على جهة الدوام والثبوت.

(١): تفسير أبي سعود لابي سعود ص ١٥٦ ج ١

(٢) التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم، للإمام الطبراني كذا سماه المحقق، وعزاه، والصواب أنه تفسير «كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل» للحداد اليمني (ت ٨٠٠ هـ) لمحقق: هشام بن عبد الكريم البدراني الموصلية الناشر: دار الكتاب

الثقافي الأردن - إربد ص ٢٧٢

(٣) - البقرة، الآية: ١٣٣.

هذا الخطاب وجهه الله تعالى إلى اليهود والنصارى الذين افتروا على الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - ونسبوهم إلى اليهودية والنصرانية، فكان هذا ردًا منه تعالى عليهم، وعرفهم بأن أنبياءه ورسله كانوا متمسكين بالحنيفة السمحة والإسلام، وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ: هل حضرتهم يعقوب وعلمتم بما وصّى بنيه، فتدعون عن علم؟! يعني: لم تشهدوا، بل أنتم تفترون. حين ظهرت علامات الموت ومقدماته على نبي الله يعقوب - عليه السلام - جمع بنيه وأهله، فاستفهمهم عما يعبدون من بعد موته وقال: ﴿ما تعبدون من بعدي؟﴾ فكان جوابهم: ﴿نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون﴾ يقول ابن عطية: (وعبر عن المعبود بـ "ما" تجربة لهم، ولم يقل: من، لئلا يطرق لهم الاهتداء، وإنما أراد أن يختبرهم، وأيضًا فالمعبودات المتعارفة من دون الله تعالى جمادات، كالأوثان والنار والشمس والحجارة، فاستفهمهم عما يعبدون من هذه)^(١). وقد وردت أداة "ما" هنا في معناها اللغوي صراحة، إذ كان السؤال عن عبادة المعبودات المعروفة من دون الله لاختبارهم، وهي جمادات (من ذوات غير عقول) كما صرح بها ابن عطية في تفسير الآية الكريمة.

٦- قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتَهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

محل الاستشهاد: "ما ولّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟".

المعنى اللغوي الصريح: السؤال عن سبب تحويلهم قبلتهم.

معنى الآية: (سيقول السفهاء من الناس) والمراد بهم مشركو مكة ويهود المدينة، (ما ولّاهم) أي:

ما سبب انصرافهم؟ قال صاحب المعاني: «ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها» عند مجيئهم إلى

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٢١٤.

(٢) - البقرة، الآية: ١٤٢.

المدينة، وأي شيء صرفهم عنها وهي قبلة جميع الأنبياء؟^١ والعائد يعود إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين، (عن قبلتهم التي كانوا عليها) وهي الصخرة، (قل لله المشرق والمغرب) فهو يأمر بالتوجه إلى أيّ جهة شاء، (يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) أي: إلى دين مستقيم، ويريد الله -جلّ في علاه- بذلك: أي رضيت هذه القبلة لمحمد -صلى الله على محمد-. قال أبو عبيد أحمد بن محمد في تفسيره: قوله تعالى: { وما ولاهم عن قبلتهم } إنما سميت قبلة لأن المصلي يقابلها وتقبله، ويقال أين قبلتك أي أين جهتك؟^٢ وهي نزلت في اليهود ومشركي مكة، طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة، فقالوا لمشركي مكة: قد تردّد على محمد أمره، فاشتاق إلى مولده، وقد توجه نحو بلدكم، وهو راجع إلى دينكم، فجاءهم رد الله -تعالى- على زعمهم وطعنهم فيه - ﷺ -: (قل لله المشرق والمغرب) أي: هما له ملكاً، والخلق عبيده.

كان رسول الله -ﷺ- يصلي إلى بيت المقدس، عندما كان مقيماً بمكة المكرمة، واختلف في مدة صلاته إليه، فقد ورد في الصحيح للبخاري: ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وروي عن أنس بن مالك: تسعة أو عشرة أشهر، وروي عن غيره: ثلاثة عشر شهراً، ثم لما هاجر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة المنورة -شرفها الله- في ربيع الأول، وظل يتوجه في صلاته نحو بيت المقدس حتى رجب من سنة اثنتين، وقيل: حتى جمادى، وقيل: حتى نصف شعبان على اختلاف الآراء فيه. ذكر الله عزّ وجلّ في هذه الآية أنه عندما يوليّ رسول الله -ﷺ- قبلة يرضاها وفي حال تحول القبلة من الشام إلى الكعبة سيقول الخفاف العقول من الناس وهم الأخبار منهم على تفسير

(١) : بيان المعاني مرتب حسب ترتيب النزول، المؤلف: عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني الناشر: مطبعة

الترقّي - دمشق ١٣٩٨هـ، ص ١٣٧

(٢) : الغريبين في القرآن والحديث المؤلف: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي الناشر: مكتبة نزار

مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ص ١٨١

ابن عباس -رضي الله عنهما-: ﴿مَا وَّلَاهُمْ عَنْ قِبَلْتِهِمَّ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾؟ أي: ما السبب الذي جعلهم يحولون قبلتهم التي كانوا يتوجهون إليها من قبل؟

يقول ابن عطية: "أعلم الله تعالى في هذه الآية أنهم سيقولون في شأن تحول المؤمنين من الشام إلى الكعبة: ﴿مَا وَّلَاهُمْ﴾؟ واختلف في تعيينهم، فقال ابن عباس: قالها الأحبار منهم، وذلك أنهم جاؤوا إلى النبي -ﷺ- فقالوا له: يا مُحَمَّد ما وَّلَاك عن قبلتنا؟ ارجع إلينا ونؤمن بك، يريدون فتنته... وقالت طائفة: قالها كفار قريش، لأنهم قالوا: ما وَّلَاه عن قبلته؟ ما رجع إلينا إلا لعلمه أنا على الحق وسيرجع إلى ديننا كله".^(١)

قام القاضي الفقيه الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- بوضع علامة الاستفهام في نهاية الآية إشارة إلى أن أداة "ما" وردت هنا في معناها اللغوي، ويدل على ذلك أنه لم ينص على معنى مخالف له صراحة ولا دلالة.

ووافقه أبو سعود في هذا القول بأن "ما" هنا في معنى "أي شيء" حيث قال: {مَا وَّلَاهُمْ} أي أيُّ شيء صرفهم^(٢)

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٢١٨.

(٢) تفسير أبي سعود لأبي سعود ص ١٧١ ج ١

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١).

محل الاستشهاد: "من؟".

المعنى اللغوي الصريح: الاستفهام عن العاقل. قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، والقرض عبارة عن كل ما يعطيه الإنسان ليجازى عليه، وهنا في هذه الآية الكريمة سمي الله -تعالى- عمل المؤمنين عبادة كانت أو إخلاصا له الدين على احتساب ما وعدهم ربهم بالثواب والأجر-قرضاً؛ والإمام الكسائي -رحمه الله- يقول في تعريف القرض ما بيانه كالآتي: ما قدمت يدك من عمل سواء أكان صالحاً أو سيئاً، فهو قرض، تعوض عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وجاءت كلمة القرض في اللغة بمعنى: القطع، وسمي به لأن الإنسان يقطع من ماله شيئاً يعطيه ببغية أن يرجع إليه مثله، وقيل: إن في الآية اختصاراً وتفصيلاً كالآتي: هل من شخص يمدّ عباد الله والمحتاجين من خلقه بالإقراض والإسلاف؟ وهذا مثل ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ -الْأَحْزَابِ، الآية: ٥٧- يعني: يُؤْذُونَ عِبَادَ اللَّهِ، إذ البشر عاجزون عن أن يؤذوا الله -جلّ وعزّز-، ويؤيد هذا المعنى ما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعْمَتَكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَطَعْمَتَكَ عَبْدِي فَلَا تُطْعِمُهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟»^(٢)، ومعنى قوله تعالى: (يقرض الله): ينفق في طاعة الله -تعالى- قرضاً حسناً، محتسباً من طيب نفسه، وفسره الإمام ابن المبارك رحمه الله: بأن يكون من مال حلال، وهناك من قال في تفسير (قرضاً حسناً) لا

(١) - البقرة، الآية: ٢٤٥.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث: ٢٥٦٩.

يمنّ به ولا يؤذي، واختلف المفسرون في قراءة قوله تعالى: (فَيُضَاعِفُهُ لَهُ)، فقد ذهب قوم إلى أنه من التضعيف، أي: "فَيُضَعِّفُهُ" من باب التفعيل، واختار آخرون قراءته: فيضاعفه، أي: بالألف مخففاً، أما تحديد الأضعاف ومدى التضعيف فهو أمر لا يعلمه إلا الله -عزّ وجلّ-، وقيل: المراد به سبع مائة ضعفٍ، وكذا حدث اختلاف في قراءة كلمة: "يبسط" في قوله: (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ)؛ فقد قرأها أهل البصرة وحمزة: "يبسط" بالسین المهملة، وأما الآخرون فقرأوها: "يبسط" بالصاد المهملة، وهناك رأي ضعيف آخر في تفسيره، وهو: يقبض إذا أمسك الرزق والنفس والتقدير، بينما يبسط بالتوسيع والتفسيح، وقيل: يقبض حيث يقبل التوبة والصدقة، ويبسط بالخلف والثواب، وورد قول آخر أيضاً، وهو: أن يعنى بهما الإحياء والإماتة، فمنّ أماته الله فقد قبضه ومن مدّ له في عمره فقد بسط له، ومعنى قوله تعالى: (وَالِيهِ تُرْجَعُونَ) إليه إيابكم وعودتكم في نهاية المطاف؛ فيجزى من يعمل مثقال ذرة خيراً بما له، ومن يعمل مثقال ذرة شراً بما عليه، وإنه ليس بظلام لخلقه!

يقول ابن عطية في تفسير الآية: "ويروى أن هذه الآية لما نزلت قال أبو الدحداح: "يا رسول الله، أو إن الله يريد منا القرض؟" قال: "نعم، يا أبا الدحداح"، قال: "فإني قد أقرضت الله حائطي"، لحائط فيه ستمائة نخلة، ثم جاء الحائط وفيه أم الدحداح، فقال: "أخرجني فإني قد أقرضت ربي حائطي هذا"^(١).

يظهر من بيان القاضي ابن عطية الأندلسي واضحاً أن أداة "من" الاستفهامية استعملت هنا في معناها اللغوي صراحة، وهو السؤال عن العاقل.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٣٢٩.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّ كُفْرًا أَنْ تَقْتُلُوا﴾^(١).

محل الاستفهام: "هل عسيتم؟".

المعنى اللغوي الصريح: الاستفهام عن مضمون المقالة.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانًا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٢).

محل الاستفهام: "وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله؟".

المعنى اللغوي الصريح: الاستفهام عن غير العاقل.

لكي يتضح تفسير الآية الكريمة ويتبين من الضروري أن يتم تفصيلها بتمامها، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، والملائ من القوم: أعيانهم وأشرفهم، والملائ أصلاً جاء في معنى: الجماعة من الناس، ولا واحد له من لفظه، مثل: القوم والرهط والإبل والخيل والجيش؛ إذ لا مفرد لها من ألفاظها، ويأتي جمعه على: أملاء، (من بعد موسى) يعني: من بعد موت موسى -عليه السلام- (إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ) واختلف المتأولون في اسم نبي الله -عليه السلام- الذي هنا؛ فذهب قتادة -رحمه الله- إلى أن المراد به هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف -عليه السلام-، والسدي -رحمه الله- إلى أن اسمه شمعون، وقصة وجه تسميته بهذا الاسم تعود إلى أن أمه تضرعت إلى الله -عز وجل- أن يرزقها غلاماً، فاستجاب الله دعائها، فوهبها غلاماً، فوضع اسمه: شمعون، يعني: سمع الله -تعالى- دعائي، فالسين تقرأ شينا في اللغة العبرانية، وهو شمعون بن صفية بنت علقمة من ولد لاوي بن يعقوب -عليه السلام-، لكن ذهب سائر المفسرين (أبو جعفر وغيرهم) إلى أن المعنى به هنا في هذه الآية هو: إثمويل، وهو باللغة العبرانية: إسماعيل بن يال بن علقمة.

(١) - البقرة، الآية: ٢٤٦.

(٢) - البقرة، الآية: ٢٤٦.

وقوله: ﴿قَالُوا وَمَالَنَا أَلَا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما قال لهم: هل أنتم قريب من التولي والفرار، إن كتب عليكم القتال؟ قالوا: ولماذا لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وفرقنا عن أبنائنا؟ هذا لأنهم كانوا متحمسين وقتئذ، وتمنوا ذلك أوقات الأنفة، وهذا دأب الأمم المتنعة المائلة إلى الدعة والاسترخاء، ثم أخبر تعالى عنهم أنه لما كتب عليهم القتال، وعرفوا أن الحرب حضرت، ولا بد من التعرض لها والخوض فيها - تولوا وأدبروا، وترددت نياتهم وفترت عزائمهم، وانقادوا لهوهم. وأداة الاستفهام "ما" أي: لماذا؟ واضحة جدا في معنى السؤال عن السبب والعلة، يقول ابن عطية في معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَمَالَنَا أَلَا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: "المعنى: وأي شيء يجعلنا ألا نقاتل وقد وترنا وأخرجنا من ديارنا؟" وهو صريح في معنى الاستفهام أيضا، ولفظه لفظ استفهام، وقد دلّ على المعنى اللغوي لأداة "ما" صراحة.^١

١٢ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ

الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾^(٢).

محل الاستشهاد: "أنى يكون له الملك؟".

المعنى اللغوي الصريح: الاستفهام بمعنى كيف؟

لما طالبوا إشمويل أن يبعث لهم ملكا، يقاتلوا في سبيل الله، سأل الله - تعالى - أن يبعث لهم ملكا، فجاء بعضا وقرن فيه دهن القدس، وأشير عليه أن صاحبكم الذي يبلغ طوله طول هذه العصا، وانظر هذا القرن الذي فيه الدهن، فإذا أتاك رجل، ونشّ الدهن، فهو ملك بني إسرائيل، فابعثه لهم ملكا، وادهن بالزيت رأسه واجعله ملكا عليهم، وكان طالوت من اولاد بنيامين اسمه بالعبرانية: شاول بن قيس انتزع من اولاد بنيامين بن يعقوب - عليه السلام - سمي بهذا الاسم لأنه كان

^١ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٣٩٠

^(٢) - البقرة، الآية: ٢٤٧.

طويلاً، أطول من أيّ أحد برأسه ومنكبيه، وكان رجلاً يعمل في دباغة الأديم، وقال البعض: إنه كان رجلاً سقياً، يجلب الماء على حمار له من النيل، وذات يوم ضلّ حماره فخرج في طلبه حتى دخل على إشمويل -عليه السلام -، وصدقه ما قيل لإشمويل من آيات، بحق من بيعته لبني إسرائيل ملكاً، حيث دخل ونشّ الدهن الذي في القرن، وقام إليه إشمويل -عليه السلام - فقاس طولَه بالعصا، فتعادت طولَه، فطلب منه أن يقرب رأسه، فقربه فدهنه بدهن القدس، ثم بشره بأنك ملك بني إسرائيل، الذي أمرني الله -تعالى- أن أملكك عليهم، ثم دار بينما حوار طويل، لا نتعرض لتحريره لأن المكان لا يسعه، هذا وإلى ما هنالك من الآراء والأقوال التي وردت في حكايته،

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ ثم لما بشر بني إسرائيل نبيهم أن الله -تعالى- قد بعث لكم طالوت ملكاً، عارضوه ولم يوافقوا على كونه ملكاً عليهم، وقالوا: (أنى يكون له الملك علينا) أي: من أين يكون له الملك علينا؟ وكيف؟ (ونحن أحق بالملك منه) يعنون به أنهم أولى وأكثر استحقاقاً بالملك من طالوت! إنما عارضوا هذا؛ لأنه كان في بني إسرائيل سبطان: سبط النبوة وسبط المملكة، فكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب -عليه السلام- ومنه جاء موسى وهارون -عليهما السلام- وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب -عليه السلام-، ومنه بعث داود وسليمان -عليهما السلام-، أما طالوت فلم يخرج من أحدهما، بل كان من سبط بنيامين بن يعقوب -عليه السلام-، وكانوا قد وقعوا في ذنب عظيم؛ إذ كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهاراً، فأنزله الله -تعالى- عليهم غضبه، ونزع الملك والنبوة عنهم، وكان يطلق عليهم: سبط الإثم، فلما أخبرهم نبيهم ببعث الله لهم طالوت ملكاً، أنكروا عليه ولم يرضوا بذلك؛ لأنه لم يكن من سبط المملكة، وزادوا عليه أن طعنوه بأنه فقير، ولم يؤت سعة من المال، فنبتهم على سوء اعتقادهم واستكبارهم، فقال: (إن الله اصطفاه) أي: اختاره وانتخبه عليكم، وزاده بسطة: يعني

بذلك فضيلة وسعة في العلم والجسم، وهذا لأن كان أعلم بني إسرائيل في زمنه، وقيل: الجسم بالطول، وقيل: الجسم بالجمال، وكان أجمل رجل في بني إسرائيل في عصره وأعلمهم! (والله يوتي ملكه من يشاء والله واسع عليم) والواسع: ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى، والعليم أي: العالم، وهناك توجيه آخر فيه، وهو أن العالم يكون علمه بما كان، والعليم يكون علمه بما يكون. والحكاية باختصار أنه لما طلب الملائمة من بني إسرائيل من نبيهم ما طلبوا، دعا الله تعالى أن يبعث لهم ملكا، ويدله إليه، فأخبره الله تعالى بأن انظر إلى القرن الذي فيه الدهن في بيتك، وآية ذلك الملك أنه إذا دخل عليك فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل، وما يلزمك أنت هو أن تدهن رأسه وتجعله ملكا عليهم، وكان طالوت رجلا دباغا، وكان من سبط بنيامين بن يعقوب..

يقول القاضي ابن عطية في تفسير الآية: "ثم إن بني إسرائيل تعنتوا وحادوا عن أمر الله تعالى، وجروا على سننهم فقالوا: ﴿أَنْتَى يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ﴾، أي: لأنه ليس في بيت ملك ولا سبقت له سابقة"^(١). نظرا إلى الاستعمال اللغوي لهذه الأداة "أَنْتَى" أي: من أين؟ أو كيف، يتضح جليا من بيان القاضي ابن عطية أنها استخدمت في معناها اللغوي صراحة.

١٣ - قوله تعالى: ﴿أَوْ كَأَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنْتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٢).

محل الاستشهاد: "أَنْتَى يَحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟".

المعنى اللغوي الصريح: الاستفهام بمعنى من أيّ طريق وبأيّ سبب؟

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٣٣٢.

(٢) - البقرة، الآية: ٢٥٩.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾، هذه الآية الكريمة سبقت على الآية التي قبلها، وهي: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ ويكون المعنى: وإلى الذي مرَّ على قرية؟ وقيل: يكون تقديره: هل رأيت كالذي حاجَّ إبراهيم في ربه؟ وهل رأيت كالذي مرَّ على قرية؟ واختلفوا في الذي مرَّ، وتعددت الأقوال في تحديده، وهي كالتالية:

- هو عزيز بن شرخيا.

- هو أرميا بن حلقيا.

- كافر شكَّ في البعث.

تماما كما حدث اختلاف بين المتأولين في تحديد القرية المذكورة في الآية الكريمة، والأقوال فيها كالآتي:

- المراد بها بيت المقدس.

- يراد بها دير سابر آباد.

- مسلم آباد.

- دير هرقل.

- هي الأرض التي جعلها الله -تعالى- مكان هلاك للذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت.

- المراد بها قرية عنب، التي تقع على فرسخين من بيت المقدس.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(١).

محل الاستفهام: "كيف تحي الموتى؟".

المعنى اللغوي الصريح: الاستفهام عن حال إحياء الموتى وكيفيته؟

تعود قصة نبي الله إبراهيم -عليه السلام- هذه إلى أنه ذات مرة رأى الجيفة تأكل منها الحيتان ودواب البر، أو رأى دابة قد وزعتها السباع على اختلاف أقوال المفسرين فيه -فعجب وسأل هذا السؤال، وما كان استفهام إبراهيم -عليه السلام- عن هيئة إحياء الله الموتى وكيفيته من شك في قدرته تعالى على ذلك، لكنه طلب المعاني، وهذا الذي اختاره الجمهور في تأويل هذه الآية، وليطمئن قلبه، والشاهد بذلك جوابه عندما سأله الله تعالى تقريراً: ﴿أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ؟﴾ قال: ﴿بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

كل ما في الأمر أن أداة الاستفهام "كيف" تحمل هنا معناها اللغوي وهو الاستفهام عن هيئة الإحياء وكيفيته، وبه صرح القاضي ابن عطية -رحمه الله- في ذيل تفسير الآية الكريمة، حيث قال: "وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو عن حال شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤول، نحو قولك: كيف علم زيد؟ وكيف نسج الثوب؟ ونحو هذا، ومتى قلت: كيف ثوبك؟ وكيف زيد؟ فإنما السؤال عن حال من أحواله... ونحو قول البخاري: كيف كان بدء الوحي؟، و ﴿وكيف﴾ في هذه الآية إنما هي استفهام عن هيئة الإحياء، والإحياء متقرر"^(٢).

(١) - البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٣٥٣.

المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام التي وردت في سورة آل عمران:

قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ لِمَرِيَمِ أَنْى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

محل الاستشهاد: "أنى لك هذا؟".

المعنى اللغوي الصريح: الاستفهام بمعنى كيف ومن أين؟

نذرت امرأة عمران وقالت: ربّ إني أخذت نذرا أن يكون هذا الولد الذي في بطني، خادما لبيتك بيت المقدس، عتيقا من كل شغل من أشغال الدنيا، لكن وضعت أنثى، فقالت: رب إني وضعتها أنثى، تلهفا وإصرارا صادقا، هذا لأنهم كانوا لا يحررون الإناث لخدمة الكنائس، ولا يجوز ذلك عندهم، وكانت امرأة عمران رجحت أن يكون ما في بطنها ذكرا وسمتها مريم، ولأن دعوتها هذه كانت مبنية على نية صادقة تقبلها ربها بقبول حسن، وحسن نشأتها ويسر تربيتها تربية جيدة سريعة خلقة وخلقا، وكان زكرياء هو المرابي الحاضن لها؛ لكونه قريبا من أقاربها. وكلما دخل عليها زكرياء وجد عندها رزقا، فعجب وسأل: يا مريم أنى لك هذا؟ أي: كيف ومن أين لك هذا الرزق؟ قال أبو عبيدة: معناه: من أين لك هذا؟ {وأنكرت النحاة هذا، وقالوا: هذا تساهل من أبي عبيدة، وبينهما فرق، ف " أنى " للسؤال عن الجهة، و " أين " للسؤال عن المكان^٢

(١) - آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) تفسير القرآن المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ -

في هذه الآية الكريمة استعملت الأداة الاستفهامية "أني" في معناها الذي وضع لها لغة، ألا وهو: الاستفهام بمعنى كيف ومن أين؟ أي: عجب زكرياء -عليه السلام- من كثرة الرزق التي وجدها عند مريم فقال: يا مريم من أين تحصلين على هذا بهذه الكثرة؟ وكيف يأتيك هذا يا مريم؟ وبه صرح القاضي أبو محمد ابن عطية الأندلسي في تفسير الآية الكريمة، حيث قال: "وقوله: ﴿أني﴾ معناه: كيف ومن أين؟"^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرًا نِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٢).

محل الاستشهاد: "أني يكون لي غلام؟".

المعنى اللغوي الصريح: الاستفهام بمعنى كيف يكون؟

ذكرت صاحبة الإعجاز القرآني في تفسيرها، وبملحظ دقيق من تقرير التكامل بين الزوجين، لم يستعمل القرآن الكريم كلمة "زوجة" - وإن صحت عربيةً - في الإفراد ولا في التثنية والجمع، بل هي زوجه وهو زوجها، وهما زوجان، وهن أزواجهن وهم أزواجهن،.. يترد ذلك حيثما وردت الكلمة في البيان القرآني والمحققون من فقهاء العربية لم ينكروا الترادف في الألفاظ التي تختلف حروفها وموادها فحسب، بل أنكروه كذلك في الألفاظ تتفق مادتها وحروفها، وتختلف صيغها

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٤٢٧.

(٢) - آل عمران، الآية: ٤٠.

وأبنيتهما - إلا أن يجيء ذلك في لغتين - بل إنه لا يجوز أن تختلف الحركتان في الكلمتين ومعناها واحد.^١

قال صاحب إعراب القرآن للدعاس: «أَنِّي» اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب على الحال،^٢

اختلف المفسرون في أن زكرياء لم قال: رب أنى يكون لي غلام؟ فقال عكرمة والسدي: إنه نودي بهذه البشارة، جاء الشيطان يكدر عليه نعمة ربه، فقال: هل تدري من ناداك؟ قال: ناديتي ملائكة ربي، قال بل ذلك الشيطان، ولو كان هذا من عند ربك لأخفاه لك كما أخفيت نداءك، قال: فخالطت قلبه وسوسة وشك مكانه، فقال: رب أنى يكون لي غلام؟ وهناك تأويل آخر حسن يليق بشأن زكرياء -عليه السلام-، ذكره ابن عطية في تفسيره، وهو ما يلي:

وقال النحاسي صاحب تفسير معاني القرآن: وقوله تعالى قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقرا يقال كيف استنكر هذا وهو نبي يعلم ان الله يفعل ما يريد ففي هذا جوابان احدهما ان المعنى بأى منزلة استوجبت هذا على التواضع لله وكذلك قيل في قول مريم أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر والجواب الاخر ان زكريا أراد ان يعلم هل يرد شابا وهل ترد امراته وهل يرزقهما الله ولدا من غير رد أو من غيرها فأعلم الله عز وجل انه يرزقهما ولدا من غير رد فقال عز وجل كذلك يفعل الله ما يشاء^٣

(١) : الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ الناشر: دار

المعارف الطبعة: الثالث ص: ٦٠٣

(٢) : إعراب القرآن الكريم المؤلف: أحمد عبيد الدعاس - أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم الناشر: دار المنير ودار

الفارابي - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، ص، ٧٩

(٣) : معاني القرآن المؤلف أبو جعفر النحاس أحمد بن النحاس المحقق محمد علي الصابوني الناشر: أم القرى مكة المكرمة الطبعة

الأولى ١٤٠٩، ص ٢٠٦

قال أحمد عبدالله في تفسيره من بلاغة القرآن: فأغفل القرآن الحديث عن مجيء الغلام، ونشأته، وترعرعه، مما ليس بعنصر أساسي في القصة، ما دامت مخاطبته بأخذ الكتاب مغنية عنه، ونهج القرآن ذلك النهج في كثير من قصصه، ويدخل البلغاء كل ما ذكرناه من الحذف في باب الإيجاز.^(١) يقول القاضي ابن عطية الأندلسي في تفسير هذه الآية: "وذهب الطبري وغيره إلى أن زكرياء - عليه السلام- لما رأى حال نفسه وحال امرأته، وأنها ليست بحال نسل، سأل عن الوجه الذي به يكون الغلام، أتبدل المرأة خلقها أم كيف يكون؟ و﴿أَنَّى﴾ معناها: كيف ومن أين؟".

صرح ابن عطية في تفسير الآية بقوله: "سأل عن الوجه الذي به يكون الغلام"^(٢)، وهو استفهام صريح، تحقق من بيانه أن الأداة الاستفهامية "أَنَّى" جاءت في معناها الذي وضعت لها لغة، وهو صريح لفظا ولغة ومعنى.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾^(٣).
محل الاستشهاد: "أَنَّى يكون لي ولد؟".

المعنى اللغوي الصريح: الاستفهام بمعنى كيف ومن أين يكون؟

إنما قالت مريم: {رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ} على جهة استفهام عن جهة حملها واستغراب للحمل على حال بكارتها، و {لَمْ يَمَسِّنِي}، يحتمل معاني عدة، ويقصد به هنا الوطاء والجماعة، والمسيب الجماع، ومريم لم تنف مسيب الأيدي، وفي قوله: {كَذَلِكَ} إشارة إلى أن تكون هذه القدرة التي

(١) من بلاغة القرآن المؤلف: أحمد أحمد عبد الله الببلي البدوي، الناشر: نهضة مصر - القاهرة عام النشر: ٢٠٠٥، ص ٣٠٤

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب، ج ١، ص ٤٣١.

(٣) - آل عمران، الآية: ٤٧.

تتضمنها البشارة بالكلمة، ويحتمل أن تكون إلى حال مريم وبكارتها، وجاء التعبير في أمر زكريا "يفعل" وجاء هنا {يخلق}، لأن أمر زكريا يدخل في الإمكان الذي يتعارف وإن قلّ وندر، وقصة مريم لا تتعارف البتة، فلفظ الخلق أقرب إلى الاختراع وأكثر دلالة عليه، وروي أن عيسى عليه السلام، ولد لثمانية أشهر فلذلك لا يعيش من يولد من غيره لمثل ذلك، وقوله تعالى: {إذا قضى} معناه إذا أراد إيجاد، والأمر واحد الأمور.

وردت أداة الاستفهام "أنى" هنا أيضا في معناها اللغوي صراحة، أي: للاستفهام بمعنى من أين؟ وكيف؟ ويدلّ على ذلك تصريح القاضي ابن عطية الأندلسي به في تفسيره،

حيث يقول: "وقول مريم: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ استفهام عن جهة حملها"^(١).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسَلِّمُونَ﴾^(٢).

محل الاستفهام: "من أنصاري إلى الله؟".

المعنى اللغوي الصريح: سؤال وطلب من ينصره في السبيل إلى الله؟

بعث نبي عيسى -عليه السلام- كما بشر الله به، وأخبر جميع ما ذكر لبني إسرائيل، {فلما أحس} أي: علم من جهة الحواس بما سمع من أقوالهم في تكذيبه، ورأى من قرائن الأحوال وشدة الطغيان والإعراض، {والكفر} هو التكذيب به، ويروى أنه -عليه السلام- لما شعر أو علم أنهم يريدون قتله، حينئذ طلب النصر، وقوله تعالى: {قال من أنصاري إلى الله} عبارة عن حال عيسى

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٤٣٧.

(٢) - آل عمران، الآية: ٥٢.

في طلبه مَنْ يقوم بالدين ويؤمن بالشرع ويحميه، كما كان مُجَدِّ عليه السلام يعرض نفسه على القبائل ويتعرض للأحياء في المواسم، وهذه الأفعال كلها وما فيها من أقوال يعبر عنها يقال {من أنصاري إلى الله}، وقوله: {إلى الله} يحتل معنيين، أحدهما: من ينصرتني في السبيل إلى الله؟ فتكون {إلى} دالة على الغاية دلالة ظاهرة على باهما، وثانيهما: أن يكون التقدير: "مَنْ يضيف نصرته إلى نصره الله لي؟"

قال صاحب الدراسات لعلوم القرآن: {من أنصاري إلى الله} أي مع الله، ليس أن [إلى] في اللغة بمعنى [مع]، ألا تراك لا تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد: سرت مع زيد، هذا لا يعرف في كلامهم.^١

ووافق ابن قتيبة في هذا المعنى فقال: {قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} أي: من أعواني مع الله؟^٢ لكي يتم تقريب محل الاستشهاد إلى الفهم والبيان أكثر لا بد من استعراض تفسير القاضي ابن عطية الأندلسي - رحمه الله - لهذه الآية الكريمة استدلالاً وتأيداً، حيث يقول: "وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ عبارة عن حال عيسى في طلبه من يقوم بالدين ويؤمن بالشرع ويحميه.... وقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ يحتل معنيين: أحدهما: من ينصرتني في السبيل إلى الله؟ فتكون {إلى} دالة على الغاية دلالة ظاهرة على باهما، والمعنى الثاني: أن يكون التقدير: من يضيف نصرته إلى نصره الله لي؟"^(٣).

(١) : دراسات الأسلوب القرآن الكريم المؤلف: مُجَدِّ عبد الخالق عزيمة ،محمود مُجَدِّ شاكر الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة

١٤٢٥هـ. ص ١٩٧

(٢) غريب القرآن المؤلف: أبو مُجَدِّ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية لعلها

مصورة عن الطبعة المصرية السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ص ٣٧٢

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٤٤٢.

قد تبين من تفسير القاضي ابن عطية أن "من" الاستفهامية جاءت في هذه الآية الكريمة في المعنى الذي بنيت عليها لغة صراحة، وهو الاستفهام عن العاقل، إذ إن نبي الله عيسى -عليه السلام- يسأل ويطلب من ينصره في سبيل الدعوة إليه تعالى، أو من يضيف نصرته إلى نصره الله له حسب اختلاف استعمال "إلى".

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَاهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

محل الاستفهام: "كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم؟".

المعنى اللغوي الصريح: الاستفهام عن الحال؟

يجدر بنا أن نقف أولا وقفة استعراض للحادث الذي صار سببا في نزول هذه الآية الكريمة، وهو ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: نزلت هذه الآيات: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ...﴾ في الحارث بن سويد الأنصاري، كان مسلما ثم ارتدّ ولحق بالشرك، ثم ندم، فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله -ﷺ-: هل لي من توبة؟

قال: فنزلت ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ﴾ الآيات، إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ فأرسل إليه قومه، فأسلم. وهناك تفاسير أخرى مأثورة في بيان سبب نزولها، كلها تحمل في طياتها أنها نزلت في شخص أو عدّة أشخاص، أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بالكفار، ثم كتبوا إلى أهلهم يسألونهم: هل لنا من توبة؟ فنزلت هذه الآيات حتى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾. منهم صاحب صحيح المسند من أسباب النزول، فقال: قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتدّ ولحق بالشرك ثم ندم فأرسل

(١) - آل عمران، الآية: ٨٦.

إلى قومه: أرسلوا إلى رسول الله هل من توبة قال: "فنزلت" {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} ^١

يقول القاضي الفقيه، الإمام الكبير أبو محمد ابن عطية الأندلسي: "وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ﴾ سؤال عن حال، لكنه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد للأمر، كما قال -عليه السلام-: كيف تفلح أمة أدمت وجه نبيها؟" ^(٢).

ووافقه صاحب روح البيان فقال: فكأنه تعالى قال كيف يخلق فيهم المعرفة والاهتداء وهم فصدوا تحصيل الكفر وأرادوه ^٣

ينتج من تحليل ابن عطية واضحا أن أداة الاستفهام "كيف" حملت هنا معناها اللغوي صراحة، وهو الاستفهام عن الحال والكيفية، وقد مضى تفصيله وتحليله في المدخل من الباب الذي يجري البحث فيه.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْآ أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلِيهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(٤).

محل الاستفهام: "أنى هذا؟"

المعنى اللغوي الصريح: الاستفهام بمعنى كيف ومن أين؟

(١) الصحيح المسند من أسباب النزول المؤلف: مُقْبَلُ بْنُ هَادِي بْنِ مُقْبِلِ بْنِ قَائِدَةَ الْهَمْدَانِي الْوَادِعِيُّ

الناشر: مكتبة ابن تيمية القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٢١٦

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٤٦٨.

(٣) روح البيان المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الحلوتي، المولى أبو الفداء، الناشر: دار الفكر بيروت،

الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص ١٣٠

(٤) - آل عمران، الآية: ١٦٥.

تحدث الآية الكريمة عن قلق المؤمنين حين قتل سبعون منهم يوم أحد، أو تقلقون لما أصابتكم مصيبة وتعرضون عما نزل بالكفار، وقد أصبتم مثلها يوم بدر، أي: قتل سبعين من كفار قريش، وأسر سبعين، وكأنهم استفهموا بعضهم بعضاً: كيف أصابتنا هذه المصيبة ومن أين؟ فأعلمهم الله بأنهم على خطأ في قلقهم هذا، إذ ألمت بهم هذه الحادثة الفجيعة بسبب من عند أنفسهم، وأول جمهور المفسرين السبب أنهم خالفوا رسول الله - ﷺ - في الرأي حين رأى أن يقيم بالمدينة ويترك كفار قريش بشر محبس، فأبوا إلا الخروج ونتيجة لذلك حدث ما حدث.

يقول ابن عطية الأندلسي في تحليل معنى أداة الاستفهام "أني" التي وردت في هذه القصة: "و ﴿أني﴾ معناها: كيف ومن أين؟ ثم أمر تعالى نبيه أن يقول لهم: ﴿هو من عند أنفسهم﴾".
 وضعت أداة الاستفهام "أني" لغة للسؤال بمعنى كيف ومن أين؟، وهو الذي يتحقق من تحليل ابن عطية وقصة نزول هذه الآية الكريمة التي مرّت في الأسطر أعلاه صراحة، إذ يصرّح قائلاً: و ﴿أني﴾ معناها: كيف ومن أين؟ بالإضافة إلى أنه لم يورد فيه ما يخالفه معنى ولا دلالة.
 ولقد وافقه ابن عاشور في هذا المعنى فقال: و (أني) استفهام بمعنى من أين قصدوا به التعجب والإنكار.^١

فكلام ابن عاشور يدل بأن الاستفهام هنا بمعنى من أين وكيف.

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ص ١٦١ ج ٤

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾

محل الاستشهاد: "ماذا أحل لهم"

إثبات الدعوي:

قال ابن عطية - رحمه الله - سبب نزول هذه الآية أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فوجد في البيت كلبا فلم يدخل فقال له النبي ﷺ ادخل فقال: أنا لا أدخل بيتا فيه كلب فأمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب فقتلت حتى بلغت العوالي فجاء عاصم بن عدي وسعد بن خيثمة وعويم بن ساعدة فقالوا يا رسول الله، ماذا يحل لنا من هذه الكلاب؟^١ يدل كلام كلام ابن عطية - رحمه الله - بأن الاستفهام هنا في معناه اللغوي بمعنى "أي شيء"، لأن السائل سأل عن هذه الكلاب المقتولة فقال: أي شيء يحل لنا من هذه الكلاب،

"يسئلونك ماذا أحل لهم" قال الإمام الأخفش: وقال {ماذا أحل} فان شئت جعلت "ذا" بمنزلة "الذي" وان شئت جعلتها زائدة.^٢ والقصة أن الناس سئلوا عن الطيبات بعد بين - عزوجل - المحرمات، وإما سؤال عن الكلاب المقتولة بعد ما أمر النبي ﷺ بقتلها، فأجابهم عزوجل أي قد حللت لكم الطيبات، قال صاحب أعراب القرآن للنحاس: ^٣ يسئلونك ماذا أحل لهم ما في

^١ - سورة المائدة الآية ٤

(٢) :المحرر الوجيز ابن عطية الأندلسي، ص ١٥٥ ج ٢

(٣) معاني القرآن للأخفش [معتزى] المؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت

٢١٥ هـ الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ٢

(٤) : إعراب القرآن أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨ هـ) وضع حواشيه وعلق

عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم الناشر: منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ

موضع رفع بالابتداء، والخبر المميّنة والدّم وذا زائدة. والمراد من الطيبات هنا كل ما يفيد الانسان ولا يضر وإما المراد منها كل يستطيب طبائع الناس ولا يكرها، وقال البعض المراد منها، الحلال لأنه وردت بعد المحرمات، "وما علمتم من الجوارح" هنا المضاف محذوف أي صيد ما علمتم من الجوارح كالفهد والكلاب وسباع طير كالبزة والصقور والباز وغير ذلك، "مكبلين" على وزن فاعل، يقال لرجل الذين يعلم الكلاب كيف تتأتى علي الصيد، وقد ظهر من هنا فضيلة الإنسان بأن الله تعالى ميزه بين المخلوقات بسبب العلم، قال الطنطاوي في تفسيره: وفي قوله يَسْتَلُونَكْ ماذا أُحِلَّ لَهُمُ التفتات من الحاضر إلى الغائب، لأن في السياق حكاية عنهم كما يقال: أقسم فلان ليفعلن كذا، لأن هذا الالتفات أدعى إلى تنبيه الأذهان، وتوجيهها إلى ما يراد منها.^١ الآن ماهي طريقة التعليم ومتى نسمي الكلب بأن تعلم الصيد اختلف فيه أقوال المفسرين قال ابن عاشور: فأما شرط التعليم فاتفقوا على أنه إذا أشلي، فانشلي، فاشتد وراء الصيد، وإذا دعي فأقبل، وإذا زجر فانزجر، وإذا جاء بالصيد إلى ربه، أن هذا معلم. وهذا على مراتب التعلم. ويكتفى في سباع الطير بما دون ذلك: فيكتفى فيها بأن تؤمر فتطيع. وصفات التعليم راجعة إلى عرف أهل الصيد، وأنه صار له معرفة، وبذلك قال مالك، وأبو حنيفة، والشافعي: ولا حاجة إلى ضبط ذلك بمرتين أو ثلاث، خلافا لأحمد، وأبي يوسف، ومحمد.^٢

"فكلوا مما أمسكن عليكم واذكر الله" مما أمسكن هذا احتراز عن أن يجد أحد صيدا ولم يصدده هو، لأنه ربما مات الموت المعتاد، واذكر اسم الله عليه فيه تنبيه على من يرسل الكلاب خلف الصيد بأن يذكر اسم الله عليه وقت إرساله لأن الصيد يموت في فيه قبل أن يدركه.

(١) : التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة -

القاهرة الطبعة: الأولى

(٢) : التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ١١٦ ج ٦

قوله تعالى: أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يوفكون الآية^١

ومحل الاستشهاد: "كيف"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه اللغوي ولقد صرح به الإمام ابن عطية رحمه الله في تفسيره وإليك المرجع

ورد هذه الآية بعد قول النصارى بأن عيسى عليه السلام ثالث ثلاثة وهو إله، فرد سبحانه وتعالى قولهم حيث قال: عيسى عليه السلام ما كان إلا رسولا كالرسل السابقين ثم أراد أن يزيد في صدقه وصف أمه بصدقه وأثبت لهما من صفات الإنس الأكل والشرب، إن كان إله فالإله لا يأكل ويشرب، هذه علامات ظاهرة باهرة لا تجهل ولا تخفى إلا على الغبي أو المعاند، هنا كيف استعمل في سؤال الشأن ولكن السؤال هنا عن شان الحال ، وقال سيبويه معناها كيف ومن أين؟ نستمع إلى قول ابن عطية رحمه الله يقول:

ثم أمر تعالى مُحَمَّدًا ﷺ وفي الضمن أمته بالنظر في ضلال هؤلاء القوم وبعدهم عن سنن الحق، وأن الآيات تبين لهم وتبرز في غاية الوضوح، ثم هم بعد ذلك يصرفون أي تصرفهم دواعيهم ويزيلهم تكسلهم عن الحق، وكيف في هذه الآية ليست سؤالا عن حال لكنها عبارة عن حال شأنها أن يسأل عنها بكيف، وهذا كقولك: كن كيف شئت فأنت صديق،^٢

وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير:

واستعمل الأمر بالنظر في الأمر بالعلم لتشبيه العالم بالرأي والعلم بالرؤية في الوضوح والجلاء، وقد تقدمت نظائره. وقد أفاد ذلك معنى التعجيب. ويجوز أن يكون الخطاب للرسول - عليه السلام -.

(١) سورة المائدة الآية ٧٥

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ص ٢٢٢ ج ٢

والمراد هو وأهل القرآن. وكيف اسم استفهام معلق لفعل انظر عن العمل في مفعولين، وهي موضع المفعول به ل انظر، والمعنى انظر جواب هذا الاستفهام. وأريد مع الاستفهام التعجيب كناية، أي انظر ذلك تجد جوابك أنه بيان عظيم الجلاء يتعجب الناظر من وضوحه. يتضح من كلام ابن عاشور أن الاستفهام هنا بمعنى التعجب محل الاستشهاد: "أني"

معنى الاستفهام الدلالي الصريح: " بمعنى أين ومن أي جهة الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه اللغوي المجازي، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره المحرر الوجيز حيث قال: وأنى معناها من أي جهة، قول سيبويه معناها كيف ومن أين، ويؤفكون معناه: يصرفون^١.

يدل صراحة كلام ابن عطية رحمه الله بأن الاستفهام هنا في معناه اللغوي بمعنى كيف و من أين وافقه ابن عاشور في هذا المعنى حيث قال :وقوله: ثم انظر أنى يؤفكون.وأنى اسم استفهام يستعمل بمعنى من أين، ويستعمل بمعنى كيف. وهو هنا يجوز أن يكون بمعنى كيف (كما) في «الكشاف» ، وعليه فإنما عدل عن إعادة كيف تفننا. ويجوز أن تكون بمعنى من أين^٢، كأن ابن عاشور استدل لكلامه بكلام "الكشاف" وقال أن يكون بمعنى كيف.

(١) نفس المصدر ص ٢٢٢ ج ٢

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ص ٢٨٧ ج ٦

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ

الآية. ١٨٧

محل الاستفهام ﴿أَيَّانَ﴾

معنى الاستفهام اللغوي الصريح: "متى"

إثبات الدعوى: أن الاستفهام هنا استعمل في معناه اللغوي أعنى بمعنى "متى" ولقد صرح به ابن

عطية رحمه الله في تفسيره كما سنذكره لاحقا.

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه اللغوي، قال محمد بن عبدالعزيز: {أَيَّانَ مُرْسَاهَا} ... مَتَى
وُقُوعُهَا. ومعنى الآية: إن الله تعالى ذكر في هذه الآية من شنشنة المشركين وكفار مكة، كانوا
يسألون النبي ﷺ عن الساعة ويتوسلون بقرابتهم مع النبي ﷺ ووقت وقوعها ليقحمونه، وقال ابن
عباس رضى الله عنه: أن السائلين في هذه الآية اليهود، واستدل بأن جبل بن أبي قشير وسمويل بن
زيد قالوا له إن كنت نبيا فأخبرنا عن وقت الساعة لأننا عارفون به، إن صدقت في هذا آمننا بك
وسلمناك.

المراد من "الساعة" في الآية يوم القيامة، فقال تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المستهزين بك بأن علم

الساعة عند الله تعالى لا يعرفها أحد، وستعرفون بعد ما يحين حينه،

^١ - الأعراف

^(٢) : السراج في بيان غريب القرآن المؤلف: محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيرى الناشر: بدون ناشر (فهرسة مكتبة الملك فهد

الوطنية - الرياض) الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م عدد الصفحات: ٤٣١

الاستفهام "أيان" هنا في معناه اللغوي أي "متى" ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره "المحرر الوجيز" فقال: وقوله تعالى: يسئلونك عن الساعة الآية، قال قتادة بن دعامة المراد يسألونك كفار قريش، وذلك أن قريشا قالت يا مُحَمَّدُ إنا قرابتك فأخبرنا بوقت الساعة، قال ابن عباس: المراد بالآية اليهود، وذلك أن جبل بن أبي قشير وسمويل بن زيد قالوا له إن كنت نبيا فأخبرنا بوقت الساعة فإننا نعرفها فإن صدقت آمنا بك، والساعة القيامة موت كل شيء كان حينئذ حيا وبعث الجميع، هو كله يقع عليه اسم الساعة واسم القيامة، وأيان معناه متى وهو سؤال عن زمان ولتضمنها الوقت بنيت^١.

كلام ابن عطية ظاهر في مراده بأن المراد من الاستفهام هنا معناه اللغوي ألا هو "متى".

ووافقه في هذا المعنى ابن عاشور رحمه الله في تفسيره "التحرير والتنوير" فقال:

وأيان اسم يدل على السؤال عن الزمان وهو جامد غير متصرف مركب من (أي) الاستفهامية و (آن) وهو الوقت، ثم خففت (أي) وقلبت همزة (آن) ياء ليتأتى الإدغام، فصارت (أيان) بمعنى أي زمان، ويتعين الزمان المسئول عنه بما بعد (أيان)، ولذلك يتعين أن يكون اسم معنى لا اسم ذات، إذ لا يخبر بالزمان عن الذات، وأما استعمالها اسم شرط لعموم الأزمنة فذلك بالنقل من الاستفهام إلى الشرط كما نقلت (متى) من الاستفهام إلى الشرطية، وهي توسيعات في اللغة تصير معاني

متجددة^٢

(١): المحرر الوجيز ابن عطية ص ٤٨٤ ج ٢

(٢): التحرير والتنوير ابن عاشور ص ٢٠١ ج ٩

كلام ابن عاشور ظاهر في معنى الاستفهام بأن في معنى: "أي زمان" ولكنه زاد تحقيق كلمة "أيان" ومن أجزائها التركيبية

جدول المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة البقرة

ر.م	أداة الاستفهام	المعنى اللغوي الصريح	الآية ورقمها
١	ما	السؤال عن حالة البقرة وصفتها	﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ البقرة: ٦٨
٢	ما	السؤال عن لوها	﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لوها﴾ البقرة: ٦٩
٣	ما	السؤال عن حالة البقرة وصفتها	﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ البقرة: ٧٠
٤	ماذا	ماذا يكون؟	﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمت فأتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي﴾ (البقرة: ١٢٤)
٥	ما	الاستفهام عن "ما يعبدون؟"	﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾ (البقرة: ١٣٣)

(١٣٣)			
﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ (البقرة: ١٤٢)	السؤال عن سبب تحويلهم قبلتهم	ما	٦
﴿يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ (البقرة: ٢١٥)	السؤال عن مواضع وجهات الإنفاق	ماذا	٧
﴿ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيت لعلكم تتفكرون﴾ (البقرة: ٢١٩)	السؤال عن المال الذي ينفقونه	ماذا	٨
﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾ (البقرة: ٢٤٥)	السؤال عن العاقل	من	٩
﴿قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا﴾ (البقرة: ٢٤٦)	الاستفهام عن مضمون المقالة	هل	١٠
﴿قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ (البقرة: ٢٤٦)	الاستفهام عن غير العاقل	ما	١١

١٢	أنى	الاستفهام بمعنى كيف؟	﴿قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال﴾ (البقرة: ٢٤٧)
١٣	أنى	الاستفهام بمعنى من أيّ طريق وبأيّ سبب؟	﴿أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هذه الله بعد موتها﴾ (البقرة: ٢٥٩)
١٤	كيف	الاستفهام عن حال إحياء الموتى وكيفيته	﴿وإذ قال إبراهيم ربّ أرنى كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن﴾ (البقرة: ٢٦٠)

جدول المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة آل عمران

ر.م	أداة الاستفهام	المعنى اللغوي الصريح	الآية ورقمها
١٤	أنى	الاستفهام بمعنى كيف ومن أين؟	﴿قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ آل عمران: ٣٧
١٥	أنى	الاستفهام بمعنى كيف	﴿قال ربّ أنى يكون لي غلام وقد بلغني

<p>الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء ﴿آل عمران: ٤٠﴾</p>	<p>يكون؟</p>		
<p>﴿قالت ربّ أنى يكون لي ولد ولم يمسنى بشر﴾ آل عمران: ٤٧</p>	<p>الاستفهام بمعنى كيف ومن أين يكون؟</p>	<p>أنى</p>	<p>١٦</p>
<p>﴿فلما أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله﴾ آل عمران: ٥٢</p>	<p>سؤال وطلب من ينصره في السبيل إلى الله؟</p>	<p>من</p>	<p>١٧</p>
<p>﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ آل عمران: ٨٦</p>	<p>الاستفهام عن الحال</p>	<p>كيف</p>	<p>١٨</p>
<p>﴿أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير﴾ آل عمران: ١٦٥</p>	<p>الاستفهام بمعنى كيف ومن أين؟</p>	<p>أنى</p>	<p>١٩</p>

جدول المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة الأعراف

يستلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي الآية ١٨٧	بمعنى متى	أيان	١
---	-----------	------	---

الفصل الثاني

المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام

مدخل:

تختلف أساليب اللغة العربية وتتنوع، والاستفهام من أهمها إن لم تكن أهمها، ولا تقل أهمية عن أهمية غيرها من الأساليب، فالسؤال والاستفهام يعدّ عنصراً أساسياً مبدئياً في مجال الحوار والتواصل بين الناس، وقد مرّ في مدخل الفصل الأول بيان كلمة "استفهام" بكلّ تفصيل وتبسيط. لا تتوقف أدوات الاستفهام عند المعاني الأصلية اللغوية للاستفهام الحقيقي الذي هو موضوع لها والذي يطلب إجابة محدّدة، ولكنها قد تربط الاستفهام بمعنى دلالي مجازي، وبه يخرج إلى معنى دلالي لا يطابق في دلالاته الضمنية الدلالة الحقيقية اللغوية، ويتعدى المعنى إلى دلالات مجازية بلاغية، أي: غير الواضحة لمعاني الاستفهام التي تتبادر إليها الأفهام، والتي تلفت إلى نفسها الأنظار، ولا يحكم عليها بالحشو والعفو، إنما هي منشودة ويتحتم الإرادة بها في سياقاتها ومواقفها، فالحكم قد لا يصح إلا بها وعليها، ودلالاتها في أيّ الذكر الحكيم صريحة بآئنة قاطعة.

ولا يخفى على أحد أهمية المعاني الدلالية الصريحة وإفادتها ودورها الفعّال في إيصال معلومات وأحكام وحكايات بتصورات غير ما يتبادر إليها عادة؛ وهي لا بد منها، وإلا فيحدث إخلال بالمعنى إذا أريد الحقيقي اللغوي منه فقط، بينما يدلّ محل الاستشهاد والسياق والسباق على ما هو بالعكس من ذلك؛ تماماً كما هو المقرّر المتفق عليه أن المعاني اللغوية لأدوات الاستفهام لها دور بناء في ربط أفكار النصوص المنتظمة التي تهدف إلى إنتاج دلالات لغوية معنيّة بكل حال، وإلا فيحدث إخلال بالمعنى، وتفقد المباني -نرمي هنا إلى أدوات الاستفهام- حكم المعاني -الدلالات المجازية لا اللغوية منها- الدلالية والبلاغية.

والجدير بالذكر أن دلالات الاستفهام المجازية تطلعننا على الأحكام الصحيحة والأبعاد الفكرية المستقيمة البليغة التي يصدقها النص والمضمون، وإدراكها وتفقهها والتوصل إليها عنصر غاية في الأهمية من عناصر تحليل النصوص واستنباط الحكم منها، وهي جزء لا يستغنى عنه حتماً، فقد وردت أدوات الاستفهام في الكثير من آي كتاب الله العزيز، لا تدلّ إلا على معاني دلالية - مجازية- لا اللغوية الموضوعية لها، ولا يصح تفسير تلك الآيات إلا بها، ولا يستنبط الحكم الذي ينتج منها إلا بناء على إرادة المعاني الدلالية منها لعدّة عوامل ودلائل، منها:^١

-أحاديث الرسول ﷺ- التي تعدّ شأن نزولها، وقد جرت على لسانه -عليه السلام- في سياقات مختلفة ومواقف شتى.

-تأييدها بمواقف ومواقع خاصة بها، وانطباقها عليها دلالة وموقفاً.

إلى ما هناك من عوامل أخرى، تنصبّ في الموضوع نفسه...

فيما يلي بعض المعاني الدلالية لأدوات الاستفهام:

١-الخبر والتسوية، ويستدل عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ

تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦﴾ (البقرة، الآية: ٦)

٢- التعجب، ويشهد عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا

تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ (البقرة، الآية: ٣٠)

٣- التنبيه، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ

وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٤٠﴾ (المائدة، الآية: ٤٠)

^١ - منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب فايد، ج\١، ص ١٨٠

- ٤- التحقير والاستخفاف، ويمكن الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ١٣﴾ (البقرة، الآية: ١٣)
- ٥- التقرير والإثبات، ويشهد عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٨١﴾ (آل عمران، الآية: ٨١)

- ٦- الإنكار، وشاهده من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۗ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١٤﴾ (البقرة، الآية: ١١٤)

- ٧- التوبيخ والزجر، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ؕ أَنَّا خَدُّونَهُ بُهْتِنًا ؕ وَإِنَّمَا مُبِينَا ٢٠﴾ (النساء، الآية: ٢٠)

المعاني الدلالية الصريحة للأدوات الاستفهام في سورة البقرة:

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

محل الاستشهاد: "أأنذرتهم".

المعنى الدلالي الصريح: الخبر والتسوية.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه اللغوي إلى معناه الدلالي، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره كما سنذكره لا حقا:

في الآيات السابقة مرّ ذكر نوعي المؤمنين: أحدهما: الذين آمنوا من المشركين من أهل مكة، وثانيهما: الذين آمنوا من النصارى واليهود، ومن هنا حتى آخر الركوع الثاني جرى فيه بيان ثلاثة فرق، وهم: الكفار المختوم عليهم بالكفر، والمنافقون غير المترددين في نفاقهم، والذين يترددون بين الإيمان والنفاق (الكفر)؛ طمعا في البشارات وغنائم النصر التي وعد الله بها المؤمنين، أما هذه الآية فقد تبين حال الكفار الذين سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون، وأراد الله أن يعلم أن في الناس من هذه حاله دون تحديد أحد؛ وذلك لكون أشخاص أسلموا بعد أن كانوا كفارا. والسر في تقديم وصف المؤمنين على الكفار والمنافقين يعود إلى ترغيب الناس في الإسلام ودعوتهم إليه ولتفضيلهم على الناس.

يقول ابن عطية: "لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الخبر، وإنما جرى عليه لفظ الاستفهام لأن فيه التسوية التي هي في الاستفهام، ألا ترى أنك إذا قلت مخبرا: سواء عليّ أقعدتُ أم ذهبْتُ، وإذا

(١) - البقرة، الآية: ٦.

قلت مستفهما: أخرج زيد أم قام؟، فقد استوى الأمران عندك، هذان في الخبر، وهذان في الاستفهام وعدم علم أحدهما بعينه، فلما عمتهما التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته إياه في الإبهام^(١). فكان أصل الوضع للهمزة المستفهمة ههنا في مقام الآية هي الخبر لوقوع "أم" المعادلة بعدها، اللهم إلا أن الخبر في ذاته لم يكن معنى يشمل جانبا آخر منه، وهو الإخبار عن شيء ما، وهذا كان فيه الإبهام، فلما جاء الخبر بالهمزة الاستفهامية ثم تلتها في الجملة "أم" التي تعادل بين سابقها ولاحقها أفادت معنى التسوية، وهذا هو المقصود من أداة الاستفهام في الآية. لذلك صارت "الهمزة الاستفهامية" في الآية دالة على المعنيين: الخبر، والتسوية، ولذلك قال ابن عطية في أواخر نضبه: "وكل استفهام تسوية، وإن لم تكن كل تسوية استفهاما"^(٢). يلاحظ في تفسير ابن عطية لهذه الآية الكريمة أن أداة الهمزة الاستفهامية لم تنحصر في الدلالة على معناها الأصلي اللغوي، وإنما تعدت إلى معنى دلالي صريح آخر، وهو: الخبر والتسوية.

^(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة عن نسخة أياصوفيا - استانبول، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج ١، ص ٨٨.

^(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١٧٦.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾^(١)

محل الاستشهاد: "أنؤمن كما ءامن السفهاء".

المعنى الدلالي الصريح: الاستفهام الإنكاري.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه اللغوي إلى معناه المجازي إعني الإنكار، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره كما سنذكره لاحقاً.

ورد في هذه الآية أسلوب استفهام أورده القرآن عن اليهود، وهو الأسلوب الذي واجهوا به دعوة الداعي الذي دعاهم للإيمان، وتكمن في بناء فعل "قيل" للمجهول حكمة بيانية رائعة، والذي دعاهم للإيمان في عصر نزول القرآن هو الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فإذا قال لهم الرسول لكان موقف المنافقين من رفض الإيمان مقصوراً على دعوة النبي لهم.

أما الغرض من الاستفهام في هذه الآية فيكاد يجمع المفسرون على أنه استفهام إنكاري، إذ يرفضون الإيمان الذي يدعوهم إليه الدعاة. والحيلة التي اختاروها في الآية:

﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ أنهم لم يظهروا رفضهم للإيمان المطلق، وإنما ضمّنوا ردّهم أن الأمر الذي يزهدهم في الإيمان أنه إيمان سفهاء، والسفه: هو نقص في الإدراك يفضي إلى فقد معرفة الحق من الباطل كأنهم قالوا: نحن لا نرفض الإيمان، وهم ينكرون الإيمان ويحتقرون القدوة التي لفتهم إليها الداعي.

(١) البقرة، الآية: ١٣.

هذه الآية تبين لنا شرّ المنافقين كالأتي: إذا قيل لهم "آمنوا كما آمن الناس، فأجابوا "أنؤمن كما آمن السفهاء" حيث يقصدون إلى أصحاب النبي الذين تركوا الوثنية إلى عبادة الله تعالى، ومعظمهم من الفقراء والمساكين، وهذا يدل على حماقة المنافقين وسفههم، في وقت واحد يعترفون بأنهم آمنوا بالله، وفي الوقت نفسه يحتسبون بأن الذين يؤمنون بالله هم من السفهاء، وهذا بسبب أنه لا يهتمهم ما عدا المنفعة الدنيوية؛ بحيث يتغير كلامهم وتصرفاتهم وفق المنفعة المتغيرة أيضا. وينطبق على هذا قول النبي -ﷺ- عن آيات المنافقين: حدثنا موسى بن هارون، نا سعيد بن عبد الجبار الكرابيسي، ثنا زنفل بن شداد العريفي، من أهل عرفة قال: سمعت ابن أبي مليكة يحدث، عن عائشة، عن أبي بكر الصديق، أن النبي ﷺ قال: "آيات المنافق: من إذا حدث كذب، وإن ائتمن خان، وإن وعد أخلف".^(١)

ولما احتسب المنافقون بأن الذين يؤمنون بالله هم من السفهاء، ردّ الله تعالى عليهم بقوله:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ لو كانوا أغبياء ويعرفون أيضا لأمكنهم أن يقدروا على تحسين أنفسهم، وفي الحقيقة كانوا يتصفون بقبح مركب، يظهر قبحهم في هذه الآية وفي الآية التي قبلها (١١) حيث يفسدون لكنهم يشعرون أنهم من المصلحين، وهم أغبياء لكنهم يشعرون أنهم من الأذكياء، فجاء الاستفهام هنا لإنكار حال المنافقين بأنهم هم من السفهاء حقا.

يقول القاضي ابن عطية في تفسير الآية:

"صدقوا بمحمد -ﷺ- وشرعه، مثل ما صدقه المهاجرون والمحققون من أهل يثرب، قالوا: أنكون كالذين خفت عقولهم!؟"

^{٣٦} المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، د.ت)، ج ٨، ص ١.

وهذا القول إنما كانوا يقولونه في خفاء، فأطلع الله عليه نبيه والمؤمنين، وقرّر أن السفه ورقة الحلوم وفساد البصائر، إنما هو في حيزهم وصفة لهم، وأخبر أنهم لا يعلمون أنهم السفهاء للرّين الذي على قلوبهم. (١)

معنى إنكارهم ظاهر من تفسير ابن عطية رحمه الله، ولقد وافقه في هذا المعنى ابن عاشور أيضا فقال: وقوله: أنؤمن كما آمن السفهاء استفهام للإنكار^٢

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ﴾. (٣)

محل الاستشهاد: "مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا".

المعنى الدلالي الصريح: الاستفهام الإنكاري.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه اللغوي إلى معناه المجازي أي الإنكار، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره كما سنذكره لاحقا.

لما ضرب الله - سبحانه وتعالى - المثلين الذين مرّ بياهما في الآيات السابقة بشأن تشبيه حال الكفار المنافقين والمترددین منهم بين الإيمان والكفر، استنكره الكفار والمنافقون، وقالوا: ما هذه الأمثال؟!؛ فالله - عزّ وجلّ - أجلّ وأعلى من أن يورد هذه أمثالا!، فنزلت الآية الكريمة، ومن

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٩٤.

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ص ٢٨٧ ج ١

(٣) البقرة، الآية: ٢٦

المفسرين من فسر سبب إنكار الكفار بشكل عام، حيث أنكروا ضرب المثل في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت.

ذهب المتأولون إلى آراء مختلفة في معنى: "يستحيي" الوارد في هذه الآية، فقال الطبري: معناه: يخشى. وقال غيره: معناه: يترك، وهذا هو الأولى، وهناك من فسره بمعنى: يمتنعه أو يمنعه الحياء فهو معنى يترك أو ما يقاربه.

وقوله تعالى: "أن يضرب"، أن مع الفعل في موضع نصب، وهو مصدر مؤول في موضع المفعول به، بمعنى: يضرب مثالا، ضربًا من الأمثال أي: نوعا، كما تقول: هذا من ضرب هذا، والضرب المثل. وهناك احتمال آخر وهو أن يكون مثل: ضرب البعث، وضرب الذلة، فحينئذ يتحول معناه إلى معنى: أن يلزم الحجة بمثل، كما قال القاضي ابن عطية الأندلسي في تحليل وإعراب الآية، وقد ورد اختلاف في إعراب قوله: "ما بعوضة" فهناك من اختار أن (ما) صلة زائدة لا تفيد إلا شيئا من تأكيد، وقيل: (ما) نكرة في موضع نصب على البدل من قوله: (مثلا)، ويقع نظم (بعوضة) نعتا ل (ما)، فوصفت ما بالجنس المنكر لإبهامها، بينما يرجح القاضي أبو محمد ابن عطية الأندلسي أن يكون (ما) صلة مخصصة، كما تقول: جئتك في أمر ما؛ وفي هذه الحالة تفيد النكرة تخصيصا وتقريبا،^١

وبعوضة على هذا مفعول ثان.

والبعوضة فعولة من بعض اللحم إذا قطعه، يقال: بضع وبعض بمعنى واحد. و(ما) في قوله تعالى: (فما فوقها) عطف على بعوضة عند من جعل (ما) الأولى صلة زائدة، وعطف على (ما) الأولى عند من أعربها - ما الأولى - اسما، وأما معنى قوله: (فما فوقها) فأوله قوم وقالوا: "فما فوقها في الصغر". وآخرون: "فما فوقها في الكبر".

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١١١ :

لكن القاضي أبو محمد ابن عطية الأندلسي يقول: والكل محتمل. وقد ورد اختلاف النحاة في بيان إعراب (ماذا)، فقليل: هي بمنزلة اسم واحد، بمعنى أي شيء أراد الله؟! وقيل: "ما" اسم، و"ذا" اسم آخر بمعنى الذي، حينئذ تكون "ما" في محل رفع بالابتداء، و"ذا" خبره. وهو (ماذا) محل الاستشهاد في هذه الآية التي أوردناها بصدد المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام، يقول القاضي ابن عطية الأندلسي: "ومعنى كلامهم هذا الإنكار بلفظ الاستفهام".^(١) وهذا واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، إذ يدلّ على معنى دلالي (مجازي) صريح لأداة (ماذا) الاستفهامية وهو مما لا يختلف فيه اثنان.

قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٢).

محل الاستشهاد: "كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ".

المعنى الدلالي الصريح: التقرير والتوبيخ.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا بمعنى المجازي أي التقرير والتوبيخ، ولقد صرح به الإمام الجليل المفسر الكبير ابن عطية رحمه الله في تفسيره كما سنثبته قريبا.

وجّهت الآية خطابا فيه تقرير وتوبيخ للكفار، بسبب كفرهم بالله - سبحانه - وذكرتهم بنعم الله - جلّ وعزّ - عليهم وقدرته - تعالى - الكاملة البديعة هذه؛ كنتم أمواتا في العدم، قبل أن تخلقوا، ثم خلقكم ربكم وأخرجكم إلى الدنيا، فأحياكم، ثم يميتكم بعد حياتكم هذه، ثم يحييكم ويبعثكم بعد الموت، ثم ترجعون إلى عقاب الله وعذابه أو ثوابه لتحاسبوا على ما كسبت أيديكم في الدنيا، وما

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٢.

(٢) البقرة، الآية: ٢٨.

قدمتم لأنفسكم، وهذا مما لا محيد للكفار عن الإقرار به. وقد ورد اختلاف في ترتيب هاتين الموتتين والحياتين:

١- كنتم أمواتا ٢- فأحياكم ٣- ثم يميتكم ٤- ثم يحييكم.

(«فقال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد: فالمعنى: كنتم أمواتا معدومين، قبل أن تخلقوا دارسين، كما يقال للشيء الدارس: ميت، ثم خلقتهم وأخرجتم إلى الدنيا، فأحياكم، ثم أماتكم الموت المعهود، ثم يحييكم للبعث على ما تقدم.»

وهو أولى الأقوال التي ذهب إليها آخرون في تفسير هاتين الموتتين والحياتين.

"وقال آخرون: كنتم أمواتا بكون آدم من طين ميتا، قبل أن يحيى، ثم نفخ فيه الروح، فأحياكم بحياة آدم، ثم يميتكم ثم يحييكم على ما تقدم".^(١)

يقول القاضي ابن عطية الأندلسي -رحمه الله-: "وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ لفظه الاستفهام، وليس به، بل هو تقرير وتوبيخ، أي كيف تكفرون بالله ونعمه عليكم وقدرته هذه؟!"^(٢).

مما يجدر تبينه هنا هو أن القاضي ابن عطية - رحمه الله - صرح بأن أداة الاستفهام "كيف" لم تكن في الآية للدلالة على معنى الاستفهام الذي وضعت له، وإنما جاءت هذه الأداة لتوحي بمعنىين آخرين، أحدهما: التقرير والتثبيت والتحقيق، والآخر: التوبيخ والنهر والزجر. فالأداة "كيف"

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١١٤.

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٣.

أفادت في الآية دلالة التقرير من ناحية، ومن ناحية أخرى دلالة التوبيخ. ووقال عبد الكريم بن يوسف في كتابه "أسلوب الاستفهام" هي للتعجب والإنكار".^(١)

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: "أتجعل فيها من يفسد فيها...".

المعنى الدلالي الصريح: "الاستعظام والإكبار والتعجب".

صرح ابن عطية في شرح هذه الآية أن الاستفهام وهي الهمزة الدالة على التصور والتصديق أساسا جاء للدلالة على المعنى الناجم عن السياق الوارد في الآية، والمعاني الثانوية المحتملة في الآية للاستفهام هي كالاتي:

- التعجب، لأن سياق الآية ينوط باستخلاف الله من يعصيه.

- الاستعظام والإكبار للاستخلاف والعصيان.

قال السخاوي: استفهام، معناه: أتخلق هؤلاء العصاة مع بقائنا نحن على وظائف التسبيح والتقديس، أم تمكر بنا أيضا؟^٣

ثم جاء ابن عطية بالمعنى الثالث وهو المعنى الأساسي للهمزة في الآية بالإحالة إلى أحمد بن يحيى ثعلب وغيره... وهو أنه جاء على جهة الاستفهام المحض. فليس بذلك دالا على التعجب أو الاستعظام والإكبار.

(١) أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه، عبد الكريم محمد يوسف، ط ١، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)، طبع في مطبعة الشام،

توزيع مكتبة الغزالي، ص ٢٠.

(٢) البقرة، الآية: ٣٠

(٣) : تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي، تحقيق

وتعليق: د موسى علي موسى مسعود، د أشرف محمد بن عبد الله القصاص الناشر: دار النشر للجامعات، ص ١٨٩

ثم علل ابن عطية لكلا المعنيين وبزّر لكل منهما على حدة؛ فقال في المعنى اللغوي الصريح وهو الاستفهام المحض للهمزة: بأن قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ جاء على جهة الاستفهام عند بعض المتأولين، كأنهم أرادوا: ونحن نسبح بحمدك أم نتغير عن هذه الحال.

وهذا المعنى يحسن مع القول بالاستفهام المحض في قولهم: ﴿أَجْعَلُ﴾.

وبعضهم رأوا أن معنى الآية: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ التمدح ووصف حالهم، وهذا يحسن مع التعجب والاستعظام.

ثم ذكر المعنى الثالث للجملة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ قائلا: معنى الآية: ونحن لو جعلتنا في الأرض واستخلفتنا نسبح بحمدك. وهذا أيضا يحسن مع التعجب والاستعظام في قولهم: ﴿أَجْعَلُ﴾. خلاصة القول:

إن الهمزة الدالة على الاستفهام في قولهم: ﴿أَجْعَلُ﴾ تحتمل ثلاث احتمالات وهي:

- الاستفهام المحض

- التعجب

- الاستعظام والإكبار

وكل معنى من هذه المعاني الثلاثة مبنية على السياقات اللغوية وغير اللغوية الواردة في الجزء السابق عليه وهو قولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾.

وهذا ما يوضح لنا أن الاستفهام عند ابن عطية غير مقصور في الآية على معنى دون معنى آخر، بل إن الاحتمالات الثلاث في الآية معلقة على تفسير الجزء المسبق منها المنوط بها.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١)

محل الاستفهام: "أفتطمعون أن يؤمنوا لكم".

المعنى الدلالي الصريح: الإنكار والاستبعاد.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي ولقد صرح به الإمام الكبير المفسر الجليل ابن عطية رحمه الله.

جاء الاستفهام هنا في هذه الآية خطاب من الله للمؤمنين، بعد إيراد سلسلة من خطابات إلى اليهود، وبعد أن كان الله -تعالى- يوجه الخطاب إليهم في الآيات السابقة، جعل يخبر عن أحوالهم في هذه الآية والآيات التي تتبعها. أما حمل الاستفهام في هذه الآية على الإنكار والاستبعاد فظاهر وبار.

قال د. ياسين جاسم: والفاء بعد الهمزة أصلها التقديم عليها، والتقدير: أفتطمعون، فالفاء للعطف، لكنه اعتنى بهمزة الاستفهام، فقدمت عليها. والزمخشري يزعم أن بين الهمزة والفاء فعل محذوف، ويقر الفاء على حالها، حتى تعطف الجملة بعدها على الجملة المحذوفة قبلها، وهو خلاف مذهب سيويه.^٢

(١) البقرة، الآية: ٧٥.

(٢) : الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط المؤلف: د. ياسين جاسم المحميد، ص ١٠٦

يقول المفسرون في تفسير الآية: منهم العسقلاني قال: قال الواحدي: قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في السبعين الذين اختارهم ليذهبوا موسى عليه السلام.¹ و إنما جاء النهي عن الطمع في إيمانهم، وهذا لا يعني بالضرورة عدم دعوتهم للإيمان، فإننا ندعوهم للإيمان والإسلام وإن رفضونا وجعلونا نياس، وذلك لإقامة الحجة عليهم في الدنيا عند إجراء أحكام الكفر عليهم، وفي الآخرة أيضا؛ ولأن مهمة الدعوة وتبليغ الرسالة قد تصادف نفسا فتتفعها، وأما أن نستبعد إيمانهم فهو حكم يطلق على غالبهم وأكثرهم، وأما الدعوة فإنها تهدف كل فرد من الأمة أجمعين.

من الواجب أن ننوه إلى أن هذا لا يدخل في حكم التكليف بالمحال؛ ويدل على ذلك ما يلي:
أولا- لأن الله -عز وجل- وإن علم عدم إيمان مثل: أبي جهل، إلا أنه لم يطلعنا على ما علمه فيه، والأوامر الشرعية ما خصصت أحدا بدعوة، بل جاءت للناس كافة عامة، هذا لئلا يعترض: كيف أمر مع علم الله -تعالى- بأنه لا يؤمن!؟

ثانيا: تنهى الآية عن الطمع، ولا تنهى عن دعوتهم للإيمان، لأجل إقامة الحجة عليهم، وهو الجواب الأعم في مسألة التكليف بما سبق علم الله -تعالى- بعدم وقوعه.

وأما الآية فقد عنت نفي الطمع في إيمان الذين دأبهم هذا، وهو الرجاء الكثير من كل شيء، أما الدعوة إلى الخير فلا بد من أن تستمر على مر العصور وتعاقب الأجيال، وهي وظيفة كل مسلم، لأن هدفها قمع الأعداء التي يلجؤون إليها في الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿يَأْهَلُ أَلْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۗ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ ۗ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ﴾.

(1) : العجائب في بيان الأسباب المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) المحقق:

عبد الحكيم محمد الأنيس الناشر: دار ابن الجوزي عدد الأجزاء: ٢ ص، ٨٧

ورد الاستفهام في هذه الآية في معنى الإنكار للطمع والتقير على أمر في بعد (الاستبعاد)، وهو معنى دلالي صريح، يقول القاضي ابن عطية الأندلسي: "ومعنى هذا الخطاب: التقير على أمر فيه بعد، إذ قد سلفت لأسلاف هؤلاء اليهود أفاعيل سوء، وهؤلاء على ذلك السنن".^(١)

ولقد وافقه ابن عاشور في هذا المعنى فقال: والفاء لتفريع الاستفهام الإنكاري أو التعجيب على جملة ثم قست [البقرة: ٧٤] أو على مجموع الجمل السابقة لأن جميعها مما يقتضي اليأس من إيمانهم بما جاء به النبي ﷺ فكانه قيل: فلا تطمعوا أن يؤمنوا لكم أو فاعجبوا من طمعكم.^٢

فكلام ابن عاشور واضح بأن الاستفهام هنا في معنى الإنكار أو التعجيب الذي يوجد فيه معنى الاستبعاد.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۗ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۗ﴾^(٣)

محل الاستشهاد: "أخذتم عند الله عهداً".

المعنى الدلالي الصريح: الإنكار.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا في معناه المجازي ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره كما سنذكره لاحقاً. تتحدث هذه الآية عن اليهود، وتجاوزهم حدود الحق وطغيانهم عليه، وتدخّلهم بأمر لا يملكها إلا الله وحده. اتخذوا الشر رفيقهم وأفسدوا في الحياة الدنيا؛ فحالفوا الباطل بكل أشكاله، ومن جهلهم الفاضح، وإفراطهم الوقح أنهم يجعلون من أنفسهم قضاة في أمور الآخرة، ويزعمون أنهم - إذا دخلوا

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١٦٧.

(٢) التحرير والتنوير لأبن عاشور ص ٥٦٦ ج ١

(٣) البقرة، الآية: ٨٠.

النار- فلا يكون مكثهم فيها إلا لبضعة أيام، وهذا لم تتجرأ عليه طائفة من أهل الملل والنحل إلا طائفة اليهود الضالين.

وقولهم "لن تمسنا النار" يدل على سوء اعتقاد قد تقرر في نفوسهم، ويعيشونه بين الناس بألسنتهم، وينبئ هذا الاعتقاد بتعاليمهم وتطاولهم وغرور عظيم، من شأنه أن يجعلهم يقدمون على تلك الجريمة فما فوقها، يقال: إن سبب قولهم هذا: أنهم يدعون أن الله تعالى أقسم أن يدخلهم النار أربعين يوماً بعدد عبادتهم العجل، وقال آخرون: "قالت اليهود: إن في التوراة أن طول جهنم مسيرة أربعين سنة، وأنهم يقطعون في كل يوم سنة حتى يكملوها، وتذهب جهنم. وقال قوم: إنهم قالوا: إن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإن الله تعالى يعذبهم بكل ألف سنة يوماً."^(١)

وقوله: (أتخذتم عند الله عهداً) ليس باستفهام، بل هو إنكار، ويقصد من هذا أنه ليس استفهاماً حقيقياً، بل هو استفهام دلالي صريح، يحمل معنى الإنكار، أي: لم يتخذوا عند الله عهداً، يقول القاضي ابن عطية الأندلسي في تفسيره الآية:

"و(اتخذتم) أصله "ايتخذتم"، وزنه افتعلتم من الأخذ، سهلت الهمزة الثانية لامتناع جمع همزتين، فجاء "ايتخذتم"، فاضطربت الياء في التصريف، فجاءت ألفا في "ياتخذوا" وواوًا في "موتخذ" فبدلت بحرف جلد ثابت، وهو التاء وأدغمت، فلما دخلت في هذه الآية التقرير استغني عن ألف الوصل.^٢

فثبت من كلام ابن عطية رحمه الله بأن الهمزة التي تسببت باستغناء ألف الوصل هو همزة تقرير، والاستفهام للتقرير، ووافقه ابن عاشور في تفسيره فقال: والاستفهام غير حقيقي بدليل قوله بعده

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١٧١.

(٢) نفس المصدر ص ١٧١ ج ١

بلى فهو استفهام تقريرى للإلجاء إلى الاعتراف بأصدق الأمرين وليس إنكاري لوجود المعادل وهو أم تقولون لأن الاستفهام الإنكاري لا معادل له^١
فكلام ابن عاشور واضح جدا في معناه بأن الاستفهام هنا للتقرير لا للإنكار وناقش الموضوع أيضا.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۗ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۗ﴾^(٢)
محل الاستشهاد: "ومن أظلم ممن منع مسجد الله".

المعنى الدلالي الصريح: الإنكار (لا أحد أظلم).

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا في معناه المجازي أي الإنكار. لقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره أيضا.
ورد اختلاف من المفسرين في المشار إليه من هذا الصنف الظالم، فذهب قوم إلى أن المعنى النصارى الذين كانوا يلحقون الأذى بمن يصلي بيت المقدس، ويرمون فيه الأقدار، وقال عبدالرزاق حدثنا معمرنا ، عن قتادة ، في قوله تعالى: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها} [البقرة: ١١٤] قال: هو بختنصر وأصحابه ، حرقوا بيت المقدس ، وأعاناه على ذلك اليهود ، والنصارى قال الله: {أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين} ^٣ والبعض الآخر منهم الواحدى إلى أن المراد الروم الذين أعانوا بختنصر على تخريب وتدمير بيت المقدس، حين

(١) :التحرير والتنوير ابن عاشور ص ٥٨٠ ج ١

(٢) البقرة، الآية: ١١٤ .

(٣) : تفسير عبد الرزاق المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني(الناشر: دار الكتب العلمية

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩ هـ عدد الأجزاء: ٣، ص٣٠٦

ارتكبت بنو إسرائيل قتل نبي الله يحيى بن زكرياء عليه السلام، قال الواحدي: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله} يعني: بيت المقدس ومحاربه نزلت في أهل الرُّوم حين خربوا بيت المقدس {أولئك} أن المراد منهم أهل الرُّوم^١ وقيل: المراد بختنصر، وهناك من قال: المراد كفار قريش لما صدوا رسول الله - ﷺ - عن المسجد الحرام، وحكم هذه الآية يشمل كل من منع من مسجد حتى قيام الساعة، أو قام بتخريب مدينة إسلام، لأنها كلها في حكم مساجد، وإن لم تكن موقوفة، إذ الأرض كلها جعلت مسجداً لهذه الأمة، وهو من فضائل هذه الأمة التي خصّصت بها دون غيرها من الأمم. وأظهر هذه الآراء صدّهم النبي - ﷺ - وأصحابه - رضِيَ اللهُ عنهم - عن الاعتمار بالبيت العتيق عام الحديبية، هذا بالإضافة إلى أنهم آذوا قبل ذلك المسلمين السابقين قبل الهجرة أيضاً، وكانوا يمنعونهم من الصلاة والتعبّد في المسجد الحرام.

والاستفهام ب "مَنْ" إنكاري، ولما كانت "مَنْ" في الأصل نكرة موصوفة، أشربت معنى الاستفهام، وكان الاستفهام الإنكاري في معنى النفي، صار الكلام من وقوع النكرة في سياق النفي؛ فلاجل ذلك أولوه بمعنى "لا أحد أظلم". ومعنى الظلم الاعتداء على حق الغير بالتصرف فيه، بما لا يرضى به، ويطلق على وضع الشيء في غير ما يستحق أن يوضع فيه، والمعنيان ينطبقان هنا دون تعارض وتنازع. وحكم عليهم أنهم كانوا أظلم الناس؛ لأنهم وقعوا في ظلم عجيب، فقد ظلموا المسلمين حيث حالوا بينهم وبين المسجد الحرام، وهم أحقّ الناس به، وظلموا أنفسهم بسوء السمعة بين الأمم. وفي تطبيق حكم المنع على المساجد مباشرة، لا على المصلين المسلمين والمعني منع ذكر اسم الله فيها بيان تفضيع وتشنيع لهذه الجريمة التي كانوا عليها، أي: حتى كأنهم يرفضون إقامة المسجد

(١) : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي

أصلاً، وحالهم أنهم يخربون القائم فعلاً، ولو جاء في الآية منع ذكر اسم الله في المساجد لانحصرت جريمتهم في صد المؤمنين دون التعرض للمساجد نفسها.

ترمز الآية إلى أن من منع مساجد الله هم اليهود والنصارى والمشركون، الذين عبثوا في الأرض فساداً وظلموا المسلمين، ومنعوهم من أداء الصلاة في المسجد الحرام، أما اليهود فأبوا أن يوجهوا وجوههم نحو الكعبة والمسجد الحرام، وهذا نوع من أنواع الصدّ والمنع الذي تناولت الآية إيراده هنا.

يقول القاضي ابن عطية الأندلسي:

"وقوله تعالى: (ومن أظلم) الآية، (من) رفع بالابتداء، و(أظلم) خبره، والمعنى: لا أحد أظلم." (١)
يتضح جلياً من تفسيره -رحمه الله- أنه يقصد بأداة الاستفهام "من" هنا في هذه الآية معناها الدلالي بكل صراحة، ولم يشر إلى معنى محتمل آخر غيره.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ أَلَلِهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢)
محل الاستشهاد: "أنتم أعلم أم الله".

المعنى الدلالي الصريح: الإنكار -النفى والتوبيخ-.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أعني النفي والإنكار، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١٩٩.

(٢) البقرة، الآية: ١٤٠.

إن في هذه الآية حديثاً عن دعوى اليهود والنصارى الباطل، على كون الأنبياء المذكورين في الآية هوداً أو نصارى، وهم كاذبون فيها؛ لأنهم إن ادّعوا أن الأنبياء المذكورين -عليهم الصلاة والسلام أجمعين- على اليهودية والنصرانية كذبوا، والدليل على هذا أن هذين الدينين شرعاً بعدهم، وإن زعموا أنهم - عليهم السلام- ما كانوا هوداً أو نصارى، قيل لهم: فهلّموا إلى دينهم إذ تقرّون بالحقّ، ولدحض هذه الدعاوى الجوفاء جاء الرد عليهم يحمل في ثناياه ثلاثة استفهات، وهي كالتالية:

١- (أم تقولون)

٢- (أأنتم أعلم أم الله)

٣- (ومن أظلم)

وكلّ من الاستفهامات الواردة هنا تحمل معنى دلالياً صريحاً، من الإنكار -النفى والتوبيخ- والتقرير والإثبات، وهذه المعاني هي المعنية بما هنا، ولا يصح المعنى اللغوي الحقيقي الذي وضع له نظماً وحكماً. وهي استخدمت في معانٍ هي لبنات في صرح هذه المواجهة الصارمة. يلاحظ في الآية افتخار بني إسرائيل بإبراهيم وإسماعيل وجميع الأنبياء النازل ذكرهم في هذه الآية، لكن افتخارهم هذا جاء في غير محلّه؛ وقد سلك مسلكهم أولادهم وأحفادهم الذين عاشوا زمن رسول الله -ﷺ-، فكانوا يزعمون أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأبناءه هم هود، وكان النصارى منهم يقولون: إنهم -الأنبياء المذكورون- هم نصارى، بل أورد الله -جلّ في علاه- إجابات وردوداً تقصم ظهر حججهم الواهية الواهنة كبيت العنكبوت، وأعلمنا بأن هؤلاء الأنبياء هم البشر العظماء الذين يتبعون دين التوحيد، قبل وصول النبيين أولي العزم من موسى وعيسى -عليهما السلام- بديني اليهودية والمسيحية.

يقول القاضي ابن عطية الأندلسي في تفسير محل الاستشهاد في الآية:

"وقوله تعالى: (أأنتم أعلم أم الله) تقرير على فساد دعواهم إذ لا جواب لمفطور إلا أن الله تعالى أعلم، و (من أظلم) لفظه الاستفهام، والمعنى: لا أحد أظلم منهم، وإياهم أراد تعالى بكتمان الشهادة." (١) فسر ابن عطية معنى أداة الاستفهام "الهمزة" التي وردت في (أأنتم) بالتقرير، وهو معنى دلالي صريح لأداة الاستفهام "الهمزة"، يحتم فساد دعواهم ويحتم عليه، لأنه تعالى أعلم وهذا مما لا يتناطح فيه عنزان فعلا ليس مثلا فقط، فضلا عن اثنين من البشر، وهو اعتقاد جازم لا يتطرق إليه أبدا اشتباه واغتماض أصلا.

المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة آل عمران:

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢)

محل الاستشهاد: "أفلا تعقلون".

المعنى الدلالي الصريح: التوبيخ والزجر.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أقصد التوبيخ والزجر، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٢١٧.

(٢) آل عمران، الآية: ٦٥.

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية، فقد ذهب ابن عباس -رضي الله عنهما- إلى أن اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند النبي الله -ﷺ-، فحدث بينهم تنازع واختلاف، حيث قالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، بينما قالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيا، فنزلت الآية، وذهب آخرون إلى أنها نزلت بسبب دعوى اليهود أن إبراهيم منهم، وأنه مات على اليهودية، لكن كل ما في الأمر أن كل المتأولين إنما سلكوا مسلكا واحدا، حيث يأولون بأنها نزلت في اليهود والنصارى، ويؤيد ذلك أن ألفاظ الآية تتحدث ذلك أيضا، إضافة إلى ذلك أن الآية تبين فساد هذه الدعاوى الخاوية الجوفاء، التي تمجها العقل قبل السمع؛ وقد ردّ الله -تعالى- عليهم ردًا منطقيًا عقليًا، أفحمهم وضرب دعاوهم بعرض الحائط، فبهت الذين كفروا، فقال -تعالى- لهم: (يا أهل الكتب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده)، وهو طلب تعليل إنكاري، والمعنى: لا يحق لكم الحجاج في إبراهيم والحال أن التوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعده -إبراهيم- فأنى لكم أن تدعوا بأن إبراهيم ما كان إلا يهوديا أو نصرانيا!؟

قال الدكتور مأمون في تفسيره: قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد مولي زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس قال: (اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله -ﷺ- فتنازعا عنده، فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا! وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا! فأنزل الله عز وجل فيهم: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}. قالت النصارى: كان نصرانيًا! وقالت اليهود: كان يهوديًا! فأخبرهم الله أن التوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعده، وبعده كانت اليهودية والنصرانية)⁽¹⁾

(1) : التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون المؤلف: الأستاذ الدكتور مأمون حموش المدقق اللغوي: أحمد راتب

وضعت أداة الهمزة الاستفهامية للدلالة على الاستفهام في وجوه، وللدلالة على طلب تعيين واحد من شيئين في أخرى، وهما من المعاني اللغوية الحقيقية لها، لكنها لم تأت في خطابه -تعالى- إلى اليهود والنصارى: (أفلا تعقلون) في أي من هذين المعنيين، بل تعطي هنا معنى دلاليا (مجازيا)، ألا وهو: التوبيخ والزجر، الذي صرح به القاضي ابن عطية الأندلسي في تفسير الآية، حيث قال: "ولما كان الدليل عقليا قال الله -تعالى- لهم موبِّحًا: (أفلا تعقلون)"^(١) والمعنى: أفلا تفهمون، وتفكرون بعقولكم!؟

وهذا التخاطب يدل التوبيخ وزجرهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: "أققرتم".

المعنى الدلالي الصريح: التقرير والإثبات

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا وقع موقع المجازي أعني التقرير والإثبات، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره.

ما ورد في هذه الآية هو من أعظم فضل الرسول ﷺ - إن لم يكن أعظمه، حيث تبين أن الله - جل في علاه- أخذ العهد والميثاق على الأنبياء والرسل أنه -تعالى- آتاهم من كتاب وحكمة، ثم إذا بعث رسولا يصدق لما أوتوا به، فليؤمنن به ولينصرنّه، وأتبعه تقريرا مؤكدا بقوله: (أأقرتم وأخذتم

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٤٥٠.

(٢) آل عمران، الآية: ٨١.

على ذلكم إصري!؟)، قالوا: (أقررنا)، وحتمه وأكده أكثر فجعلهم -عليهم السلام- شاهدين على ذلك، والآكد من ذلك والأعظم أنه -رب العلمين- قال: (وأنا معكم من الشاهدين)، وهو منتهى التأكيد والفصل والجزم في الأمر.

هناك اختلاف في تحديد زمن أخذ الميثاق والعهد وفي الذين أخذ منهم؛ فمن المحتمل أن يكون قد أخذ الله -تعالى- هذا الميثاق حين خلق بني آدم من ظهر آدم نسما، أو أن يعدّ هذا الأخذ من كل نبيّ في عهده ووقت بعثه، هذا ما كان من اختلاف في تحديد زمن أخذ الميثاق والعهد، وأما من أخذ عليهم الميثاق، فقد قال البعض: "إنما أخذ ميثاق أهل الكتاب، لا ميثاق النبيين، ويشهد على هذا ما جاء في مصحف أبي بن كعب وابن مسعود -رضي الله عنهما-: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب)، لكن هذا لفظ مردود؛ لأن الصحابة -ﷺ أجمعين- أجمعوا على مصحف الخليفة الثالث أمير المؤمنين سيدنا عثمان -رضي الله عنه- وهو ردّ من القاضي ابن عطية الأندلسي -رحمه الله- على ذلك كما ورد في تفسير الآية، بينما فسره البعض الآخر بأن أخذ الميثاق على قومهم، لأنه أخذ لميثاق الجميع، وقال آخر: "أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا، وقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: ما بعث الله نبيا، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد، لئن بعث وهو حي، ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره بأخذه على قومه، ثم تلا هذه الآية، ويروى عن طاوس أنه يقول: تتحدث بداية الآية عن أخذ الميثاق على النبيين، أما قوله: (ثم جاءكم) فهو خطاب يهدف إلى أخذ الميثاق على أهل الكتاب".^(١) وتنصبّ هذه الأقوال كلها في ما ذهب إليه الخليفة الرابع أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب وابن عباس -رضي الله عنهما أجمعين-، فإن الأخذ على الأنبياء -عليهم السلام- أخذ الأمم أيضا، مثل حكم سائر الأحكام الدينية التي كانت تنزل عليهم -عليهم

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز مع تصريف كثير، ج ١، ص ٤٦٣، ٤٦٤.

السلام- من رب العالمين، ومنهم على أمهم التي بعثوا أليها. قال صاحب الكفاية في تفسيره: قوله تعالى: { قَالَ أَفَرَزْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي } [آل عمران: ٨١]، " أي أقررتم واعترفتم بهذا الميثاق وأخذتم عليه عهدي؟^(١)

والاستفهام في قوله تعالى: (قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) لا يتطلب الدلالة على طلب سؤال حقيقي عن إقرار الأنبياء البتة، ولا على تحديد تعيين أمر ما فيما أقروا، وإنما قوله -تعالى- هذا يصف توقيف وتقرير الأنبياء -عليهم السلام- على إقرارهم بهذا الميثاق والتزامهم له وتأكيد أخذ عهد الله فيه، والأخذ هنا في معنى: قبلتم، والإصر: العهد، يقول صاحب "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" ابن عطية الأندلسي في تفسير الآية:

"هذه الآية هي وصف توقيف الأنبياء على إقرارهم بهذه الميثاق والتزامهم له وأخذ عهد الله فيه".^(٢) والتوقيف أي: التقرير والتثبيت وهو معنى دلالي صريح لأداة الهمزة الاستفهامية الواردة في الآية.

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٣)

محل الاستشهاد: "أفغير دين الله يبعون".

المعنى الدلالي الصريح: التقرير والتوبيخ.

إثبات الدعوى: أن الاستفهام هنا ورد مورد المعنى المجازي أقصد التقرير والتوبيخ، ولقد صرح به

ابن عطية رحمه الله في تفسيره

(١) : الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية المؤلف: د. عبد الله خضر حمد الناشر: دار القلم، بيروت - لبنان

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ٤٦٦.

(٣) آل عمران، الآية: ٨٣.

تحدث الآية عن معاصري رسول الله ﷺ - من الأبحار والكفار، أنهم يبتغون غير دين الله وهم يعلمون كل العلم ويوقنون تمام اليقين أن له - تعالى استسلم كل من في السماوات والأرض طوعا أو كرها، وفي نهاية المطاف إلى الله القدير العزيز إياهم ورجوعهم، ومنه حسابهم جزاؤهم بما قدموا. قوله: (يبتغون) معناه: يطلبون، و (أسلم) هنا جاء في معنى: استسلم عند جمهور المفسرين، أما (مَنْ) في الآية فهي تشمل الملائكة وكلاً من الثقلين: الجن والإنس، و (طوعا أو كرها) أي: أن إقرار كل مؤمن بالصانع هو إسلام طوعا، وبالعكس منه إقرار كل كافر بالصانع، فهو إسلام كرها، وقد تعددت أمثلة ذلك في القرآن الكريم، واختلفت أقوال المفسرين في توضيح قوله: (طوعا وكرها)؛ حيث يقول أبو العالية رفيع -رحمه الله-: "كل آدمي فقد أقرّ على نفسه بأن الله ربي وأنا عبده، فمن أشرك في عبادته فهذا الذي أسلم كرها، ومن أخلص فهذا الذي أسلم طوعا"^(١)، ومثله ورد عن الشعبي ومجاهد -رحمهما الله- وإن اختلفت العبارات، ما مضمونه أن الآية تعبر عن انقياد جميع البشر لله رب العالمين وإذعانهم لقدرته، وإن قام بعضهم بنسب الألوهية إلى غيره وأشرك به - سبحانه - غيره من الأصنام والتمائيل، وذلك هو الذي يسجد كرها.

يقول القاضي الفقيه الإمام الجليل ابن عطية الأندلسي ر-رحمه الله- في تفسير الآية:

"والتوقيف بقوله: (أفغير) إنما هو لمعاصري محمد ﷺ - من الأبحار والكفار".^(٢) صرح ابن عطية

بأن أداة الهمزة الاستفهامية التي جاءت في الآية تمثل معنى التوقيف أي: التقرير والتثبيت، وهو ليس معنى حقيقيا لها، موضوعة له لغة، بل تعدى معناها إلى معنى دلالي (مجازي)، لتعطي تصورا آخر للذين وجه إليهم الخطاب دون أن يستفسروا عنه.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ٤٦٦.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ٤٦٧.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(١)

محل الاستشهاد: "أكفرتم بعد إيمانكم".

المعنى الدلالي الصريح: التقرير والتوبيخ.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا نزل منزل المعنى المجازي أعني التقرير والتوبيخ، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله

في تفسيره.

قوله: (تبيض وجوه) "بياض الوجوه" يعني: إشراقها واستنارتها، ومن المحتمل أن يحدث بالمؤمنين هذا

من آثار الوضوء، كما ورد عن النبي - ﷺ - ما محتواه: الغرّ المحجلون من آثار الوضوء، أما "سواد

الوجوه" فقد ذهب المفسرون إلى أن وجوها حينئذ يعلوها السواد، فتكون مظلمة عاتمة من خوف

العذاب وكزيه، وهناك احتمال آخر أيضا في تفسيره، وهو أن يكون ذلك تسويدا ينزله الله -

تعالى - بهم، ليشوه وجوههم ويمثّل بها.

يلاحظ في الآية أنه لما كان صدرها إخبارا عن صفة لا تخصّ أحدا معينا ولا تحدّده - شرع في بيان

البياض لشرفه وعلو مكانه، وأنه الصفة الفضلى، التي تمثل دروسا وعبرا، فلما اتضح المعنى وتقرب

إلى الأذهان، وتعيّن له "الكفار والمنافقون، أساسا على ما يحويه بياض الوجوه من منهج الحياة

الجميل، والمعنى الرفيع - أخذ في بيان الذين اسودّت وجوههم؛ للاهتمام البالغ بالتحذير من حالهم،

والسلوك على غرارهم.

(١) آل عمران، الآية: ١٠٦.

إنما تأتي الهمزة الاستفهامية بمعنى استفهام حقيقي أي: طلب فهم شيء، أو لتدلّ على تحديد وتعيين أمر، وهو معنى لغوي أيضا، لكنها لا تعطي في قوله -تعالى-: (أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) أحد هذين المعنيين، ولا معنى آخر غيرهما لغويا حقيقيا، بل وردت هنا في الآية للدلالة على معنى آخر دلالي (مجازي)، ألا وهو: التقرير والتوبيخ، كما قام القاضي الفقيه الإمام ابن عطية الأندلسي - رحمه الله - بتبينه في تفسير الآية بكلمات صريحة، حيث يقول ابن عطية الأندلسي - رحمه الله -:

"وقوله تعالى: (أَكْفَرْتُمْ) تقرير وتوبيخ، متعلق بمحذوف، تقديره: فيقال لهم: أكفرتُمْ؟ وفي هذا المحذوف هو جواب "أما"، وهذا هو فحوى الخطاب، وهو أن يكون في الكلام شيء مقدر لا يستغني المعنى عنه".^(١)

ووافقه الشعراوي في معناه فقال: والحق سبحانه يوجه سؤالاً لهؤلاء: { أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }^٢ وقوله -تعالى-: (بعد إيمانكم) يتطلب أن يكون هؤلاء الموقنون على إيمان سابق، وحدث اختلاف في تعيينهم وتحديدهم، فهناك من يقول: هم جميع الكفار، وأما الإيمان الذي بسببه خوطبوا بقوله: (بعد إيمانكم)، فهو الإيمان الذي أقروا به حين سئلوا: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى، يعني: إنك أنت ربنا وآمنا بك، هكذا ورد عن أبي بن كعب - رضي الله عنه -، وقال أكثر المتأولين: المراد بالتوقيف في هذه الآية أهل القبلة من هذه الأمة، والاختلاف في تحديدهم؛ فحوى قول الحسن: أن الآية نزلت في المنافقين، لأنهم يؤمنون بألسنتهم، ويكفرون بقلوبهم، فيقال لهم: (أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ؟) الذي كان بألسنتكم فقط، إذ جاء الإيمان هنا بمعنى: الإسلام، كما جاء في الكتاب العزيز: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) الحجرات، الآية: ١٤.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ٤٨٧.

(٢) : تفسير الشعراوي - الخواطر للمؤلف: مُجَدِّد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم

وقد تعددت الأقوال فيمن نزلت الآية، نذكرها فيما يلي:

- فيمن كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا.

- في الخوارج.

- في أهل الردة.

- في اليهود.

- في أهل الأهواء.

- يقول القاضي ابن عطية الأندلسي -رحمه الله-: "روي حديث: أن الآية في القدرية".^(١)

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: "ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم".

المعنى الدلالي الصريح: التقرير والتثبيت.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي أقصد التقرير والتثبيت.

قوله تعالى: (إذ تقول) يجوز أن يكون العامل في (إذ) فعلا مضمرًا، وهو: اذكر أو ما شأبه،

ويحتمل أن يكون فعل "نصركم" الذي سبق في الآية التي قبلها، وهو: (نصركم)، ويرجع هذا إلى أن

جمهور المفسرين يقولون بأن هذا القول (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة

منزليين) كان من رسول الله -ﷺ- بيدر، أما القول بنزول الملائكة في الحرب، وقتالها فقد اختلف

فيه المفسرون المتأولون، قال الشعبي -رحمه الله-: "بلغ المؤمنين أن كرز بن جابر بن حسل المحاري

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٤٨٨.

(٢) آل عمران، الآية: ١٢٤.

محارب فهر، قد جاء في مدد للمشركين، فعمّ ذلك المؤمنين، فقال النبي - ﷺ - للمؤمنين عن أمر الله - تعالى - هذه المقالة، فصبر المؤمنون واتقوا، وهزم المشركون وبلغت الهزيمة كرزاً ومن معه، فانصرفوا ولم يأتوا من فورهم، ولم يمدّ المؤمنون بالملائكة، وكانت الملائكة بعد تحضر حروب النبي - ﷺ - مدداً، وهي تحضر حروب المسلمين إلى يوم القيامة.^(١) يلاحظ في ما ذهب إليه الشعبي أنه يقصد أن الملائكة حضرت بدرًا لكنها ما دخلت القتال مع المسلمين، على عكس ما ذهب إليه الجمهور أنها حضرت وقاتلت؛ يقول أبو أسيد مالك بن ربيعة: "لو كنت معكم الآن ببدر ومعني بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أتمارى"،^(٢) وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - ما حصيلته: ما دخلت الملائكة قتالاً في يوم من الأيام إلا يوم بدر، أما في غيرها من الحروب فكانوا ينزلون ليكثر عدد المسلمين وليساعدوهم ولا يدخلون عملية القتل والضرب، وقال بعض الصحابة - ﷺ - أجمعين -: "كنت يوم بدر أتبع رجلاً من المشركين لأضربه بسيفي، فلما دنوت منه، وقع رأسه قبل أن يصل سيفي إليه، فعلمت أن ملكاً قتله".^(٣)

إنما جاءت أداة الهمزة الاستفهامية في قوله: (ألن يكفيكم) بمعنى دلالي (مجازي)، وهو: التقرير والتثبيت على اعتقادهم الكفاية في العدد المذكور في الآية من الملائكة، وقد صرح بالمعنى نفسه القاضي ابن عطية الأندلسي - رحمه الله - في تفسير الآية، حيث يقول: "وقوله - تعالى -: (ألن يكفيكم) تقرير على اعتقادهم الكفاية في هذا العدد من الملائكة".^(٤) أما المعنى اللغوي لأداة الهمزة الاستفهامية فغير مراد في الآية، إذ لا دلالة عليه لغة ولا لفظاً من صاحب تفسير المحرر الوجيز.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٥٠٢، ٥٠٣ .

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٥٨٣ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٥٨٥ .

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٥٩٠ .

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّرُ الْمَصِيرُ﴾^(١)
 محل الاستشهاد: أفمن اتبع رضوان الله.

المعنى الدلالي الصريح: الاستفهام الإنكاري (التوقيف - التقرير - على تباين المنزلتين وافتراق الحالتين).

تحدث الآية عن تباين المنزلتين وافتراق الحالتين: إحداهما: منتهى السعادة، والأخرى: منتهى الشقاوة، أما المنزلة الأولى فهي للسعداء الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات، واتبعوا الطاعة التي تكفل بالحصول على رضوان الله تعالى، بينما المنزلة الأخرى للأشقياء الذين جلبوا لأنفسهم سخطا من الله، فحرموا رضوان الله، وهناك اختلاف فيمن تصدقهم الآية؛ "قال الضحاك: إن هذه الآية مشيرة إلى أن من لم يغلّ واتقى فله الرضوان، وإلى من غلّ وعصى فله السخط"^(٢). وذهب آخرون إلى أن الآية تشير إلى من قتل بغزوة أحد من المؤمنين فكتب له رضوان من الله، وإلى المنافقين الذين رجعوا عن منتصف الطريق، وتركوا رسول الله ﷺ، وما صحبوه في دخول الحرب، فقد استحقوا السخط، الذي في نهاية المطاف يؤدي إلى دخولهم جهنم، وهي بئسها من مصير ومآل. قال العثيمين رحمه الله: {أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ} والاستفهام للنفي^٣

لا تعطي أداة الهمزة الاستفهامية في الآية (أفمن) معناها اللغوي، الذي هو الدلالة على سؤال حقيقي عن أمر ما، أو على تحديد أمر مجهول وما إلى ذلك من الدلالات اللغوية الحقيقية، بل

(١) آل عمران، الآية: ١٦٢.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٥٣٧.

(٣) : تفسير القرآن الكريم «سورة آل عمران» المؤلف: محمد بن صالح العثيمين الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة

العربية السعودية الطبعة: الثالثة، ١٤٣٥ هـ، ص ٣٢٣

تعدى إلى تصور مجازي، وهو المعنى الدلالي، أي: التوقيف على تباين المنزلتين وافتراق الحالتين، ما صرح به القاضي الفقيه صاحب "تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، الإمام ابن عطية الأندلسي - رحمه الله -، وقال:

"وقوله تعالى: (أفمن اتبع رضوان الله) الآية، توقيف على تباين المنزلتين وافتراق الحالتين".^(١) يعني بذلك أن الاستفهام بالهمزة جاء بمعنى: الإنكار والتقرير على تباين المرتبتين، وعدم استوائهما عند الله، والأمثلة على شاكلته قد تعددت في كتاب الله العزيز، وبعضها كما يلي:

- قوله تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) - الزمر، الآية: ٩.
- قوله تعالى: (قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور) - الرعد، الآية: ١٦.

يلاحظ في هاتين الآيتين أن الاستفهام جاء في معنى: الإنكار والتوقيف على عد استواء منزلة هاتين الشريحتين من الإنس والجن، وهو المعنى الدلالي (المجازي) بذاته، الذي بيّنه صاحب التفسير بكل صراحة، إلا أن العبارات اختلفت وتنوعت، وهذا لا يعدّ محلاً بما نحن بصدده في البحث الأكاديمي التحليلي.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: "أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها".

المعنى الدلالي الصريح: التوقيف والتقرير على معنى إلزام المؤمنين هذه المقالة.

إثبات الدعوى:

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٥٣٦.

(٢) آل عمران، الآية: ١٦٥.

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي أي التوقيف والتقريب وعلى معنى الإلزام، ولد صرح به ابن عطية رحمه في تفسيره.

في هذه الآية أعلم الله -تعالى- المؤمنين بالخطأ الذي وقعوا فيه، وهو قلقهم على المصيبة التي أصابتهم، وإعراضهم وتغاضيهم عما نزل بالكفار من جروح وإصابات، وزاد عليه أن عرفهم أن تلك الجروح والأضرار أصابتهم -الكفار- منهم -المؤمنين- لا من الكفار أنفسهم؛ فكانوا -المؤمنون- هم السبب في ذلك، وكان هذا التعريف من رب رحيم على جهة التسلية والتطمين لقلوب المؤمنين.

جاء الاستفهام في قوله تعالى: (أولما) بمعنى التقرير والتثبيت على معنى إلزام المؤمنين هذا القول بهذه الحال، التي تدعو إلى القلق والمواساة، والنايبة التي أمت بهم يوم أحد، إذ استشهد في سبيل الله سبعون منهم، يقول القاضي الفقيه الإمام ابن عطية الأندلسي -رحمه الله-:

"والواو في قوله: (أولما) عطف جملة على جملة، دخلت عليها ألف التقرير على معنى إلزام المؤمنين هذه المقالة في هذه الحال".^(١) وبيان ابن عطية هذا صريح في تعدي معنى أداة الهمزة الاستفهامية إلى معنى دلالي (مجازي)، ألا وهو: التقرير والتثبيت، لأنه صرح بقوله: ألف التقرير، يعني بذلك الاستفهام الذي جاء في هذه الآية: (أولما).

وحدث اختلاف في المثلين الذين أصاب المؤمنون في قوله: (أصبتهم مثلها)، اختار جمهور المتأولين وقتادة والربيع وابن عباس -رضي الله عنهم- القول بأنهم أصابوا المثلين يوم بدر؛ حيث قتلوا سبعين من كفار قريش وأسروا سبعين، وذهب غيرهم إلى تأويلات وأقوال أخرى في تعيين المثلين وتحديدده، فقال الزجاج: "أحد المثلين: هو قتل السبعين يوم بدر، والثاني: هو قتل اثنين وعشرين من الكفار يوم

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٥٣٨.

أحد، فهو قتل بقتل، ولا مدخل للأسرى في هذه الآية، هذا معنى كلامه، لأن أسارى بدر أسروا ثم فدوا، فلا مماثلة بين حالهم وبين قتل سبعين من المؤمنين".^(١) و(أنتي) تأتي في معنى: كيف ومن أين؟ ثم أمر الله -تعالى- نبيه رسول الله -ﷺ- أن يقول لهم: (هو من عند أنفسكم) الآية، وحصل اختلاف بين المفسرين فقالوا: كيف هو من عند أنفسهم ولأي سبب؟ فذهب جمهور المفسرين إلى أن سبب كونه من عند أنفسهم، هو مخالفتهم رسول الله -ﷺ- في الرأي، حين رأى أن يقيم بالمدينة، ومنه يوقع كفار قريش بشرّ محبس ومضيق، لكنهم رفضوا إلا أن يخرجوا ويباشروا القتال والحرب، ما أفضى إلى القصة الحرجة التي جرت بهم، وقالت جماعة أخرى ما فحواه: يشير قوله -تعالى-: (من عند أنفسكم) إلى المخالفة التي حدثت من الرماة لأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإن كان اجتهادا منهم، وتسببهم في هزيمة المؤمنين، بينما يشير قول الحسن وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- إلى حديث يطول ذكره، لكن قولهما باختصار هو: بل حدث ذلك لما رضوا بفداء الأسارى يوم بدر.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٥٣٨.

المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة النساء

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(١)

محل الاستفهام: أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً.

المعنى الدلالي الصريح: التوبيخ والزجر.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي أعني التوبيخ والتزجير، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره.

ذكر الله - سبحانه وتعالى - قبل هذه الآية حكم الفراق الذي سببه المرأة، وجعل لذلك سبيلاً، وجاء في هذه الآية الحديث عن الرجل إذا أراد مفارقة المرأة، لأن العلاقة الزوجية بين طرفين: الزوج والزوجة؛ فإما أن يكون فراق المرأة بسبب سوء خلقها أو سوء تعاملها مع زوجها أو نشوزها المفرط، وأحياناً يكون السبب من جانب الزوج أيضاً، لا يتعامل معها بحب ما هو حقها، ويضيق صدره منها بغير حق إلى ما هناك من أسباب أخرى غير شرعية، مآل القول إلى أن السبب في المفارقة والطلاق قد يعود إلى الزوجة، وتطالب الفراق، الذي هو حقها، ويطلق عليه في الفقه "الخلع"، وقد يعود في ذلك إلى الرجل.

أما إذا كان طلاقاً، فإما أن يكون بسببه أو سببها، أو هما يكتشفان بعد الزواج أنهما لا يتوافقان وقد تمّ عقد النكاح على رضا أوليائهما، فيلجآن إلى الانفصال ويعتقدانه أنسب لحياتهما. هنا في هذه الآية إذا كان سبب الفراق هو الرجل، هو لا يقبل زوجته، ويريد أن يتزوج بغيرها، ففي ذلك

(١) النساء، الآية: ٢٠.

تحدّثنا هذه الآية، (وإن أردتم) أيها الرجال، (استبدال زوج مكان زوج) استبدال الزوجة الأولى بغيرها من النساء، (وآتيتم إحداهن قنطارا) والقنطار عبارة عن: المال الكثير، (فلا تأخذوا منه شيئا) أي: لا تستردّوا منه ولو شيئا قليلا، لأن شيئا نكرة، جاءت في سياق النهي، والنكرة في سياق النهي تدل على العموم، أي: فلا تأخذوا منه أي شيء أعطيتموه لها، سواء أكان من المهر، أو من الهدايا التي يقدمها الزوج والناس الآخرون لها بمناسبة مختلفة، (أتأخذون بهتانا وإثما مبينا) وجاء هذا الاستفهام في معنى: "التوبيخ" من الله -تعالى-، أي: كيف تأخذونه؟!، أتأخذونه على سبيل الظلم والبهتان والكذب؟! لأنه ليس من حقكم أن تأخذوا منه شيئا من مهرها، فإذا كان الانفصال منكم وأنتم فعلتم ذلك بغير حق، فلا تأخذوا من حقها شيئا.

قال زين الدين أبو عبد الله في تفسيره: فإن قيل: كيف قال: (أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا) وأخذ مهر المرأة ظلم وليس ببهتان، لأن البهتان الكذب؟

قلنا: قال ابن عباس وابن قتيبة: المراد بالبهتان الظلم، وقال الزجاج: المراد به الباطل، والمشهور في كتب اللغة أن البهتان أن يقول الإنسان على غيره مالم يفعله، قالوا فالمراد به أن الرجل ربما رمى أمراته بتهمة ليتوصل بذلك إلى أن يأخذ منها مهرها ويفارقها. وقيل: المراد به إنكاره أن لها مهرا في ذمته^١

قال أبو بكر بن فوزي: بأن الاستفهام للإنكار فقال: ولذا فقد جاء الاستفهام في قوله: {أَتَأْخُذُونَهُ} إنكارا على من يفعل هذا الفعل، ثم جاء بيانه بأنه إثم وبهتان للبعد عن الوقوع فيه.^٢

(١) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي الناشر: دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١ م، ص ١٠٥

(٢) : الحكم من المعاملات والموارث والنكاح والأطعمة في آيات القرآن الكريم المؤلف: أبو بكر بن محمد فوزي رسالة: ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - قسم التفسير، ص ٥٦

حكم المغالاة في المهور:

يستحب عدم المغالاة في المهور، لما يلي:

١- حديث عائشة - رضي الله عنها - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: من يمن المرأة تسهيل أمرها، وقلة صداقها. واليمن: البركة.

٢- حديث عقبة بن عامر - رضي الله عنه -: خير الصداق أيسره.

بالعكس من ذلك فقد قال بعض العلماء: تجوز المغالاة بالمهور، ويستدلون بقول الله - تعالى -: (وَأْتِيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا)، وبقصة عمر - رضي الله عنه - أنه صعد المنبر يوماً، بأمر بتخفيف المهور، ونهى عن المغالاة فيها، فقامت إليه امرأة، فقالت له: كيف تقول هذا؟!، وقد قال - تعالى -: (وَأْتِيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا)، فقال: أخطأ عمر - رضي الله عنه -، وأصابت امرأة. وذهب قوم إلى أن الآية لا تدل على جواز المغالاة في المهور، لأن التمثيل بالقنطار، إنما هو على جهة المبالغة.

قوله تعالى: ﴿أَمَلَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلِكِ إِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ٥٤﴾^١
محل الاستشهاد: "أم يحسدون الناس"

معنى الاستفهام الدلالي الصريح: "الإنكار"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه الدلالي الصريح ، لأن ابن عطية - رحمه الله - قد صرح في تفسيره بهذا المعنى فقال: عرف أم أن تعطف بعد استفهام متقدم، كقولك: أقام زيد أم عمرو، فإذا وردت ولم يتقدمها استفهام، فمذهب سيويه: أنها مضمنة معنى الإضراب عن الكلام الأول

(١): سورة النساء الآية/٥٤:٥٣

والقطع منه، وهي مضمنة مع ذلك معنى الاستفهام، فهي بمعنى «بل» مع ألف الاستفهام، كقول العرب: إنها لإبل أم شاء، فالتقدير عند سيبويه، أنها لإبل بل أهي شاء. وكذلك هذا الموضع، تقديره: بل أهما نصيب من الملك؟ القاضي أبو محمد: والمعنى على الأرجح الذي هو مذهب سيبويه والحدائق، أنه استفهام على معنى الإنكار، أي أهما ملك؟ فإذا لو كان لبخلوا. كلام ابن عطية صريح بأن أم إن لم يسبقه استفهام فهو بمعنى "بل" أي للإضراب عن الكلام الأول وكذلك لا يخلو من معنى الاستفهام وهو هنا بمعنى الإنكار أي لو كان لهم الملك لتراهم من أبخل الناس.

وكذلك أم في "أم يحسدون الناس" على بابها، تقديره: بل أهما.....

المراد من "الناس" في قوله تعالى: أم يحسدون الناس هو نبينا محمد ﷺ ومن "الفضل" النساء. والحاسدون هم اليهود حين لقالوا للعرب: أنظر إلى هذا الذي يدعي بأنه بعث بالتواضع ولا يستطيع أن يملأ بطنه من شدة الفقر وليس همه إلا الأزدية في النساء فقال تعالى: لماذا تحسدون علي محمد ﷺ ولم تحسدون علي إبراهيم وآله وسليمان وداود عليهما السلام؟ مع أنهم أوتوا من المال والنسوة ما لم يؤت مثله، قال إبراهيم بن السري: معناه بل أيحسدون الناس. وهنا يعني به النبي - ﷺ - كانت إليهود قد حسدته علي ما آتاه الله من النبوة، وهم قد علموا أن النبوة في آل إبراهيم عليه السلام، فقبل لهم: أتحسدون النبي - ﷺ - وإما المراد من "الناس" العرب ومن "الفضل" محمد ﷺ، والحاسدون هنا بنو إسرائيل لأنهم حسدوهم ببعثة النبي ﷺ منهم وقالوا نحن أولى به منهم.

(١) : معاني القرآن وإعرابه المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج المحقق: عبد الجليل عبده شلي الناشر: عالم

قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^١

محل الاستشهاد: "فمال هؤلاء"

معنى الاستفهام الدلالي الصريح: "التوبيخ"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي ولقد صرح به ابن عطية رحمه في تفسيره فقال: ثم وبخهم بالاستفهام عن علة جهلهم، وقلة فهمهم وتحصيلهم لما يخبرون به من الحقائق، والفقه في اللغة الفهم، وأوقفته الشريعة على الفهم في الدين وأموره، وغلب عليه بعد الاستعمال في علم المسائل الأحكامية، قال أبو الليث نصر بن محمد: قال تعالى: فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ يعني المنافقين لا يكادون يفقهون حديثاً أي لا يفهمون قولاً أن الشدة والرخاء من الله تعالى، أي لا يسمعون ولا يفهمون ما يحدثهم ربهم في القرآن.^٢ والبلاغة في الاستفهام عن قلة فقههم بينة، لأنك إذا استفهمت عن علة أمر ما، فقد تضمنت كلامك إيجاب ذلك الأمر تضمننا لطيفا بليغا.^٣ كلام ابن عطية - رحمه الله يدل بصراحة بأن الاستفهام هنا في المعنى المجازي التوبيخي. أن الله تعالى أظهر حقيقة الموت في هذه الآية حيث قال: "أين ما تكون يدركم الموت" أي أن الموت لا مفر منه يجدرك من تكون وحيثما تكون، حتى المباني المتينة والمحصنة أيضا لا ينجيك إذا جاء الأجل،

(١) سورة النساء: الآية: ٧٨

(٢) بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) ص ٧١

(٣) : المحرر الوجيز ابن عطية، ص ٨١ ج ٢

واختلف المفسرون في معنى البروج ، ولكن الأصح المراد منه البيوت والقلاع المحصنة لأنها مطلوبة عند البشر للتحصن من البلاء، ثم قال تعالى: "إن تصبهم (الضمير المنصوب إذا كان راجعا إلى المنافقين) حسنة من هزم عدو أو حصول غنيمة يرون بالاتفاق بأنه من صنع الله لا بسبب اتباعك والإيمان بك، وإن تصبهم سيئة من المرض يقولون بأنه منك يا مُحَمَّد ﷺ، فقال تعالى: قل لهؤلاء الغفلة أن الخير والشر من الله أنا لست بفاعل خير أو شر، ولكنهم عقولهم تعطلت لا تهدي إلى الصراط المستقيم، والاستفهام في قوله تعالى: "فمال" كأنه تعالى يسئل عن علة حماقتهم و عدم فهم الدين وأحكامه

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١)

محل الاستشهاد: أفلا يتدبرون القرآن.

المعنى الدلالي الصريح: التقرير والتوبيخ.

في هذه الآية بيان أن هؤلاء المنافقين الذين يطعنون في نبوتك ورسالتك بغير برهان وحجة، ألا يرجعون إلى القرآن ويتدبرونه، ويقرّونه حكما؛ فتلوح أدلته وتظهر لهم براهينه البينة المنطقية التي يؤمن بها أولو الألباب، والتدبر هو: النظر في نهايات الأمور وتفسيرات الأشياء، وهذا كله يتطلبه قوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن) الآية، وهو كما يتضح جليا أمر بالتمعن والاحتجاج والنظر والاستدلال، ولم يكتف بذلك فحسب، إنما أعلم -تعالى- بمرجع الحجة والبرهان أيضا، ويشير إلى أنه لو كان من قول البشر كما تزعمون، لتطرق إليه وتعرض لما يتعرض له كلام البشر من القصور والفتور، والتناقض والتنافي الذي يستحال جمعه، لأن ذلك يقع فيه كلام البشر حتما، ولا براءة منه

(١) النساء، الآية: ٨٢.

قطعا أبدا، أما القرآن العزيز كتاب الله الحكيم المعجزة الخالدة، الموعود بحفظه من رب العالمين، المحيط بكل شيء علما وتبيانا - فهو منزه عن ذلك كله، لا ريب فيه.

وقال الطحاوي ان الآية تعم المحكمات والمتشابهات فقال: أن الله جل وعلا قال: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ} [النساء: ٨٢] وهذا يعم الآيات المحكمات والآيات المتشابهات. فدل ذلك على أن الآيات المتشابهات لها معنى يُعقل ويُتدبر^١

يقول العلماء الفقهاء -رحمهم الله-: إن كان هناك من عرضت له شبهة وظن اختلافا في شيء من كتاب الله، فمن الواجب أن يلزم نظره الاتهام، ويلوم نفسه، ويسأل أهل الذكر ومن هو أعلم منه، وذهب الزجاج: "إلى أن معنى الآية لوجدوا فيما نخبرك به مما يبيتون اختلافا، أي: فإذا تخبرهم به على حد ما يقع، فذلك دليل أنه من عند الله غيب من الغيوب، هذا معنى قوله"^(٢).

وذكر محمود حسن فرحات فائدة فقال: لا بد من التوسع في تفسير القرآن بالقرآن في مجال دراسة المفردات القرآنية، وعلى الرغم من اتفاق العلماء قديماً وحديثاً على أن تفسير القرآن بالقرآن أعلى مراتب التفسير، لأنه تفسير صاحب الكلام لكلامه، إلا أن هذا المصدر من التفسير لم يتوسع فيه، وبقي محدوداً^٣ -

(١) : أقوال الطحاوي في التفسير من أول القرآن حتى نهاية سورة التوبة جمعاً ودراسة رسالة: ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه إعداد: محمد بن عبد الله الوزرة الدوسري إشراف: د حسن محمد عبد العزيز علي، ص ٦٥\

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ٨٣، ٨٤.

(٣) : معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات) المؤلف: أ. د. أحمد حسن فرحات الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص ٧٩

أما أداة الهمزة الاستفهامية التي هي محلّ الاستشهاد في قوله: (أفلا يتدبرون القرآن)، فقد جاءت في معنى دلالي لا لغوي، وهو التقرير على إلزامهم عدم تدبر القرآن، والتوبيخ على فعلتهم هذه، وقد أشار إليه الإمام ابن عطية الأندلسي -رحمه الله- بصراحة، حيث قال:

"المعنى: هؤلاء المنافقون الطاعنون عليك الرافعون بغير برهان في صدر نبوتك، ألا يرجعون إلى النصفة (من الإنصاف وهو العدل)، وينظرون موضع الحجة ويتدبرون كلام الله؟ فتظهر لهم براهينه وتلوح أدلته".^(١) وهذا المعنى الدلالي صريح وواضح جدا من تفسير ابن عطية هذا، إذ يدل على ذلك وضع علامة الاستفهام، والعبارة المورودة منه في بيانه.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

محل الاستشهاد: " ومن أصدق "

معنى الاستفهام الدلالي الصريح: " الإنكار "

إثبات الدعوى:

وقع الاستفهام هنا في معناه المجازي ، وقد صرح به ابن عطية -رحمه الله - في تفسيره فقال: ومن أصدق من الله حديثا؟ ظاهره الاستفهام ومعناه تقرير الخبر، تقديره: لا أحد أصدق من الله تعالى، لأن دخول الكذب في حديث البشر إنما علتة الخوف والرجاء أو سوء السجية، وهذه منفية في حق الله تعالى وتقدست أسماءه.

كلام ابن عطية -رحمه الله- ظاهر في معناه بأن ظاهر اللفظ يدل على الاستفهام ومعناه الخبر، قصده أن المعنى الاستفهام يوجد فيه ولو يدل على الخبر، ولقد صرح به أبو سعود في تفسيره

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ٨٣.

(٢) : سورة النساء الآية: ٨٧.

فقال: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } إنكار لأن يكون أحد أصدق منه تعالى في وعده.^١
قال تعالى قبل هذه الآية "وكان الله حسيبا" بدأ في هذه الآية بتمجيد الله تعالى وبتهديد من مخالف أمره، وبوعد يوم الحشر، الجمع هنا في الآية المراد منه الحشر فلذا عُدِّي ب إلى، وعدهم بالحشر ثم أكد هذا البحث بقوله: هذا أمر لا يتطرقه جنس الشك ولا ريب، ثم أكد مزيدا بأن الله تعالى لا يكذب أبدا وهو أصدق القائلين، لأن الكذب منبعه الخوف أو الرجاء ، فالله تعالى منزه عن هذه السجايا الشنيعة.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ الآية^(٢)

محل الاستشهاد: فما لكم في المنافقين فتنين.

المعنى الدلالي الصريح: التوبيخ.

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره .
تبين هذه الآية للمؤمنين: كيف يتعاملون مع المنافقين؟ لأن المنافقين يعيشون بينهم ويخفون نفاقهم، ويظهرون الإيمان، في بداية الآية يقول الله تعالى: (فما لكم في المنافقين فتنين)، والاستفهام (مالكم) توبيخي، والمعنى: ما لكم أيها المؤمنون صرتم فتنين في شأن المنافقين، ولماذا تفرقتم إلى طائفتين في الحكم عليهم، واختلفتم فيهم؟! إذ تقول طائفة بقتالهم والأخرى لا تقول بذلك. ظهر من هذا البيان أن أداة الهمزة الاستفهامية جاءت في هنا لتدلّ على معنى: التقرير والتوبيخ، الذي

(١): تفسير أبي سعود، أبو سعود، ص ٢١١ ج ٢

(٢) النساء، الآية: ٨٨.

هو غير معناها اللغوي، بل هو معنى دلالي، وقد صرح به القاضي الفقيه الإمام ابن عطية

الأندلسي - رحمه الله - في تفسيره، حيث قال:

"وقوله: (فما لكم في المنافقين) الآية، الخطاب للمؤمنين، وهذا ظاهره استفهام، والمقصد منه التوبيخ".^(١) وأوضح من الشمس، وأبين من النور.

جاء في رواية زيد - رضي الله عنه - عن هذه الآية ما فحواه: أنها نزلت في أحد، لما رجع عبد الله بن أبي ابن سلول بثلاث الجيش مع جماعة المنافقين الذين خرجوا مع المسلمين، فأحدث خلافا في جيش المسلمين، فقال بعضهم: نقاتل هؤلاء الذين يريدون الانصراف، والبعض الآخر: لا نقاتلهم، لأنهم يقولون: شهادة ألا إله إلا الله في ظاهرهم.

(أركسهم) أي: أضلّهم وفضحهم ردّهم إلى الكفر، وأوقعهم في الخطأ بسبب أعمالهم، ما فيه ظلم لأنهم منافقون، اختاروا النفاق عن قصد، ولأنهم ضلّوا عن السبيل باختيارهم، لذلك قال الله - تعالى -: (أركسهم) وهم أقحموا أنفسهم في الضلالة فزادهم ضلالة على ضلالة.

قوله تعالى: **أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا^٢**

محل الاستشهاد: أتريدون

معنى الاستفهام الدلالي الصريح: الإبعاد واليأس

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي إغني الإبعاد واليأس، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ٨٨.

(٢) سورة النساء ١٤٤

استخدمت الهمزة الاستفهام هنا في معناه المجازي وقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره حيث قال: أتريدون استفهام معناه الإبعاد واليأس مما أرادوه، والمعنى أتريدون أيها المؤمنون القائلون: بأن أولئك المنافقين مؤمنون أن تسموا بالهدى من قد يسره الله لضلالة وحتمها عليه، ثم أخبر تعالى أنه من يضل فلا سبيل إلى إصلاحه ولا إلى إرشاده^١ والمعنى: أتتوون أن تهدوا من صرف الله -تعالى- قلبه عن دينه، وأضله عن سبيله، لأنه كفر بالله وجحدته، وولّى عن الإيمان به تعالى وبرسوله -ﷺ- واتباع ما أمر به؛ فلا طريق له إلى الهدى.

فكلام ابن عطية ظاهر في معناه بأن الاستفهام هنا في معنى اليأس وهو ما صرح به. (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا) أي: من كتب الله له الضلالة عن الصراط المستقيم، وجعله يعمه في ظلمات الكفر والضلالة، فلن تجد له طريقا إلى الهداية، لأن الهداية أمرها إلى الله -عزّ وجلّ-، يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء، والمراد بالهداية في هذه الآية التوفيق للإيمان والعمل الصالح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٢)

محل الاستشهاد: فيم كنتم؟

المعنى الدلالي الصريح: التقرير والتوبيخ.

إثبات الدعوي

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أقصد التقرير والتوبيخ، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره.

(١) تفسير ابن عطية ص ٨٩ ج ٢

(٢) النساء، الآية: ٩٧.

تحدث هذه الآية عن طائفة من أهل مكة، كانوا قد دخلوا الإسلام، وأظهروا للنبي -ﷺ- الإيمان، لكن لما هاجر رسول الله -ﷺ- والمؤمنون إلى المدينة، ووجبت الهجرة على الذين آمنوا بأمر من عند ربهم -أقاموا مع قومهم، وبقوا معهم بدل أن يهاجروا، الأمر الذي أفضى إلى وقوع جماعة منهم الفتنة، ولما وقعت غزوة بدر، سحب قوم منهم الكفار، وخرجوا معهم، فقتلوا بدر، فنزلت هذه الآية فيهم، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- ما بيانه: كانت جماعة من أهل مكة قد أسلموا، لكنهم كانوا يستخفون بإسلامهم، فاصطحبهم المشركون معهم في غزوة بدر، فأصيب بعضهم، ما جعل المسلمين يقولون: كان أصحابنا هؤلاء قد أسلموا لكنهم أخرجوا في الحرب كرها، فاستغفروا لهم، فنزلت الآية: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) قال: فأرسل إلى من بقي من المسلمين بمكة احتجاجا بهذه الآية -ألا يقبل لهم عذر، ولا يعدّ لهم عذر شرعي، فتفرقوا من المشركين وخرجوا، فظفر بهم المشركون وأوقعوهم في الفتنة، فنزلت فيهم: " (وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) [العنكبوت : ١٠] الآية، فكتب إليهم المسلمون بذلك فخرجوا ويئسوا من كل خير. ثم نزلت فيهم: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ) [النحل : ١١٠] فكتبوا إليهم أن الله قد جعل لكم مخرجا، فخرجوا فلحقهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل".^(١) ويشير قول عكرمة إلى أن هذه الآية سبب نزولها: خمسة قتلوا يوم بدر، وهم: قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن أسد، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو العاصي بن منبه بن الحجاج، علي بن أمية بن خلف، وقال البعض: بل نزلت في أناس غير هؤلاء، أسلموا ثم خرجوا إلى بدر، فلما رأوا أن المسلمين عددهم قليل، قالوا: غرّ هؤلاء دينهم. ويروى أن العباس كان ممن

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ٩٩.

خرج مع الكفار، لكن حالفته النجاة غير أنه جعل أسيراً، ويروى أنه لما أسر العباس وابن أخيه عقيل ونوفل، خاطب رسول الله ﷺ - العباس، وقال له: افد نفسك وابن اخيك، فردّ عليه - ﷺ - العباس: يا رسول الله، ألم نصلّ قبلك ونشهد شهادتك؟ فقال: يا عباس! إنكم خاصمتم وجادلتهم فغلبتم، ثم تلا عليه الآية: (أَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا)، قالت المؤلفة أسماء بنت مُجَّد: قال الخطيب - رحمه الله - : (في الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه.^١ في ضوء هذه الآية قال بعض العلماء: يوم نزلت هذه الآية فكان حكم من أسلم ولم يهاجر أنه كافر حتى يهاجر، ويخرج من مكة، إلا الذي لا يطيق ذلك ولا يجد حيلة، ولا يهتدي إلى سبيل ليهاجر، فلا يدخل في هذا الحكم.

وفي هذا الحكم الذي بيناه آنفاً نظر، ولقد ردّ عليه القاضي أبو مُجَّد الإمام ابن عطية الأندلسي - رحمه الله - وقال: والأصل الذي يرجع إليه ويتمسك به في ذلك هو أن من مات من الذي أقاموا مع قومهم بعد نزول أمر الهجرة، بعد أن وقع في الفتنة، وارتدّ فدخل في حكم الكفر، ومأواه جهنم على جهة الخلود، كما جاء في الآية: فأولئك مأواهم جهنم، وساءت مصيراً، وهذا الذي يظهر بحق تلك الجماعة، وإن فرضنا من مات فيهم وهو مؤمن، وقد أخرج مكرهاً، أو مات بمكة، فهو يعدّ عاصياً بسبب أنه ترك الهجرة، التي كانت واجبة على المسلمين حينئذ، ويدخل جهنم بسبب عصيانه لكنه لا يخلد فيها، لكن لما لم يتم تعيين أحد أنه مات على الإيمان لم يسغ ذكرهم في الصحابة، "وأما العباس فقد ذكر ابن عبد البر - رحمه الله - أنه أسلم قبل بدر، ولذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في يوم بدر: من لقي العباس فلا يقتله، فإنما أخرج كرهاً".^(٢) لكن يخالفه ما قاله القاضي أبو مُجَّد ابن عطية الأندلسي - رحمه الله - : "روي أنه إنما أسلم أسيراً

(١) : الاستنباط عند الخطيب الشربيني (٩٧٧ هـ) في تفسيره السراج المنير - جمعاً ودراسة رسالة: ماجستير، جامعة الإمام مُجَّد

بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه إعداد: أسماء بنت مُجَّد بن عبدالعزيز الناصر إشراف: د عبدالعزيز بن ناصر السبر

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ١٠٠.

حين ذكر له النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر المال الذي ترك عند أم الفضل، وروي أنه أسلم في عام خيبر، وكان يكتب إلى رسول الله بأخبار المشركين (كان يعمل لصالح المسلمين على جهة التجسس والعين)، وكان يحب أن يهاجر، فكتب إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن امكث بمكة فمقامك بها أنفع لنا".^(١)

وقد صرح بذلك القاضي الإمام ابن عطية في تفسير الآية بقوله:

"وقول الملائكة: (فيم كنتم)؟! تقرير وتوبيخ".^(٢)

وإنما أضرب عن عدّهم في الصحابة لشدة ما وقعوا فيه، ولعدم تعين أحد منهم بالإيمان، ولاحتمال رده، وتوعد الله -تعالى- إياهم بأن (مأواهم جهنم).^(٣)

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّوْنَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٤)

محل الاستشهاد: أبيتون عندهم العزة!؟

المعنى الدلالي الصريح: التوبيخ والزجر.

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أعني التوبيخ والزجر ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره .

إن هذه الآية والتي قبلها فيهما دلالة على أن الآيات التي قبلها تتحدث عن المنافقين، وكانت البشارة في التي سبقت هذه للمنافقين مضافة إلى قيد، وهو العذاب الأليم:

(١) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٠٠.

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٠٠.

(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٠٠.

(٤) النساء، الآية: ١٣٩.

﴿بَشِّرِ الْمُتَّقِينَ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ١٣٨ - النساء، الآية: ١٣٨ - لذلك حسن استعمالها

-البشارة- في الأمر المكروه، وأما إذا وردت عامّة دون قيد كهذا فإنما عرفها في المحبوب.

في هذه الآية تصريح وتبيين من الله -تعالى- عن صفة المنافقين التي هي تعتبر أشدّها ضررا على المؤمنين، وأكثرها قبحا وشناعة، وهي موالاتهم الكفار، ومعارضتهم واطراحهم المؤمنين، وأورد تنبيها على فساد ذلك وشناعته، ليتركه من عسى أن يقع في نوع منه من المؤمنين الذين أخلصوا غفلة أو جهالة أو مسامحة، وليبتعدوا عنه كل ابتعاد واشتطاط؛ لأنهم -المنافقين- يصلون صلاتهم ويتوجهون نحو قبلتهم، وقد أسلموا بظاهرهم كما أسلم المؤمنون، ويقولون: آمنا، بل لما آمنوا، وإنما أسلموا فحسب، وقد جرهم إلى اتخاذ الكافرين أولياء، ومعارضتهم للمؤمنين بواعث كثيرة، وأسباب عديدة، بين مادية ومجردة، منها ما أشارت إليه هذه الآية، وهو أنهم يجعلون الكفار أولياء ويعارضون المؤمنين لأنهم يبتغون عند الكفار العزة والقوة، والشرف والكرم، ويطمعون في أن يكونوا أقوى وأعزة على المؤمنين، وكانوا يرجون هذا منهم، لكن ليعلموا أن العزة هي من عند الله جميعا، وهو على كل شيء قدير، يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء.

إنما جاءت أداة الهمزة الاستفهامية في هذه الآية: (أَيَّتغون عندهم الله فإن الله العزة لله جميعا) بمعنى "التوبيخ والزجر" وهو معنى دلالي -مجازي- وليس لغوي، كما صرح بذلك القاضي الفقيه الإمام ابن عطية الأندلسي -رحمه الله-، حيث ذكره محررا:

"ثم وقف تعالى على جهة التوبيخ على مقصدهم في ذلك، أهو طلب العزة والاستكثار بهم أي ليس الأمر كذلك بل العزة كلها لله يؤتيها من يشاء، وقد وعد بها المؤمنين، وجعل العاقبة للمتقين".^(١)

و (العِزَّة) أصلها: الشدة والقوة، ومنه الأرض العزاز أي: الصلبة، ومنه (عَزَّي) [ص: ٢٣] أي: غلبني بشدته، واستعز المرض إذا قوي، إلى غير هذا من تصاريف اللفظة".

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١٢٥.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(١)

محل الاستشهاد: ألم نكن معكم!؟

محل الاستشهاد: ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين!؟

المعنى الدلالي الصريح: الإنكار.

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي أعني الإنكار، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره.

تحدث الآية عن جانب من جوانب نفاق المنافقين، وهو أنهم يترصدون دور الدوائر على المؤمنين وينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفر عليهم وذهاب ملتهم، وينظرون: هل ينتصرون ويفتحون ويكرمون بالنصر والتأييد والظفر والغنيمة؛ ليركبوا نفاقهم ويأتوهم ويقولوا: ألم نكن معكم!؟ -أو يهزمون ويغلبون وتكون إدالة عليهم؛ ليأتوا الكافرين ويقولوا: ألم نحطكم ونحاصرکم حفاظا بكم ونمنعكم من المؤمنين ونساعدكم في السرّ ولم ندّخر خبالا وخذلا حتى غلبتم وانتصرتم عليهم!؟

وردت في هذه الآية أداة الهمزة الاستفهامية ثلاث مرات، وهي:

- ١- أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ!؟
- ٢- أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ!؟
- ٣- وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ!؟

(١) النساء، الآية: ١٤١.

لا لتدل على معناها اللغوي الذي وضعت من أجلها، وإنما للدلالة على معنى دلالي -مجازي-، ألا وهو: الإنكار، إذًا يكون معنى الأولى: بل كنا معكم، ومعنى الثانية: بل حسمنا أمركم وأحطناكم حفاظا عليكم، ومعنى الثالثة التي يدل عليها العطف: بل منعناكم وحفظناكم من المؤمنين وغلبتهم، وهذا المعنى الدلالي صريح وبائن جدا من تفسير الإمام القاضي الفقيه ابن عطية الأندلسي -رحمه الله-، حيث يقول:

"معناه: ينتظرون دور الدوائر عليكم، فإن كان فتح للمؤمنين ادّعوا النصيب فيه بحكم ما يظهرونه من الإيمان، وإن كان للكافرين نيل من المؤمنين، ادّعوا فيه النصيب بحكم ما يبطونونه من موالاته الكفار"^(١).

في قوله تعالى: (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) تسليية وإيناس من الله رب العالمين للمؤمنين ووعدهم فيها بأنه -تعالى- يحكم بينهم وبين المنافقين وينصفهم من جميعهم يوم القيامة، وقوله: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) معناه: لن يجعل الله -تعالى- للكافرين على المؤمنين حجة يوم القيامة، لأنهم يفردون من عند ربهم بالنعيم والآلاء، ويجوز أن نقول: هذه تسليية فوق تسليية؛ فالله -تعالى- بعد أن بشرهم وسلاهم ووعدهم بالحكم بينهم وبين الكافرين وإنصافهم من جميعهم ومحاسبتهم على ما فعلوه في الدنيا، زاد على ذلك تسليية أخرى، وهي: أنه تعالى لن يترك مجال حجة للكافرين على المؤمنين يوم القيامة. والسبيل: الحجة والغلبة، وقد ذهب جميع أهل التأويل إلى أنه الحكم يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكٰفِرِينَ ءَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ

تَجْعَلُوا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا﴾^(٢)

محل الاستشهاد: أتريدون!؟

المعنى الدلالي الصريح: التوقيف والتهديد.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١٢٦.

(٢) النساء، الآية: ١٤٤

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أعني التوقيف والتهديد ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره.

في هذه الآية وجه -تعالى- خطابا إلى المؤمنين، والظاهر أنه يدخل فيه الذين يظهرون الإيمان من المنافقين، إلا أن هذا الخطاب يحمل ترفقا بهم، وهم الهدف من قوله: (أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا، لأن التنبيه والتوقيف ينطبق على من له إمام واطلاع بما يؤدي إلى هذه الحال، وفي المطاف يقعون فيها ويتعرضون لها عن قصد، أما المؤمنون الذين أخلصوا فهم لم يقعوا في شيء من ذلك، وهم غيب عن هذه الموالات، وبرآء من ذلك كل البراءة، ويؤيده قوله -تعالى-: (مَنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) وهذا لا يطلق على المؤمنين المخلصين، والمعنى: يا أيها الذين أظهروا الإيمان والتزموا لوازمه، ومعنى اتخاذهم أولياء يحمل معاني واتجاهات عدة، منها: موادتهم ومناصرتهم، والثقة فيهم والركون إليهم، والتعاون معهم، والملاحظ في ذلك أن الأمر لما كان ذا خطورة كاملة، لقيهم تهديد من الله -تعالى- بقوله: (أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا).

و"السلطان": الحجة والبرهان، وهي موحدة في التأنيث والتذكير، لكن التذكير أشهر، وبناء على هذا المعنى إذا أطلق على صاحب الأمر فهو على حذف مضاف، ويكون التقدير: ذو السلطان، أي: ذو الحجة والبرهان على الناس، لأنه يدبر أمرهم، وينظر في منافعهم ومصالحهم، والمعنى: بسبب اتخاذكم الكافرين أولياء من دون المؤمنين، والتوقيع والتوافق معهم على موالاتهم، أتئون وتنشدون أن تقيموا لله -عز وجل- على أنفسكم حجة بيّنة باهرة، تفضي إلى تنفيذ الحكم عليكم بالعذاب والنقمة من الله العزيز الحكيم. وقد ذهب الشيخ أبو بكر الجزائري إلى أن الخطاب الوارد في الآية موجّه إلى المؤمنين المخلصين، ولما كان الأمر خطيرا هددهم، ثم حذرهم وتبهم على

النفاق ألا يتسرب ويتطرق إلى قلوبهم، فيكونوا صيدا له، ويستحقوا عذابا ونقمة من الله يوم القيامة.

جاءت في هذه الآية أداة الهمزة الاستفهامية، التي تشهد على معنى دلالي -مجازي-، وهو: التوقيف، ويجوز أن يكون المراد بالاستفهام "التهديد"، إذ نهاهم الله -تعالى- أولا، ثم أطلق إليهم تهديدا، وهو معنى دلالي أيضا، وهو صريح تمام الصراحة وواضح تمام الوضوح في تفسير الآية، حينئذ يكون المعنى: انتهوا عن اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين وموالاتهم، لئلا تجعلوا لله على أنفسكم حجة وبرهانا.

المعاني الدلالي الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة المائدة:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرِيُّ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(١)

محل الاستشهاد: فلم يعذبكم!؟

المعنى الدلالي الصريح: الإنكار والتوبيخ.

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أعني الإنكار، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره

(١) المائدة، الآية: ١٨.

ذكر تعالى في هذه الآية من سورة المائدة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أن اليهود والنصارى زعمت أنهم أبناء الله - سبحانه الله عما يقولون - وأحباؤه، ظاهر اللفظ يقتضي العموم في هذه الدعوى إلا أن الأمر ليس كذلك، بل كل فرقة مستقلة بتخصيصها في هذه الدعوى الخاوية الجوفاء والزمع الباطل: نحن أبناء الله وأحباؤه، فجاءت الآية ردًا على دعواهم الباطلة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ) : أَي قُلْ لَهُمْ. (بَلْ أَنْتُمْ) : رَدُّ لِقَوْلِهِمْ: «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ»، وَهُوَ مَخَكِّيٌّ بِقُلْ.^١

إن مما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنهم ما أرادوا من البنوة هنا البنوة الحقيقية، بل قصدوا بنوة الحنان والرأفة، ولفظة أحباء جمع حبيب، وهو المحبوب، ويعود سبب ضلالهم إلى أنهم افتروا على الله وقالوا: إنه تعالى أوحى إلى إسرائيل: «أن أول أولادك بكرى» فضلوا بذلك، ولو كان مقامهم صحيحاً حقاً لكان المعني بكرا في التشريف والنبوة ونحوهما، وهذا القول إجابة وردّ عما قال لهم الرسول - ﷺ - عندما دعاهم إلى الإيمان، وخوفهم من العذاب والعقاب.

فجاء قوله - تعالى - : ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ ردا عليهم، ومعناه: قل لهم يا محمد! لو كنتم أبناء الله وأحباؤه كما تدعون، وكنتم عند الله في منزلة تفوق منازل البشر، لما بشركم ووعدكم بالعذاب الأليم واستحققتموه وأذاقكم إياه يوم القيامة!! ويتضح من هذا المعنى أن أداة الاستفهام "لم" ما جاءت في هذه الآية لتدل على معناها اللغوي، وللسؤال عن العلة والسبب، وإنما أوردت بمعنى: الإنكار - بناء على معنى: لو كنتم أبناء الله لما عذبكم؟! - بالإضافة إلى أنه يجوز أن يكون معنى الاستفهام في هذه الآية التوبيخ والزجر أيضا، وقد صرح القاضي الفقيه الإمام أبو محمد ابن

(١) التبيان في إعراب القرآن أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) الناشر : عيسى البابي الحلبي

عطية الأندلسي-رحمه الله- في تفسيره بالمعنى الإنكاري لأداة الاستفهام "لم" حيث قال في بيان معنى قوله: (قل فلم يعدّ بكم بذنوبكم):

"أي: لو كانت منزلتكم فوق منازل البشر لما عدّ بكم"^(١).

وزد على ذلك أنكم قد أقرتم واعترفتم بأنه -تعالى- يعدّ بكم؛ فقد قالوا غير مرة لرسول الله -ﷺ-: نحن ندخل النار فنقيم بها أربعين يوماً ثم نخلفوننا فيها. وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ هذا دليل على أن حكم العدل والفضل عليهم قد تقرر إجراؤها من الله -عزّ وجلّ-؛ فلا فرق بينهم وسائر بني آدم، قوله: ﴿يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعني الآية: إن حصلتكم على أسباب المغفرة وأحسنتم فتجزون بالخير فضلا، وإن أسأتم فقد كتب عليكم العذاب بسبب إساءتكم عدلا، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: هو تعالى مالك الملك، وله تدير ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما، وإليه المرجع.

قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُؤَيِّلَتَا

أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب.

المعنى الدلالي الصريح: التعجب

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي أعني التعجب، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في

تفسيره

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١٧٢.

(٢) المائدة، الآية: ٣١.

تعود القصة إلى مبدأ تعمّر الإنس في هذا العالم، وتحديدًا إلى ما حدث بعد ما قتل قابيل أخاه، طمعا في الزواج بأخته التي قدر الله أن تكون زوجة لأخيه هايل، وقد قربا قربانا فتقبل من هايل ولم يتقبل من قابيل، الأمر الذي جرّه إلى التجرؤ على قتل أخيه هايل، ولما قتله تحير في أمره وما تعرف إلى طريقة لدفن جسده، وما يصنع بجسده؟!، فأرسل الله غرابا ليحفر في الأرض حفرة ويقوم بعملية دفن غراب ميت فيها، وقيل: بل كان غراباً واحداً يبحث ويلقي التراب على هايل، وهذا ليعرفه الله أو الغراب هو وبني آدم أجمعين، الذين يأتون من بعده -بطريقة الدفن، وهو تكريم منه تعالى لبني آدم دون سائر المخلوقات التي تعيش في هذا الكون الإلهي.

وقوله: ﴿كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾^(١) يحتمل أن يعود ضمير "أخيه" على قابيل، ويعنى حينئذ بالأخ هايل، ومن المحتمل أن يرجع إلى الغراب الباحث في الأرض، وعلى يراد بالأخ الغراب الميت كما هو واضح تماما، فلما رأى الغراب يبحث في الأرض ويحفر فيها وتعلم كيف يوارى سوءة أخيه، تعجب قائلاً: أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأستر جسد أخي؟! ففعل مثله، وسار نادماً على ما ارتكبه وتعرض له ووقع فيه من قتل أخيه هايل، وقيل: أنه أصبح نادماً على حمله على عاتقه، أو لأنه لم ينتفع بقتله، وهذا تسبّب في سخط أبويه وإخوته عليه، وإليه أشار الحسين بن الفضل: يجوز أن لا يكون ندم قابيل توبةً له، ويكون ندم هذه الأمة توبة لها؛ لأن الله تعالى خصّ هذه الأمة بخصائص لم يشركهم فيها غيرهم من الأمم، وفيه قول آخر وهو أن ندم قابيل لم يكن على قتل هايل، وإنما كان ندمه على حمله.^١

(١) : أقوال الحسين بن الفضل في التفسير رسالة: ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين -

قسم القرآن وعلموه إعداد: نادية بنت إبراهيم النفيسة إشراف: حجاج عربي رمضان، ص ١١٤

أما لماذا سميت جثته سوءة فقال أبو حفص النسفي: وقوله تعالى: {لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ}؛ أي: لِيُبْصِرَهُ كَيْفَ يُخْفِي جِثَّةَ أَخِيهِ، وقد كانت أنتنت، فسُمِّيت سوءةً لذلك.^١
الأمر الذي جعله ندم لأجله، لا لأجل أنه اقترف ذنبا بقتله، فلم يكن ندمه على الوجه الذي يكون ندم التوبة.

واختلف العلماء في قابيل: هل يعدّ من الكفار أم العصاة؟ لكن الظاهر أنه يعدّ من العصاة، أما كيف كانت نهاية قابيل فقيل: إنه لما ارتكب قتل أخيه استوحش من الناس، وكان كلما التقى بإنسان وواجهه ظنّ أنه آتٍ ليقتله فيهرب منه، وكان على هذه الحال حتى قتله بعض أولاده.
في هذه القصة دروس وعبر هادفة صادقة، ولقد أخلدها الله - سبحانه - لتصل إلى البشر كلّهم لما فيها من بيان التأثير السلبي الخطير للحقد والحسد وحبّ الذات، وأن ذلك يؤدي إلى الوقوع في المخاطر والقبائح؛ فبعد أن ذكر حسد اليهود للنبي - ﷺ - ذكر هنا قصة ابني آدم، التي تحمل في طياتها أيضا مضمون حسد من الأخ على أخيه طمعا فيما يحبه ويصرّ ويعاند فيه من غير حق شرعي.

استنبط العلماء الفقهاء - رحمهم الله - من هذه الآية عدة قضايا شرعية، بناء على أحاديث الرسول - ﷺ -، منها:

١ - يعود مال الآثام إلى محدثيها ومن سنّها أولا وعن قصد منه، ثم لم يتب؛ فقد أخرج مسلم عن مسروق، عن عبد الله - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا تُقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سنّ القتل». وفي صحيح مسلم من

(١) : التيسير في التفسير يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية (المؤلف: نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (٤٦١ - المحقق: ماهر أديب جبوش، وآخرون الناشر: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول - تركيا الطبعة:

حديث المنذر بن جرير، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

٢- فعلة قابيل هذه وسنّه سنة سيئة لا تعني البتة أن يعرضه كل بني آدم من بعده محكّ الشر ومصبّه، ويوجّه له اللوم والعتاب ويجعله موضع تهمة في كل قتل يرتكبه أيّ شخص في العالم، بل الأصل: خذ ما صفا ودع ما كدر، وليأخذوا من خيرهما ويدعوا الشرّ ليس إلا، فقد روي عن النبي ﷺ - أنه قال: "إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً، فخذوا من خيرهما ودعوا الشرّ"^(١).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)

محل الاستفهام: ألم تعلم!؟

المعنى الدلالي الصريح: التنبيه والتثبيت.

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أعني التنبيه والتثبيت، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره.

في هذه الآية الكريمة أكد الله -تعالى- عدالة حد السرقة وأنه جاء على وفق الحكمة والعدل والرحمة، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤٠) خطاب للرسول ﷺ - والمراد به الجميع، ألم تعلم يا محمد أن الله هو خالق الكون ومالكه، والمتصرف في السماوات والأرض وما بينهما بما شاء من التصريفات

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١٨١.

(٢) المائة، الآية: ٤٠.

القدرية والشرعية، والمغفرة والعقوبة، وهو الفَعَال لما يريد، وهو على كل شيء قدير، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يعذب من يشاء على الصغيرة، ويغفر لمن يشاء على الكبيرة.

والآية تنبيه على العلة الموجبة لتنفيذ هذه الأوامر في المحاربين والسرقة، وهو تعالى بحق الملك لا معقب لحكمه ولا معترض عليه فيما يريد، وأن الهدف ليس العقاب لذاته، إنما تحقيق الصلاح ونشر الأمن وإشاعة الطمأنينة، ومن حكمته وعدله أنه يعذب العصاة تربية وزجراً لهم ولأمثالهم وتأميناً لمصالح العباد، ومن رحمته أنه يرحم التائبين ويسقط عنهم العذاب.

والمستفاد من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو أنه لا قرابة بين الله تعالى وبين أحد توجب المحابة حتى يقول قائل: نحن أبناء الله وأحباؤه، والحدود تقام على كل من يقارف موجب الحد أي: يرتكب الجريمة، وله -تعالى- تصرف كامل في ملك السماوات والأرض، وله الملك الحقيقي، والمالك الحقيقي يتصرف في ملكه كيفما شاء ومتى ما شاء.

ذكر صاحب لمسات بيانية هنا فائدة فقال: فأنت ترى أن المناسب ههنا تقديم العذاب على المغفرة. جاء في (الكشاف) في قوله تعالى (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) إلى قوله (يُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ) "فإن قلت لم قدم التعذيب على المغفرة؟ قلت لأنه قوبل بذلك تقديم السرقة على التوبة"^(١)

قوله: (ألم تعلم) جاءت فيه أداة الهمزة الاستفهامية بمعنى التوقيف والتنبيه على السبب الموجب لإنفاذ هذه الأوامر، وهو معنى دلالي -مجازي- لا لغوي وضعت الأداة للدلالة عليها فقط، وقد صرح به الإمام القاضي ابن عطية الأندلسي -رحمه الله- في تفسيره، حيث قال:

(١) : لمسات بيانية المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي أعده للشاملة: أبو عبد المعز، ص ١٠٨

"وقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الآية، توقيف وتنبية على العلة الموجبة لإنفاذ هذه الأوامر في المحاربين والسرقة، والإخبار بهذا لقوم والتوبة على آخرين، وهي ملكه -تعالى- لجميع الأشياء، فهو بحق الملك لا معقب لحكمه ولا معترض عليه"^(١).

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: وكيف يحكمونك!؟

المعنى الدلالي الصريح: التعجب.

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره . قال تعالى متعجبا من أمر اليهود ومنكرا عليهم في آرائهم الفاسدة ومقاصدهم الزائغة: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ﴾ بنية صادقة وهم قد رفضوا حكم الكتاب الذي أنزله الله -تعالى- لهم خاصة، ونبوة من جاء بذلك الكتاب، وتولوا عن الحكم المذكور فيه، فإذا كانوا قد خالفوا كتابهم ونبیهم فأنى لهم أن يصدقوك ويستسلموا حكمك، ويتبعوا أمرك!؟ ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي ثم يتولون من بعد حكم الله الذي أنزله عليهم في التوراة في مسألة الرجم وما شابهه من الأحكام الأخرى التي ما قبلوا فيها ما أمر الله به، ويحتمل أن يكون المشار إليه لذلك حكم رسول الله -ﷺ- والخطاب للرسول -عليه السلام- والمعنى: ثم يتولون من بعد حكمك إذا لم يوافق هواهم ويتحد مع رضاهم، وإن اتفق مع ما نزل في كتابهم من عند ربهم، والحقيقة أنهم ما كانوا ليحكموا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا رغبة في أن يميل في هواهم، وينحط في شهواتهم، وإنهم في محاولة ليجدوا ما يوافق

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ١٩٠.

(٢) المائدة، الآية: ٤٣.

أهواءهم. والآية: ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: ليسوا بمصدقين بالتوراة وني الله موسى عليه السلام، وهذه الآية تؤيد أن قوله في صدر الآية:

﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُوْمِنُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم جوفاء خاوية منه، هؤلاء هم المنافقون، وأنه يراد به اليهود.

وأداة الاستفهام "كيف" التي جاء في قوله -تعالى ذكره-: (وكيف يحكمونك) تعبر معنى دلالي لا لغوي بقريظة السياق والموقف الذي يدل عليه صراحة، وهو: التعجب الذي هو من المعاني الدلالية المجازية لأدوات الاستفهام، وهذا ما اختاره الإمام الفقيه القاضي ابن عطية الأندلسي في تفسير هذه الآية، وإليك بيانه:

"(وكيف يحكمونك) بنية صادقة وهم قد خالفوا حكم الكتاب الذي يصدقون به، ونبوة الآتي به، وتولوا عن حكم الله فيها؟! فأنت الذي لا يؤمنون بك ولا يصدقونك أخرى أن بأن يخالفوا حكمك"^(١).

قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: أفحكم الجاهلية يبغون.

المعنى الدلالي الصريح: التوبيخ والزجر.

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره.

قريء (يبغون) بالياء إخبارا عنهم، وبالتالي خطابا لهم، معناه: يطلبون ويريدون، أي: أيريد هؤلاء اليهود أن تحكم بينهم بما تعارف عليه المشركون عبدة الأوثان من الضلالات والجهالات

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ١٩٥.

(٢) المائة، الآية: ٥٠.

والخرافات؟! وفي الآية إشارة إلى الكهان الذين كانوا يزعمون أنهم يخبرونهم عن الغيب، وكانوا يأخذون على ذلك الحلوان ويقرّرون الحكم وفقه ووفق الشهوات والأهواء.

إن هذه الآية نزلت في سياق قصة حدثت مع رسول الله - ﷺ - من رؤساء اليهود؛ إذ قال بعضهم لبعض: هيا بنا نذهب إلى مُجَدِّ، لعلنا نوقعه في فتنة عن دينه، فأتوه فقالوا: يا مُجَدِّ! نحن أحبار اليهود وأشرفهم كما تعرف، وأنا إن أعلنا عن اتباعنا لك اتبعك اليهود وآمنوا بك وما تخلفوا عنا في هذا، وإن بيننا وبين الناس تحدث خصومات فنحاكمهم إليك ونجعلك حكماً؛ فاقض لنا لا علينا، وبحقنا لا ضدنا، إن فعلت هذا آمنة بك، واتبعنا غيرنا أيضا في الإيمان بك، وما كان قصدهم الإيمان، وإنما كانوا ينوون التلبيس والتمويه ودعوته - ﷺ - إلى الميل في الحكم على هواهم، ومحاولة حطه في القضاء حسب شهواتهم، فنزلت هذه الآية، كما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - والتي أطلع الله - تعالى - فيها نبيه - ﷺ - على نيتهم السيئة، وفتنتهم القدرة.

قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: لا أحد أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به، وأيقن أن حكم الله هو الحق، فالموثق هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز - بإيقانه - ما في حكم الله من الحسن والبهاء، وأنه يتعين - عقلا وشرعا - اتباعه. واليقين، هو العلم التام الموجب للعمل.

جاءت أداة الهمزة الاستفهامية في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ للدلالة على التوبيخ والزجر لليهود على محاولتهم في إيقاع رسول الله - ﷺ - في الفتنة، ورغبتهم في ميله إلى الحكم حسب هواهم وشهواتهم، وهو معنى دلالي - مجازي - لهذه الأداة؛ إذ أنها لم توضع لها لغة، وإنما أريد هذا المعنى الدلالي هنا في هذه الآية بسبب دلالة السياق عليه، الذي مرّ بيانه فيما مضى من توضيح وتفصيل، وبالمعنى نفسه صرح القاضي ابن عطية في تفسيره.

المعاني الدلالية الصريحة في سورة الأنعام

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَي شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾^(١)

محل الاستفهام: "أي شيء"

معنى الاستفهام الدلالي الصريح: "التوقيف والتقدير"

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أي التوقيف والتقدير والإنكار على قولهم، ولقد صرح به ابن عطية رحمه في تفسيره.

أن الله تعالى ردّ قول الكفار والمشركين بأن الله تعالى جعل لنفسه شريكا في ملكه ومع آله أخرى، وجاء بالكلام على جهة الاستفهام لإتمام الحجة عليهم وظهور كذبهم في قولهم.

ومعنى لتشهدون لتدعوننا دعوى تحققونها تحقيقا يشبه الشهادة على أمر محقق الوقوع، فإطلاق

لتشهدون مشاكلة لقوله قل الله شهيد بيني وبينكم، والآلهة جمع إله، وأجري عليه الوصف

بالتأنيث تنبيها على أنها لا تعقل فإن جمع غير العاقل يكون وصفه كوصف الواحدة المؤنثة.

وقوله: قل لا أشهد جواب للاستفهام الذي في قوله: أئنكم لتشهدون لأنه بتقدير: قل أئنكم،

ووقعت المبادرة بالجواب بتبري المتكلم من أن يشهد بذلك لأن جواب المخاطبين عن هذا السؤال

(١) سورة الأنعام الآية ١٩

معلوم من حالهم أنهم مقرون به فأعرض عنهم بعد سؤالهم كأنه يقول: دعنا من شهادتكم وخذوا شهادتي فإني لا أشهد بذلك. ونظير هذا قوله تعالى: فإن شهدوا فلا تشهد معهم.

لقد استنبط الخطيب الشرييني هنا حكما فقال: قال الخطيب الشرييني - رحمه الله -:

{وَمَنْ بَلَغَ} عطف على ضمير المخاطبين أي: لأنذركم به يا أهل مكة، ومن بلغه من الإنس والجن إلى يوم القيامة، وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم، وأنه لا يؤخذ بها من لم يبلغه.^١

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره فقال: أي استفهام، وهي معربة مع إبهامها، وإنما كان ذلك لأنها تلتزم الإضافة ولأنها تتضمن علم جزء من المستفهم عنه غير معين، لأنك إذا قلت أي الرجلين جاءنا فقد كنت تعلم أن أحدهما جاء غير معين فأخرجها هذان الوجهان عن غمرة الإبهام فأعربت، أن استفهم على جهة التوقيف والتقدير ثم بادر إلى الجواب إذ لا تتصور فيه مدافعة^٢.

فكلام ابن عطية صريح بأن الاستفهام هنا بمعنى التوقيف والتقدير وليس المطلوب فيه جواب المستفهم.

(١) : الاستنباط عند الخطيب الشرييني (٩٧٧ هـ) في تفسيره السراج المنير - جمعاً ودراسة رسالة: ماجستير، جامعة الإمام محمد

بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه إعداد: أسماء بنت محمد بن عبدالعزيز الناصر إشراف: د

عبدالعزیز بن ناصر السیر، ص ١٨٠

(٢) المحرر الوجيز ص ٢٧٥ ج ٢

قوله تعالى: **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ**^١

محل الاستشهاد: "من إله غير الله"

معنى الاستفهام الدلالي الغيرالصريح: "التوقيف والتقيرير"

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي أي التوقيف، ولقد صرح بهذا المعنى ابن عطية رحمه الله في تفسيره كما سنذكره قريبا

معنى الآية: في هذه الآية احتج سبحانه وتعالى على الكفار فقال: إن أذهب سبحانه وتعالى بسمعكم وأبصاركم من يأتيكم بها؟ لا شك أن الله تعالى يعيدها إليكم لا غير، فإذا لمماذا تتمسكون بأهبة لا تنفعكم في ملامة ولا ينفعكم بشيء، الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره فقال: والاستفهام في قوله: من إله معناه التوقيف، أي ليس ثمة إله سواه فما بال تعلقكم بالأصنام وتمسككم بها وهي لا تدفع ضررا ولا تأتي بخير^٢.

كلام ابن عطية ظاهر في مراده لا يحتاج إلى البسط والتفصيل.

وقال ابن عاشور بأن الاستفهام هنا للتقرير فقال: وهو استفهام مستعمل في التقرير يقصد منه إلقاء السامعين إلى النظر في جوابه فيوقنوا أنه لا إله غير الله يأتيهم بذلك لأنه الخالق للسمع والأبصار والعقول فإنهم لا ينكرون أن الأصنام لا تخلق^٣.

(١): سورة الأنعام الآية: ٤٦

(٢): المحرر الوجيز ص ٢٩٣ ج ٢

(٣): التحرير والتنوير ص ٢٣٤ ج ٧

يظهر من كلام ابن عاشور بأن الاستفهام هنا بمعنى التقرير ليجبر السامعون بالنظر والفكر وتيقنوا من الجواب الصحيح.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^١

محل الاستفهام: "وما يشعركم"

معنى الاستفهام الدلالي الصريح: "الإنكار"

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أي الإنكار، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره كما سنذكره لاحقا.

الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي الإنكار والتوبيخ على الكفار، معنى الآية: أن الكفار كانوا

يخلفون بأغلظ الأيمان بأننا إذا رأينا آية من آيات الله لنؤمنن به هذا إذا كان فاعل "أقسموا"

الكفار، أما إذا جعلت فاعل أقسموا "المؤمنين فمعنى الآية: أن المؤمنين كانوا يتمنون الإيمان هؤلاء

الكفار بعد نزول الآية ، ولكن الله تعالى قال: "وما يشعركم" أي ما يدريكم بأننا إذا جئنا بآية

هؤلاء يؤمنون؟ ولقد صرح ابن عطية رحمه بهذا المعنى فقال: قال القاضي أبو محمد رحمته: ويترتب على

هذا التأويل أن تكون «ما» نافية، ذكر ذلك أبو علي فتأمل وترجح عنده أيضا أن تكون لا زائدة،

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٩

وبسط شواهد في ذلك، وحكى بعض المفسرين أن في آخر الآية حذفاً يستغنى به عن زيادة لا، وعن تأويلها بمعنى لعل وتقديره عندهم أنها إذا جاءت «لا يؤمنون» أو يؤمنون.

قال القاضي أبو محمد رحمته الله: وهذا قول ضعيف لا يعضده لفظ الآية ولا يقتضيه وتحمّل الآية أن يكون المعنى يتضمن الإخبار أنهم لا يؤمنون، وقيل لهم وما يشعركم بهذه الحقيقة أي لا سبيل إلى شعوركم بها وهي حق في نفسها وهم لا يؤمنون أن لو جاءت، وما استفهام على هذا التأويل.^١ فظهر من كلام ابن عطية رحمه الله بأن كلمة "ما" في الآية استفهامية والمقصود منها الإنكار. ووافق ابن عاشور في أن الاستفهام هنا في معناه الدلالي فقال: وما استفهامية مستعملة في التشكيك والإيقاظ، لئلا يغرمهم قسم المشركين ولا تروج عليهم ترهاتهم، فإن كان الخطاب للمسلمين فليس في الاستفهام شيء من الإنكار ولا التوبيخ ولا التغليب إذ ليس في سياق الكلام ولا في حال المسلمين فيما يؤثر من الأخبار ما يقتضي إرادة توبيخهم ولا تغليطهم، إذ لم يثبت أن المسلمين طمعوا في حصول إيمان المشركين أو أن يجابوا إلى إظهار آية حسب مقترحهم، وكيف والمسلمون يقرأون قوله تعالى: إن الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية وهي في سورة يونس ٩٦، ٩٧ وهي نازلة قبل سورة الأنعام.^٢ كلام ابن عاشور ظاهر في مراده وتفسير الآية لا نعيد تفسيرها.

(١): تفسير ابن عطية ص ٣٣٣ ج ٢

(٢): ابن عاشور ص ٣٣٤ ج ٧

قوله تعالى: قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون.^١

محل الاستفهام: "من حرم"

معنى الاستفهام الدلالي الصريح: "التوبيخ والتقرير"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي ولقد صرح به ابن عطية رحمه في تفسيره كما سنذكره لاحقاً.

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي التوبيخ، كان من عادات اليهود بأنهم يجرمون ما أحل الله ويحرمون ما حرم الله دون بينة وحجة، فقال تعالى: من حرم ما أحل الله لعبادة وأمر الله عز وجل نبيه عليه السلام أن يسألهم عن من حرم ما أحل الله على جهة التوبيخ والتقرير وليس يقتضي هذا السؤال جواباً، وإنما المراد منه التوقيف على سوء الفعل، وذكر بعض الناس أن السؤال والجواب جاء في هذه الآية من جهة واحدة وتخيل قوله: قل هي للذين آمنوا جواباً.^٢

قال ابن عاشور رحمه الله في تفسيره: والاستفهام إنكاري قصد به التهكم إذ جعلهم بمنزلة أهل علم يطلب منهم البيان وقريئة التهكم: إضافة الزينة إلى اسم الله، وتعريفها بأنها أخرجها الله لعباده، ووصف الرزق بالطيبات، وذلك يقتضي عدم التحريم، فالاستفهام يؤول أيضاً إلى إنكار تحريمها.^٣

(١): سورة الأعراف الآية: ٣٢

(٢): تفسير ابن عطية ص ٣٩٣ ج ٢

(٣): التحرير والتنوير ابن عاشور ص ٩٦ ج ٨

كلام ابن عاشور يدل بأن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي ومعناه هنا التهكم، وقرينة التهكم هنا إضافة الزينة إلى اسم الله. وقال الشوكاني رحمه الله في تفسيره: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف: من الآية ٣٢]؛ فإنه - سبحانه - أنكر على من حرم ذلك، فوجب أن لا تثبت حرمة، وإذا لم تثبت حرمة؛ امتنع ثبوت الحرمة في فرد من أفراد؛ لأن المطلق جزء من المقيد، فلو ثبتت الحرمة في فرد من أفراد؛ لثبتت الحرمة في زينة الله، وفي الطيبات من الرزق، وإذا انتفت الحرمة بالكلية ثبتت الإباحة^١

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^٢.

محل الاستشهاد: "فأي الفريقين"

معنى الاستفهام الدلالي الصريح: "التقرير"

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أعني التقرير، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره كما سنذكره لاحقاً

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي التقرير، معنى الآية: هذه الآية إلى قوله تعالى: "تعلمون" هي كلها من قول إبراهيم عليه السلام لقومه، وهي حجته القاطعة لهم، المعنى: وكيف أخاف

(١) : استنباطات الشوكاني في تفسيره «فتح القدير» جمعاً ودراسة رسالة: دكتوراة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -

كلية أصول الدين قسم القرآن وعلومه إعداد: خلود شاكر فهيد العبدلي إشراف: يوسف بن عبد العزيز الشبل، ص ١٠٣

(٢) : سورة الأنعام الآية ٨١

الأصنام التي لا خطب لها وهي حجارة وخشب إذا أنا نبذتها ولم أعظمها، ولا تخافون أنتم الله عز وجل وقد أشركتم به في الربوبية أشياء لم ينزل بها عليكم حجة، ثم استفهم على جهة التقرير فأبي الفريقين أحق بالأمن أي من لم يشرك بالقادر العالم أحق أن يأمن أم من أشرك بالله وأثبت له مثيلاً شريكاً؟ لا شك أن المأمون من عذاب الله ومن إشراكه هو من احتتمى الشرك والضلال لا من وقع فيه وأشرك بالله. أو معنى الآية: أينا أحق بالأمن ونحن وقد عرفنا الله بأدلة وخصصناه بالعبادة أم أنتم وقد أشركتم معه الأصنام وكفرتهم بالواحد الديان؟

وقال المغامسي: قال تعالى: { فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ } [الأنعام: ٨١]، وهذا استفهام استنكاري^١

قال ابن عاشور في تفسيره الشهير: تولى جواب استفهامه بنفسه ولم ينتظر جوابهم لكون الجواب مما لا يسع المسئول إلا أن يجيب بمثله، وهو تبكيت لهم. قال ابن عباس: كما يسأل العالم ويجيب نفسه بنفسه.

يظهر من كلام ابن عاشور بأن الاستفهام هنا مما لا يحتاج إلى الجواب، لأن الجواب يكون عادة مما لا غير له. يسئل العالم ثم يجيب بنفسه، وهذا تبكيت لهم

(١) : تأملات قرآنية المؤلف: أبو هاشم صالح بن عواد بن صالح المغامسي مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع

قوله تعالى: ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون﴾^١.

محل الاستفهام: "أوعجبتم"

معنى الاستفهام الدلالي الصريح: التقرير والتوبيخ

إثبات الدعوي

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أقصد التقرير والتوبيخ ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره المحرر الوجيز كما سنذكره لاحقاً.

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي التقرير والتوبيخ، معنى الآية: أن قوم نوح عليه السلام قد أنكروا نوح عليه ولم يؤمنوا به إلا قليل منهم، وكانوا يستدلون بأنه منا، عشنا معا كيف نطيعه في دعواه، قال تعالى: هل سبب تعجبكم بأن رجلا منكم جاء إليكم بحكم الله وآياته؟ كأنه تعالى يوبخهم على التعجب وهذا الفكر، قال ابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز:

هذه همزة استفهام دخلت على الواو العاطفة، والاستفهام هنا بمعنى التقرير والتوبيخ، وعجبهم الذي وقع إنما كان على جهة الاستبعاد والاستمحال، هذا هو الظاهر من قصتهم^٢

كلام ابن عطية رحمه الله ظاهر في مراده بأن همزة هنا استعمل في معناه المجازي التوبيخ والتقرير .

(١): سورة الأعراف الآية ٦٣

(٢): تفسير المحرر الوجيز ابن عطية ص ٤١٦ ج ٢

قال محي الدين درويش: بأن الهمزة هنا همزة إنكاري أي إنكار على قولهم وعملهم الذي يخالط التوبيخ أيضا، والواو للعطف بعد الهمزة.

عطف على ما تقدم مسوق في أسلوب الاستفهام الإنكاري في الهمزة، والواو عاطفة، وعجبتهم معطوف على محذوف لا بد من تقديره، أي: أكذبتهم^١

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^٢

محل الاستشهاد: "أتأتون"

معنى الاستفهام الدلالي الصريح: "التشنيع والتوبيخ"

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أي الشنيع والتوبيخ، ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره العزيز كما سنذكره لاحقا.

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي، معنى الآية: إن الله تعالى ذكر في هذه الآية عملا قبيحا من أعمال قومه، ألا هو إتيان الرجال في الأدبار، وهم من بدأوا بهذا العمل القبيح، أو كان موجودا ولكن اشتهر بسببهم، قال ابن عطية رحمه الله في تفسيره:

لوط عليه السلام بعثه الله إلى أمة تسمى سدوم وروي أنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام، ونصبه إما أرسلنا المتقدم في الأنبياء وإما بفعل مضمرة تقديره واذكر لوطا واستفهامه لهم هو على جهة

(١): اعراب القرآن محي الدين درويش ص ٣٧٤ ج ٣

(٢): سورة الأعراف الآية ٨١

التوقيف والتوبيخ والتشنيع، والفاحشة هنا إتيان الرجال في الأدبار، وروي أنه لم تكن هذه المعصية في أمم قبلهم^١

لقد صرح ابن عطية رحمه الله بنوعية الاستفهام فقال: أن الاستفهام هنا في معناه المجازي التشنيع والتوبيخ على أعمالهم القبيحة منها اللواط.

ووافقه محي الدين درويش في تفسيره في هذا المعنى فقال: والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي. أي فيها أنكار وتوبيخ على هذا العمل القبيح.

قوله تعالى: ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾^٢

محل الاستشهاد: "أو أمن"

معنى الاستفهام الدلالي الصريح: التوقيف

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي ولقد صرح به ابن عطية رحمه الله في تفسيره كما سنذكره لاحقاً

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي التوقيف والإنكار، معنى الآية: إن الله تعالى وعَد الكفار في هذه الآية الكريمة الموجودين في زمن مُحَمَّد ﷺ، كان يخبرهم بما حدث لهؤلاء في الأيام

(١): المحرر الوجيز ابن عطية ص ٤٢٤ ج ٢

(٢): سورة الأعراف الآية ٩٧/٩٨

الماضية، فقال تعالى: هل هنا من يأمن من عذاب الله إذا جاءه؟ المراد من "أهل القرى" ساكنو مكة وقال بعض المفسرين أن الآية عامة للجميع، والمراد من البأس العذاب "بياتاً" أي ليلاً حيث تكونون نائمين، فقال ابن عطية رحمه الله: أن المعنى المرادي للاستفهام هنا مجاز ألا هو التوقيف والتقريب، فقال: هذه الآية تتضمن وعيدا للكفار المعاصرين لمحمد ﷺ لأنه لما أخبر عما فعل في الأمم الخالية قال: ومن يؤمن هؤلاء أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك، وهذا استفهام على جهة التوقيف^١

كلام ابن عطية ظاهر في مراده ولقد وافقه في هذا المعنى صاحب القرطبي حيث قال:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى) الْإِسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ، وَالْفَاءُ لِلْعَطْفِ. نَظِيرُهُ: "أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ"^٢

كلام القرطبي ظاهر في معناه بأن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أي الإنكار.

جدول المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة البقرة

ر.م	أداة الاستفهام	المعنى الدلالي الصريح	الآية ورقمها
١	الهمزة	التسوية والخبر	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦﴾ (البقرة، الآية: ٦)
٢	الهمزة	الإنكار (الاستخفاف)	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا

(١) المحرر الوجيز ابن عطية ص ٤٣٢ ج ٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي الناشر: دارالكتب العلمية القاهرة الطبعة الثانية ١٣٧٤

عدد الأجزاء ٢٠ جزءاً

			والاستحقار)	أَنْوَمُنْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ (البقرة، الآية: ١٣)
٣	الهمزة	الإنكار	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ ۖ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ۖ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ ۗ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۚ﴾ (البقرة، الآية: ٢٦)	
٤	كيف	التقرير والتوبيخ	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ ءَمُوتًا ۖ فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة، الآية: ٢٨)	
٥	الهمزة	الاستعظام والإكبار والتعجب	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۗ﴾ (البقرة، الآية: ٣٠)	
٦	الهمزة	الإنكار والاستبعاد	﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ	

<p>فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ (البقرة، الآية: ٧٥)</p>		
<p>﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۗ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۗ﴾ (البقرة، الآية: ٨٠)</p>	<p>الإنكار</p>	<p>٧ الهمزة</p>
<p>﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ۗ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۗ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۗ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۗ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۗ﴾ (البقرة، الآية: ١١٤)</p>	<p>الإنكار</p>	<p>٨ مَنْ</p>
<p>﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمَ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ ۗ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۗ﴾ (البقرة، الآية: ١٤٠)</p>	<p>الإنكار - النفي والتوبيخ-</p>	<p>٩ الهمزة</p>

جدول المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة آل عمران

ر.م	أداة الاستفهام	المعنى الدلالي الصريح	الآية ورقمها
١٠	الهمزة	التوبيخ والزجر	﴿يَا هَلْ أَلْكَبِ لِمُتَحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْتِ التَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٥﴾ (آل عمران، الآية: ٦٥)
١١	الهمزة	التقرير والإثبات	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٨١﴾ (آل عمران، الآية: ٨١)
١٢	الهمزة	التقرير والتوبيخ	﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ٨٣﴾ (آل عمران، الآية: ٨٣)
١٣	الهمزة	التقرير والتوبيخ	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ عِلْمِكُمْ

<p>﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠٦﴾ (آل عمران، الآية: ١٠٦)</p>			
<p>﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعِيَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزِلِينَ ١٢٤﴾ (آل عمران، الآية: ١٢٤)</p>	التقرير والتثبيت	الهمزة	١٤
<p>﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنُ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٦٢﴾ (آل عمران، الآية: ١٦٢)</p>	الاستفهام الإنكاري	الهمزة	١٥
<p>﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً ۖ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٦٥﴾ (آل عمران، الآية: ١٦٥)</p>	التقرير والتوقيف	أنى	١٦

جدول المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة النساء

الآية ورقمها	المعنى الدلالي الصريح	أداة الاستفهام	ر.م

<p>﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجَ مَكَانَ زَوْجٍ وَعَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنَا وَإِنَّمَا مِئِينَا ٢٠﴾ (النساء، الآية: ٢٠)</p>	<p>التوبيخ والزرجر</p>	<p>الهمزة (أ)</p>	<p>١٧</p>
<p>﴿أَمَلَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ إِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا الآية: ٥٤﴾</p>	<p>الإنكار</p>	<p>أم</p>	
<p>أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا الآية: ٧٨﴾</p>	<p>التوبيخ</p>	<p>ما</p>	
<p>﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ٨٢﴾ (النساء، الآية: ٨٢)</p>	<p>التقرير والتوبيخ</p>	<p>أفلا</p>	<p>١٨</p>

<p>اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا. الآية: ٨٧</p>			
<p>فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾</p> <p>(النساء، الآية: ٨٨)</p>	<p>التوبيخ</p>	<p>ما</p>	<p>١٩</p>
<p>﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾</p> <p>(النساء، الآية: ٩٧)</p>	<p>التقرير والتوبيخ</p>	<p>ما</p>	<p>٢٠</p>
<p>﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ (النساء، الآية: ١٣٩)</p>	<p>التوبيخ والزجر</p>	<p>الهمزة</p>	<p>٢١</p>

<p>﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَمْ نَسْتَحُودُ عَلَيْكُمْ وَمَنَعَكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝١٤١﴾ (النساء، الآية: ١٤١)</p>	<p>الإنكار والتقرير</p>	<p>الهمزة</p>	<p>٢٢</p>
<p>﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَن يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ۝١٤٤﴾ (النساء، الآية: ١٤٤)</p>	<p>التنبيه والتوقيف</p>	<p>الهمزة</p>	<p>٢٣</p>

جدول المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة المائدة

الآية ورقمها	المعنى الدلالي الصريح	أداة الاستفهام	ر.م
<p>﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرٰى نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَآحِبُّهُ ۗ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا</p>	<p>الإنكار والتوبيخ</p>	<p>لم</p>	<p>٢٤</p>

<p>بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ (سورة المائدة، الآية: ١٨)</p>		
<p>﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوبِلْتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ (سورة المائدة، الآية: ٣١)</p>	<p>التعجب</p>	<p>٢٥ الهمزة</p>
<p>﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ (سورة المائدة، الآية: ٤٠)</p>	<p>التنبيه والتثبيت</p>	<p>٢٦ الهمزة</p>
<p>﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ (سورة المائدة، الآية: ٤٣)</p>		<p>٢٧ كيف</p>
<p>﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ (سورة المائدة، الآية: ٥٠)</p>	<p>التوبيخ والزجر</p>	<p>٢٨ الهمزة</p>

جدول المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة الأنعام

الأعداد	أداة الاستفهام	معنى الاستفهام	الآية
١	أي شيء	التوقيف	﴿قُلْ أَي شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾ الآية ١٩
٢	من	التوقيف والتقرير	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ الآية: ٤٦
٣	ما	الإنكار	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَمَّا جَاءَهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾

جدول المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة الأعراف

١	من	الإنكار والتوبيخ	﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ الآية: ٣٢
---	----	------------------	---

﴿فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾ الآية: ٦٤	التقرير	أي	٢
أوعجبتهم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون	التقرير والتوبيخ	أ	٣
﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾	التشنيع والتوبيخ	أ	٤
﴿فأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى	التوفيف	أ	٥

الباب الثاني

المعاني غير الصريحة لأدوات الاستفهام في الثلث الأول من تفسير "المحرر الوجيز في
تفسير الكتاب العزيز"

الفصل الأول

المعاني اللغوية غير الصريحة لأدوات الاستفهام

الفصل الثاني

المعاني الدلالية غير الصريحة لأدوات الاستفهام

الفصل الأول

المعاني اللغوية غير الصريحة لأدوات الاستفهام

مدخل إلى الموضوع:

تختلف أساليب اللغة العربية وتتنوع، والاستفهام من أهمها إن لم تكن أهمها، ولكن لا تقل أهمية عن أهمية غيرها من الأساليب، فالسؤال والاستفهام يعدّ عنصراً أساسياً مبدئياً في مجال الحوار والتواصل بين الناس، وقد مرّ في مدخل الفصل الأول من الباب الأول بيان كلمة "استفهام" بكلّ تفصيل وتبسيط.

وأيضاً قد تعرفنا على تعريف الاستفهام الدلالي في مدخل الفصل الثاني من الباب الأول فلا نعيده، وكذلك نكتفي بما ذكرنا من أهمية الأساليب الاستفهامية منها الدلالية واللغوية في الفصل الثاني من الباب الأول.

نعيد الآن تعريف الاستفهام الحقيقي/اللغوي ثانياً قبل أن نبدأ في الفصل الأول من الباب الثاني، ولكن قبل أن أبداً في الموضوع لا يناسبني أن يفوتني ذكر الفرق في الباب الأول والثاني، الباب الأول قد أخذنا فيه الأدوات الاستفهامية الدلالية واللغوية التي صرح بها الإمام الكبير المفسر الجليل ابن عطية - رحمه الله - في تفسيره "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وسأخذ بإذنه - تعالى - في الباب الثاني في فصلية الاستفهامات الدلالية واللغوية التي لم يصرح بها ابن عطية - رحمه الله - في تفسيره، الآن نرجع إلى ما كنا بصدده.

الاستفهام الحقيقي / اللغوي: هو أن يكون السائل جاهلاً بحكم الشيء الذي سأل عنه، ويريد الإبانة والتوضيح لذلك الحكم الذي سأل عنه، مثلاً: كقولك لصديقك: متى يوم الاختبار؟ أنت لا تعرف زمن

الاختبار ؛ فلذا سألت عن زمنه.الإجابة مثلا: الامتحان يوم السبت.فخلاصة القول أن الاستفهام الحقيقي لا يصدر إلا ممن جهل الأمر وهو يريد معرفة هذا الشيء.

الاستفهام الحقيقي وجوده قليل جدا في القرآن الكريم ؛لأن الله - تعالى - عليم بذات الصدور ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فلذا هو لا يحتاج لمعرفة الشيء حتى يسئل.

الفصل الأول من الباب الثاني سنذكر فيه الأدوات الاستفهامية التي استخدمت في معناها الحقيقي، وعددها قليل جدا ، والسبب كما ذكرنا، وأيضا موضوعنا الأدوات الاستفهامية التي لم يصرح بها ولم يشر بأي شارة الإمام الجليل المفسر الكبير ابن عطية - رحمه الله - في تفسيره.، سنأخذ أداة الاستفهام ونحلله تحليلا من المصادر المتينة بإذن الله.

الاستفهامات اللغوية غير الصريحة في سورة البقرة

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا﴾^(١).

محل الاستفهام: "ما لونها".

المعنى اللغوي غير الصريح: "السؤال عن لون البقرة"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه الحقيقي ، وهو سؤال بني إسرائيل عن لون البقرة التي أمرها موسى -عليه السلام- ولكن الإمام المفسر ابن عطية رحمه الله لم يصرح بذلك بسبب ذكره في الآية السابقة ، لذلك علينا أن نثبت معنى الاستفهام عن المراجع التفسيرية المعتمدة.

حملت هذه الآية سؤالاً آخر من تلك التساؤلات التي طرحها بنو إسرائيل لما أمرهم الله تعالى بذبح البقرة التي مرّ تحريره بتفصيل يشبع الموضوع في الفصل الأول من الباب الأول ؛ إذ خطّط بعضهم قتل شخص غنيّ، يملك الكثير من المال والثروة، هذا ليرثوا ماله وما تركه طمعا فيه، ولم يعدّ القاضي الفقيه الإمام ابن عطية - رحمه الله- تصريحاً به مستلماً في تفسيره؛ إذ أداة "ما" الاستفهامية الواردة في هذه الآية وفي الآية السابقة جاءتا في سياق واحد وقصة واحدة، فأداة ﴿ما﴾ تعطي هنا معنى الاستفهام أيضاً مثل سابقتهما، إلا أنها وردت هنا للسؤال عن لون البقرة، أي: ادع لنا ربك يحدّد لنا لونها، ما لونها؟ ويدلّ على ذلك أن الله عز وجل قال بعده: "قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسرّ الناظرين".

(١)- البقرة، الآية: ٦٩.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾^(١).

محل الاستشهاد: "ما هي".

المعنى اللغوي غير الصريح: السؤال عن حالة البقرة وصفتها.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا ورد في معناه اللغوي ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك ، فلذلك يجب علينا أن نثبت من المراجع.

وفي هذه الآية ورد سؤال آخر من أسئلة بني إسرائيل، التي أسلفنا قصتها بكل تفصيل في المثال الأول.. ولم يبين القاضي الفقيه الإمام الجليل ابن عطية الأندلسي -رحمه الله- في تفسيره باستعمالها أداة استفهامية؛ قياسا على ما سبق مثلها في الآية التي تقدمت، لأنها تكررت هنا كسابققتها وُرُودًا وموردًا، إذ وردت هنا للسؤال عن حالة البقرة وصفتها أيضا، أي: ادع لنا ربك يحدّد لنا صفتها، ما صفتها غير الصفة التي بينتها لنا، وما حالتها غير الحالة التي ذكرتها لنا؟ والدليل على هذا أن الله عز وجل قال بعده: ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها﴾، حيث بيّن فيها صفات وحالات أخرى للبقرة، غير التي ذكرها الله -عزّ وجلّ- في الردّ على سؤالهم الأول. فخلاصة القول بأن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- في تفسيره عن نوعيته صراحة اعتمادا علي ما سبق في تفسير الآية السابقة، وهذا موضع بحثنا.

(١) - البقرة، الآية: ٧٠.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

محل الاستفهام: "ماذا ينفقون؟".

المعنى اللغوي غير الصريح: السؤال عن المال الذي ينفقونه.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا ورد في معناه اللغوي ، أي سؤال عن مال الذي ننفقه، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله لم يصرح بذلك، لذلك يجب علينا أن نراجع المصادر حتى نثبتته.

والآية بتمامها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^{٢١٩} والخمر اسم لكل ما خامر العقل وأسكره، أي مشروب كان، وهذه الآية الثانية التي نزلت في المسكر، والأولى التي تتحدث عنه قد وردت في سورة النحل: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ - النحل، الآية: ٦٧- ونزلت في مكة هي والتي سبقتها والتي تتبعها، وكانوا يتعاطون شربها في مكة، وقد ساق الله - عز وجل- هذه الآيات في هذه السورة المكية لتدلّ على التعجيب لا الإباحة والاستدلال، وإنما هي تبين وتطبق ما جمعه -تعالى- من المتعارضات، وكيف يُخرج الخبيث من الطيب والطيب من الخبيث المستقبح، فهي للتعجب، ويدلّ قوله -تعالى-: (ورزقا حسنا) على أن ما فيه السكر ليس برزق حسن.

أما الآية الثانية فهي هذه الآية المدنية التي بحثنا اليوم بصدد تفسيرها، وإبراز أداة الاستفهام الواردة فيها مع تحليل وتفصيل: (يسألونك عن الخمر والميسر) وقد ورد فيها الترغيب عن الخمر والميسر بدليل قوله: (قل) فيهما إثم كبير ومنافع للناس)، وفيه إشارة إلى الدعوة إلى تجنبهما وتركهما إلى الخير ونشره، إذ قال: إثمهما أكبر من نفعهما ترهيدا فيهما. والآية الثالثة في سورة النساء التي نزلت بعد ما غلط بعض الصحابة -رضي

(١) - البقرة، الآية: ٢١٩.

الله عنهم أجمعين- في قراءة القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ النساء، الآية: ٤٣- وأما الآية الرابعة في هذا الصدد فقد جاءت في سورة المائدة، حيث نزلت بحكم القطع بتحريم الخمر والميسر، موافقة قول الخليفة الثاني سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. وقد حصل اختلاف بين الأئمة -رحمهم الله- في أنه تحديد الآية التي حكمت بقطع تحريم الخمر والميسر؛ فذهب بعضهم إلى أن الخمر حرمت بهذه الآية التي يراد تفسيرها هنا من سورة البقرة، وأما الآيات الأخرى التي جاءت بعدها فهي تدخل في حكم التوكيد، والدليل على هذا أن الإثم يفيد الحرمة.

سأل المؤمنون رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ماذا يجب عليهم إنفاقه؟ فكان الجواب: العفو، أي: أنفقوا ما فضل عن حوائجكم، يقول ابن عطية في تفسيره: "و ﴿العفو﴾ ما ينفقه المرء دون أن يجهد نفسه أو ماله. ونحو هذا عبارة المفسرين، وهو مأخوذ من عفا الشيء إذا كثر، فالمعنى: أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة".

وقد مرّ تحليل وشرح محلّ الاستشهاد في المثال السابع في الباب الأول، إلا أن هناك فرقا بينهما، ألا وهو أن السؤال في الآية السابقة أوّل إلى المواضع والجهات التي ينفقون فيها، وفي هذه الآية ورد لفظ الاستفهام "ماذا" للسؤال عن المال الذي ينفقونه. لكي نقرب الفهم والبيان أكثر يمكننا أن نوضحه بتعبير آخر، وهو أنها جاءت في الآية السابقة للاستفهام عن المحلّ وهنا عن الحالّ.

الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة في سورة آل عمران

٤- قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا حَمًا﴾^(١)

محل الاستشهاد: "كيف ننشزها"

معنى الاستفهام اللغوي غير الصريح: "لفظه استفهام وخبر عن إحياء العظام"

إثبات الدعوى:

الاستفهام هنا استعمل في معناه اللغوي ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله - لم يصرح بذلك فلذا علينا أن نثبته من المراجع الأخرى الموثوقة.

قال صاحب الأحرف السبعة للقرآن في نشزها قرآءتان : { كَيْفَ نُنشِزُهَا } بالزاي و / نشزها / بالراء.^٢ اختلف المفسرون في هذا المازٍ من هو؟ منهم من قال: أن المازَّ كان رجلا من عامة الناس، ثم اختلفوا في هذا الرجل، هل كان مسلما أو كافرا؟ ومنهم قال: بأن الماز هو رجل اسمه آرميا . ومنهم من قال بأنه كان عزيز - عليه السلام- وإليه أشار ابن عباس رضي الله عنه ما روى عنه في سبب نزول الآية قال: إن بختنصر غزا بني إسرائيل فسبى منهم الكثيرون، ومنهم عزيز وكان من علمائهم، فجاء بهم إلى بابل، فدخل عزيز يوما تلك القرية ونزل تحت شجرة وهو على حمار، فربط حماره وطاف في القرية فلم ير فيها أحدا فعجب من ذلك وقال: أنى يجيى هذه الله بعد موتها ! لا على سبيل الشك في القدرة، بل على سبيل الاستبعاد بحسب العادة، وكانت الأشجار مثمرة، فتناول من الفاكهة التينَ والعنب، وشرب من عصير العنب ونام، فأماته الله تعالى في منامه

(١) :سورة البقرة، الآية ٢٥٩

(٢) : الأحرف السبعة للقرآن المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) المحقق: د. عبد

المهيمن طحان

الناشر: مكتبة المنارة - مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٠٨

مائة عام وهو شاب، ثم أعمى عن موته أيضا الإنسُ والسباع والطيور، ثم أحياء الله تعالى بعد المائة ونودي من السماء: يا عزيز كم لبثت بعد الموت؟ فقال يوما فأبصر من الشمس بقية فقال أو بعض يوم فقال الله تعالى: بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير طعمهما، فنظر فإذا التين والعنب كما شاهدتهما ثم قال: وانظر إلى حمارك فنظر فإذا هو عظام بيض تلوح وقد تفرقت أوصاله وسمع صوتا أيتها العظام البالية إني جاعل فيك روحا فانضم أجزاء العظام بعضها إلى بعض، ثم التصق كل عضو بما يليق به الضلع إلى الضلع والذراع إلى مكانه ثم جاء الرأس إلى مكانه ثم العصب والعروق ثم أنبت طراء اللحم عليه، ثم انبسط الجلد عليه، ثم خرجت الشعور عن الجلد، ثم نفخ فيه الروح، فإذا هو قائم ينهق فخر عزيز ساجدا، وقال: أعلم أن الله على كل شيء قدير.

الاستفهام هنا في معناه اللغوي، ما شك في قدرة الفاعل بل كان متعجبا من إحياء هذه العظام الرفات، فسئل عن كيفية إحيائها.

واليه أشار محي الدين درويش في تفسيره فقال: قوله تعالى: ﴿انظر إلى العظام كيف ننشزها﴾ أي إلى حال العظام وننشزها^(١). فنفهم من خلال كلام محي الدين بأن الاستفهام هنا عن كيفية إحياء العظام فأجابه تعالى عنه.

وقال حسن عزالدين بن عبدالفتاح في تفسيره:

فيدرك أن كيف هنا تفيد حمله علي التعجيب من هذا العمل المعجز، وهو إحياء الموتي أو من الطريقة العجيبة التي يتبعها في ذلك المولي جل وعلا^(٢).

(١): إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ص ٣٩٦ ج ١

(٢): معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، المؤلف: حسن عزالدين بن عبدالفتاح أحمد الجمل. الناشر: الهيئة المصرية العامة

للكتاب، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣/٢٠٠٨ عدد الأجزاء ٥، ص ٣٠٩

فنفهم من خلال كلام عزالدين بان كيف هنا إما محمولة على التعجيب في هذا العمل المعجز أو أسلوب عجب الذي يختاره سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾^(١)

محل الاستشهاد: "أيهم يكفل مريم"

معنى الاستفهام اللغوي غير الصريح: "استفهام عن العاقل"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه اللغوي ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذا يجب علينا أن نراجع المراجع والمصادر.

الاستفهام هنا في معناه اللغوي أي استفهام عن العاقل ب "أي" وهذا معناه لغَةً، معنى الآية: أن الله تعالى خاطب نبيه - ﷺ - كل ما نخبرك من القصص والحكايات هي من أنباء الغيب، وهذا من معجزاتك، ومن معجزات القرآن الكريم، ومن هذه الحكايات حكاية مريم - عليها السلام - حيث تركتها أمها حنة في المعبد وكان الناس يوقرونها بأنها كانت بنت إمام لديهم، اختصم هؤلاء في مسألة كفالة مريم - عليها السلام - من يكفلها إكراما لها؟ وأراد الله أن تشرب من علم جلي و من منهل كريم صاف ففضى أمرها لذكريا - عليه السلام - لأنه كان نبيا. فقال - تعالى: ما كنت موجودا حين بدأت المناقشة والمخاصمة بين بني إسرائيل في قضية مريم - عليها السلام - ويتساءلون من منا يكفل مريم - عليها السلام؟ فاتفقوا أخيرا علي الاقتراع و اختاروا للاقتراع أقلاما يكتبون بها التوراة و يتبركون بها .

(١) :سورة آل عمران، الآية: ٤٤

قال محمد بن صالح العثيمين في تفسير سورة آل عمران: **أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ** { كيف ألقوا هذه الأقلام، المعروف أنهم ألقوا في النهر، في الماء الذي يمشي، فما انجس منها فصاحبه الذي يكفل مريم، وما جرى فهو الذي لا يكفلها، والقرآن ليس فيه بيان ذلك، يعني ليس فيه أنهم وضعوا هذه الأقلام في النهر، إنما ألقوا أقلامهم على وجه الله أعلم بكيفيته، من باب الاقتراع -يعني قرعة-^(١).

وقد صرح بهذا المعنى الإمام الرازي فقال:

أيهم يكفل مريم ففيه حذف والتقدير: يلقون أقلامهم لينظروا أيهم يكفل مريم وإنما حسن لكونه معلوما. أما قوله وما كنت لديهم إذ يختصمون فالمعنى وما كنت هناك إذ يتقارعون على التكفل بها وإذ يختصمون بسببها فيحتمل أن يكون المراد بهذا الاختصام ما كان قبل الإقراع، ويحتمل أن يكون اختصاصا آخر حصل بعد الإقراع، وبالجملة فالمقصود من الآية شدة رغبتهم في التكفل بشأنها، والقيام بإصلاح مهماتها، وما ذاك إلا لدعاء أمها حيث قالت فتقبل مني إنك أنت السميع العليم [آل عمران: ٣٥]^(٢)

كلام المفسر واضح في دلالة معنى الاستفهام اللغوي لا نعيده.

(١) : تفسير القرآن الكريم «سورة آل عمران» المؤلف: محمد بن صالح العثيمين الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة

العربية السعودية الطبعة: الثالثة، ١٤٣٥ هـ عدد الأجزاء: ٢، ص ٤٧٠

(٢) : التفسير الكبير، فخرالدين الرازي، ص ٢٢٠ ج ٨

الاستفهامات اللغوية غير الصريحة في سورة النساء

قوله تعالى: ﴿يَهُمُّ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١)

محل الاستفهام: "أيهم"

معنى الاستفهام اللغوي غير الصريح: "السؤال عن كيفية انتفاع بعضهم من بعض في الدنيا"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا في معناه اللغوي ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذا نحاول أن نثبت معناه من المراجع الموثوقة.

واعلم أن الاستفهام هنا في معناه الحقيقي اللغوي، وقالوا عن معنى الآية: إن الله -تعالى- ذكر مسألة الميراث وأنصابه ومن يستحق، ثم قال -تعالى: ﴿أيهم أقرب لكم نفعاً﴾. أي أن الله لم يترك الأمر بيد البشر من الورثة، لأن البشر ونفسه تميل عادة عن التوريث بل أخذ الأمر بنفسه وفضَّله ليصل الحقُّ ذويه، فقال: من منكم يدري بأنه أنفع للآخر من الجميع في الآخرة، من يستفيد الآخر في الشفاعة هل هذا يشفع ذاك أو بالعكس؟ أو من يرث الآخر؟ يموت الولد أولاً و والده حيٌّ أو بالعكس.

معنى الاستفهام هنا هو كيف يستفيد أحدكم الآخر في الدنيا، وإلى هذا المعنى أشار فخر الدين الرازي في تفسيره فقال:

المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة ما أوجب من الإنفاق عليه والتربية له والذب عنه^(٢).

فنفهم من خلال كلام المفسر -رحمه الله- المقصود هنا كيفية انتفاع الأب من ابنه مثلاً بأن الوالد ينفق عليه ويربيه تربية صالحة وغير ذلك.

(١) :سورة النساء، الآية: ١١

(٢) : التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ص ٥١٩ ج ٩

وإلى هذا المعنى أشار الصابوني رحمه الله في تفسيره أيضا فقال: أي إنه تعالى تولى قسمة الموارث بنفسه وفرض الفرائض على ما علمه من الحكمة، فقسم حيث توجد المصلحة وتتوفر المنفعة ولو ترك الأمر إلى البشر لم يعلموا أيهم أنفع لهم فيضعون الأموال على غير حكمة ولهذا أتبعه بقوله ﴿كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي إنه تعالى عليم بما يصلح لخلقه حكيم فيما شرع وفرض^(١).

فنفهم هنا من خلال كلام الصابوني - رحمه الله - أن الاستفهام هنا لمعرفة الحكمة الموجودة في قسمة الموارث وفرض الفرائض على المسلمين وإلا فسد النظام، لأن البشر لا يعرف من الحكمة إلا ما أوحى بها نفسه.

الاستفهامات اللغوية غير الصريحة في سورة المائدة

قوله تعالى: فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ...^(٢)

محل الاستشهاد: "كيف يوارى"

معنى الاستفهام اللغوي غير الصريح: "سؤال لتعليم كيفية مواراة الجسد"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه اللغوي ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك ، لذا علينا أن نثبتته من المراجع الأخرى.

أن الاستفهام هنا في معناه اللغوي، أي أراد الله - تعالى - أن يعلمه قاييل تدفين الميت وجعل الغراب يعلمه هذا. روي في معناه أن قاييل جعل أخاه في جراب ومشى به يحمله في عنقه مائة عام. وقيل سنة واحدة،

^(١) - صفوة التفاسير، الصابوني، ص ٢٤١ ج ١

^(٢) - سورة المائدة، الآية: ٣١

وقيل بل أصبح في ثاني يوم قتله يطلب إخفاء أمر أخيه فلم يدر ما يصنع به، فبعث الله غراباً حياً إلى غراب ميت فجعل يبحث في الأرض ويلقي التراب على الغراب الميت. وروي أن الله تعالى بعث غرابين فاقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر، ثم جعل القاتل يبحث ويواري الميت، وروي أن الله تعالى «إنما بعث غراباً» واحداً فجعل يبحث ويلقي التراب على هاويل، وظاهر هذه الآية أن هاويل هو أول ميت من بني آدم، ولذلك جهلت سنة المواراة.

فظهر أن الاستفهام هنا في معناه اللغوي أي لتعليم كيفية المواراة، وقد أخذ هذا المعنى الصابوني فقال: قوله - تعالى - " ليريه كيف يواري سوءة أخيه" أي أرسل الله غراباً يحفر بمنقاره ورجله الأرض ليرى القاتل كيف يستر جسد أخيه^(١).

فمراد المفسر ظاهر في المطلوب هنا لا خفاء فيه.

الاستفهامات اللغوية غير الصريحة في سورة الأنعام

قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين^(٢)

محل الاستفهام: "كيف"

معنى الاستفهام الغير الصريح اللغوي: سؤال عن الكيفية

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا في معناه اللغوي ولكن الإمام المفسر ابن عطية رحمه الله لم يصرح بذلك في تفسيره فلذا نحن نحاول أن نثبت الأمر من المراجع والمصادر.

^(١) صفوة التفاسير، الصابوني، ص ٣١٢ ج ١

^(٢) سورة الأنعام الآية ١١

قال سبحانه وتعالى أن هؤلاء كانوا يستهزءون بالرسول من قبل غير مكترئين بأحوال من كان يستهزأ بهم فعليهم أن يأخذوا الجولة في الديار حتى يرى مشهدهم ووخيمتهم قال تعالى: "قل سيروا في الأرض" المراد من السير هو التلقي الاعتبار لأنه هو المقصود الأصلي من السير وقال ووافقه الصابوني وابن عاشور في هذا المعنى وهذا المعنى مستفاد من تفسير الآية.

الاستفهامات اللغوية غير الصريحة في سورة الأعراف

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾^(١)

محل الاستفهام: "فماذا تأمرون"

معنى الاستفهام اللغوي غير الصريح: "بأي شيء تشيرونني"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا في معناه اللغوي، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك، فلذا يجب علينا أن نراجع المصادر حتى نتأكد من معناه.

واعلم أن الاستفهام هنا استعمل في معناه اللغوي أي طلب فرعون المشورة من قومه بعد ما صعب عليه الأمر، معنى الآية: أن فرعون خاطب ندماءه وجلساءه يوماً بعد ما استفحل أمر موسى - عليه السلام-. أخبرهم أولاً بأن موسى - عليه السلام- يريد إخراجكم من مصر كما هو يصر بإخراج بني إسرائيل معه، وقوله هذا للتحريض ضد موسى - عليه السلام- وإلقاء الشحنة تجاهه، الآن أخبروني ماذا نفعل به؟ فقدّموا المشورة بأنه ساحر فنحن نقابله بالمثل، نطلب السحرة من أنحاء العالم حتى نوقعه فيما يدعي ونخذه أمام الملاء.

(١) - سورة الأعراف، الآية: ٣٥

فمعنى الاستفهام هنا ظاهر بأنه استخدم في معناه اللغوي، وإليه أشار ابن عاشور في تفسيره فقال: فمعنى فماذا تأمرون ماذا تطلبون أن نفعل^(١).

وقال الصابوني أيضا: أي بأي شيء تأمرون أن نفعل في أمره؟ وبأي شيء تشيرون فيه؟^(٢) لقد ذكر المراغي نفس هذا المعنى وقال: (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) أي فأشيروا عليّ ماذا أصنع؟ وبم أذافعه عما يريد؟^٣ فكلام ابن عاشور والصابوني - رحمهما الله - يدل بأن الاستفهام ليس مجازي بل في معنى اللغوي وهو "بأي شيء تشيروني في أمر موسى - عليه السلام."

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾^(٤)

محل الاستشهاد: "إن لنا لأجرا"

معنى الاستفهام اللغوي غير الصريح: "الاستفهام عن تأكيد أجورهم"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه اللغوي، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله لم يصرح بذلك، لذا علينا أن نثبت من المراجع.

واعلم أن الاستفهام هنا في معناه اللغوي أي لاستفهامهم الأجر، معنى الآية: جَمَعَ فِرْعَوْنُ خَاصَةً مِنَ الْقَوْمِ وقال لهم: ما نفعل بموسى - عليه السلام - لأن أمره بدأ يستفحل يوما بعد يوم، فقدم هؤلاء المشورة بأن نغلبهم بالحجة بدل أن نقتله، لذا عليك أن تنادى السحرة من المدائن كلها لنجعل بينهم منافسة في السحر،

(١) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٤٣ ج ٩

(٢) - صفوة التفاسير، الصابوني، ص ٤٢٩ ج ١

(٣) : تفسير المراغي المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة:

الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م عدد الأجزاء: ٣٠، ص ٣٤١

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١١٣

فأرسل فرعون غلماناً وطلب منهم إحضار السحرة في الموعد. واختلف المفسرون في عددهم ، فقال منهم: كان عددهم خمسة عشر ألفاً، وقال البعض تسعمائة، وقال البعض: كانوا اثنين وسبعين. أول ما نطقوا به أمام فرعون هو طلب الأجرة علي سحرهم وهذا دليل علي ثقتهم علي أنفسهم وعلي سحرهم، فقالوا: " إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين" فقال فرعون تقريراً لاستفهامهم " نعم".

أن الاستفهام هنا في معناه اللغوي أي استفهامهم عن أجرهم بعد فوزهم، وإلى هذا المعنى أشار فخرالدين الرازي فقال: الاستفهام أحسن في هذا الموضوع لأنهم أرادوا أن يعلموا هل لهم أجر أم لا؟^(١) فنفهم من خلال كلام فخرالدين الرازي، أن المفسرين اختلف في الآية، هل هناك استفهام أم خبر، ولكن الراجح والأحسن هو الاستفهام اللغوي في معنى تأكد عن أجرهم حتى سئلوا عنها.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: "كيف تعملون"

معنى الاستفهام اللغوي غير الصريح: "كيفية معرفة أعمالهم من الإفساد والإصلاح"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا في معناه اللغوي، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، لذا من واجبتنا أن نثبت نوعية الاستفهام من المراجع الموثوقة.

(١) : التفسير الكبير، فخرالدين الرازي، ص ٣٣٣ ج ١٤

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩

واعلم أن الاستفهام هنا استخدم في معناه اللغوي أي معرفة كيفية أعمالهم بعد الاستخلاف، وقالوا عن معنى الآية: أن فرعون عندما هدّد بني إسرائيل بقوله: "سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم" كما هو عادة كل ضال إذا عجز عن دفع الدليل والبرهان ، عدل إلى البطش والفتك بالسنان، فخاف بنو إسرائيل وقالوا يموسى نحن قد ابتلينا وامتهنا بقتل الأبناء وترك النسوة، وهذا بعد ما خاف فرعون على مُلكه، فسألهم موسى – عليه السلام – وقال: إن الله تعالى يعدكم بأن تراثوا أرض مصر ويُهلك فرعون، وبعد استخلافكم فالله تعالى يختبركم بأعمالكم ماذا تقومون به من الافساد والإصلاح.

والاستفهام هنا في معناه اللغوي أي ليختبركم الله بعد توريتكم واستخلافكم من أعمالكم، وإلى هذا المعنى أشار الصابوني في تفسيره فقال: وينظر كيف تعملون بعد استخلافكم من الإصلاح والإفساد^(١). فكلام الصابوني ظاهر في معنى الاستفهام لا يحتاج إلى البسط والتفصيل.

(١) صفوة التفاسير، الصابوني، ص ٤٣١ ج ١

جدول الاستفهامات اللغوية غير الصريحة وردت في سورة البقرة

ر- م	أداة الاستفهام	معنى الاستفهام	الآية ورقمها
١	ما	السؤال عن لون البقرة	قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا. الآية: ٦٩
٢	ما	السؤال عن البقرة ووصفها	قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ. الآية: ٧٠
٣	ماذا	مع ضلوم نعل لؤسلا قلفنلا	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ، الآية: ٢١٩

فهرس الاستفهامات اللغوية غيرالصریحة وردت في سورة آل عمران			
		الاستفهام عن كيفية إحياء العظام	١
وَإِنظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا		كيف	
ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ. الآية: ٤٤	الاستفهام عن العاقل	أي	٢

فهرس الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة وردت في سورة النساء			
١	أي	سوال عن انتفاع البعض عن بعض في الدنيا	أَيْهِمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا . الآية: ١١
فهرس الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة وردت سورة المائدة			
١	كيف	سوال عن مواراة الجسد	فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ. الآية: ٣١
فهرس الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة وردت في سورة الأعراف			
١	ماذا	بأي شئ تشيروني فيه	يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. الآية: ١١٠
٢	الهمزة	سوال عن تأكيد أجرهم	وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. الآية: ١١٣
٣	كيف	سوال عن كيفية معرفة أعمالهم من الإصلاح والفساد	قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ. الآية: ١٢٩

الفصل الثاني

المعاني الدلالية غير الصريحة لأدوات الاستفهام

مدخل إلى الموضوع:

تختلف أساليب اللغة العربية وتتنوع، والاستفهام من أهمها إن لم تكن أهمها، ولكن لا تقلّ أهميتها عن أهمية غيرها من الأساليب، فالسؤال والاستفهام يعدّ عنصراً أساسياً مبدئياً في مجال الحوار والتواصل بين الناس، وقد مرّ في مدخل الفصل الأول من الباب الأول بيان كلمة "استفهام" بكلّ تفصيل وتبسيط.

وأيضاً قد تعرفنا على تعريف الاستفهام الدلالي في مدخل الفصل الثاني من الباب الأول، ولا يخفى على أحد أهمية المعاني الدلالية الصريحة وإفادتها ودورها الفعّال في إيصال معلومات وأحكام وحكايات بتصورات غير ما يتبادر إليها عادة؛ وهي لا بد منها، وإلا فيحدث إخلال بالمعنى إذا أريد الحقيقي اللغوي منه فقط، بينما يدلّ محل الاستشهاد والسياق والسباق على ما هو بالعكس من ذلك؛ تماماً كما هو المقرّر المتفق عليه أن المعاني اللغوية لأدوات الاستفهام لها دور بناء في ربط أفكار النصوص المنتظمة التي تهدف إلى إنتاج دلالات لغوية معنيّة بكل حال، وإلا فيحدث إخلال بالمعنى.

الفصل الأول من الباب الثاني قد أخذنا فيه الأدوات الاستفهامية اللغوية التي لم يصرح بها الإمام الكبير المفسر الجليل ابن عطية - رحمه الله - في تفسيره "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، وسنأخذ بإذنه - تعالى - في الفصل الثاني من الباب الثاني الاستفهامات الدلالية التي لم يصرح بها ابن عطية - رحمه الله - في تفسيره، الآن نرجع إلى ما كنا بصددده.

والجدير بالذكر أن دلالات الاستفهام المجازية تطلعننا على الأحكام الصحيحة والأبعاد الفكرية المستقيمة البليغة التي يصدقها النص والمضمون، وإدراكها وتفقهها والتوصل إليها عنصر غاية في الأهمية من عناصر تحليل النصوص واستنباط الحكم منها، وهي جزء لا يستغنى عنه حتماً، فقد وردت أدوات الاستفهام في الكثير من آي كتاب الله العزيز، لا تدلّ إلا على معاني دلالية - مجازية- لا اللغوية الموضوعية لها، ولا يصح تفسير تلك الآيات إلا بها، ولا يستنبط الحكم الذي ينتج منها إلا بناء على إرادة المعاني الدلالية منها لعدّة عوامل ودلائل.

وقد ذكرنا هذه العوامل في مدخل الفصل الثاني من الباب الأول فراجعها إن شئت.

الاستفهامات الدلالية غيرالصريحة في الثالث الأول من القرآن الكريم من تفسير "المحرر الوجيز":

الاستفهامات الدلالية غيرالصريحة في سورة البقرة

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

محل الاستشهاد: "أَنُؤْمِنُ".

معنى الاستفهام الدلالي غيرالصريح: "الإنكاري المقرون بدلالات النفي والاستهزاء والتحقير"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا ورد في معناه المجازي أى للإنكار الممزوج بالتوبيخ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية رحمه الله لم يصرح بذلك فلذا علينا أن نحقق من المصادر التفسيرية لنوعيته.

يقول ابن عطية: "قالوا: أنكون كالذي خفت عقولهم؟"^(٢) جاءت الهمزة هنا دالة على معنى الاستفهام الإنكاري المقرون بدلالات النفي والاستهزاء والتحقير،^(٣) وهذا المعنى وإن لم يصرح به ابن عطية، ولكنه مفهوم من مقام الآية، فكأن المنافقين كانوا يظهرون من الإيمان أمام الملاء، وعندما كانوا وحدانا يخاطب بعضهم بعضاً أنؤمن أي: ما آمننا ولن نؤمن به، فأطلع الله نبيه -عليه الصلاة والسلام- والمؤمنين بما كانوا يخفون.

(١) البقرة، الآية: ١٣.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٩٤.

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر (١٨٨٤م)، ج ١، ص ٢٨٧.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١)

محل الاستفهام: " أفلا تعقلون "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: " التعجب والتوبيخ والتحقير "

قال الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- وقوله تعالى: أَفَلَا تَعْقِلُونَ معناه: أفلا تمنعون أنفسكم من مواقعة هذه الحال المردية لكم؟^(٢) لقد أشار -رحمه الله- ب أفلا تمنعون أن الاستفهام هنا دلالي مقرون بدلالات التعجب والتوبيخ ولكنه لم يصرح به إذن ثبت دعوانا بمراجع ومصادر أخرى.

ظَهَرِي رَجُلَانِ: عَامٌ مُتَهَتِّكٌ وَجَاهِلٌ مَتَسَكٌ^(٣).

لقد صرح الإمام الرازي -رحمه الله- بأن الاستفهام للتعجب وزاد شرحا حيث ذكر وجوه التعجب بعده (راجع تفسيره)

صرح الإمام ابن عاشور صاحب التحرير والتنوير في تفسيره: وَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا لِلتَّوْبِيخِ لِعَدَمِ اسْتِقَامَةِ الْحَمْلِ عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ الْحَقِيقِيِّ فَاسْتُعْمِلَ فِي التَّوْبِيخِ^(٤).

نبداً بالتحليل مع المراجع كلها حتى نصل إلى ما يتعلق بالمطلوب.

قوله تعالى: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْإِسْتِفْهَامِ، ومعناه التوبيخ، و «البر» يجمع وجوه الخير والطاعات ويقع على كل واحد منها اسم بر، وَتَنْسَوْنَ بمعنى تتركون كما قال الله تعالى: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ^(٥).

(١) سورة البقرة الآية: ٤٤

(٢) التفسير الوجيز ج ١ ص ١٣٧

(٣) تفسير الرازي ج ٣ ص ٤٨٨

(٤) ابن عاشور ج ١ ص ٤٧٤

(٥) ابن عطية ج ١ ص ١٣٦

وقوله تعالى: أَفَلَا تَعْقِلُونَ معناه: أفلا تمنعون أنفسكم من مواجهة هذه الحال المردية لكم المأسوية؟ تعجبٌ مزوجٌ بالتوبيخ أي عاقل ويقول مالا يفعل! يجب علي العاقل أن يمتنع عن مثل هذه المواقع التي تشين الرجل وتوقعه في الخسران الأبدي.

والعقل: مصدر من باب "ضرب" معناه المنع، وسمي العقل عقلا لأنه يمنع الانسان عن مخالفة أوامر الله - تعالى- وفي الاصطلاح: الإدراك المانع من الخطأ مأخوذ منه عقال البعير، أي يمنعه من التصرف، ومنه المعقل أي موضع الامتناع.

العقل إذا لم يدرك القضية عاقبته وخيمة.

قال ابن عاشور في تفسيره: وَالْعَرَضُ مِنْ هَذَا هُوَ النِّدَاءُ عَلَى كَمَالِ حَسَارِهِمْ وَمَبْلَغِ سُوءِ حَالِهِمُ الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ حَتَّى صَارُوا يُقَوْمُونَ بِالْوَعْظِ وَالتَّعْلِيمِ كَمَا يَقُومُ الصَّانِعُ بِصِنَاعَتِهِ وَالتَّاجِرُ بِتِجَارَتِهِ لَا يَقْصِدُونَ إِلَّا إِيفَاءَ وَظَائِفِهِمُ الدِّينِيَّةِ حَقَّهَا لَيْسَتْ حَقُّوا بِذَلِكَ مَا يُعْوِضُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاتِبَ وَرَوَاتِبَ فَهُمْ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى حَالِ أَنْفُسِهِمْ بُحَاةَ تِلْكَ الْأَوَامِرِ الَّتِي يَأْمُرُونَ بِهَا النَّاسَ^(١). قاموا بالإحسان إلى الغير وهم أولى به.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ..... ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: " أَتَسْتَبْدِلُونَ "

إثبات الدعوى: لم يتعرض الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لمناقشة الاستفهام الموجود في الآية بل بدأ بتعريف الاستبدال مباشرة فقال: والاستبدال طلب وضع الشيء موضع الآخر.^(٣) ولكن معنى الاستفهام هنا دلالي وقد صرح به المفسرون في تفاسيرهم.

(١) :التحرير والتنوير ج ١ ص ٤٤٧

(٢) سورة البقرة: ٦١

(٣) -التفسير الوجيز ابن عطية ص ١٥٣ ج ١

قال أبوحيان صاحب البحرالمحيط: **وَالْهَمْزَةُ فِي أَتَسْتَبْدِلُونَ لِلْإِنْكَارِ^(١)**، ثم علق بقوله: كما سئموا من المواظبة على مأكول واحد، سألو موسى -عليه السلام- أن يسأل الله لهم أن ينوع لهم الطعام، فقال لهم: (أتستبدلون) على سبيل الإنكار. وهذا يدل على التنكير عليهم كما يدل على سفاهتهم وحمقهم. ومن خلال كلام صاحب البحرالمحيط نفهم أن الاستفهام خرج من معناه الحقيقي إلى معنى الإنكار.

وقال أبو سعود: قال موسى أو سبحانه و -تعالى-: انكارا عليهم وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل: فماذا قال لهم فقيل: قال {أَتَسْتَبْدِلُونَ} أي أتأخذون لأنفسكم وتختارون.^(٢) يا للعقل ! تركوا الأحسن ومالوا إلى الأدنى.

(الأدنى) إما مأخوذ من الدنو أي القرب في القيمة، وإما من الدنئ من الدناءة، ثم خففت الهمزة المطرفة من الدناءة أي بمعنى الأخس. معنى الآية: أختارون لأنفسكم البقل والبصل والعدس القثاء والفوم التي أرخص قيمة وأقل شرافةً بالمن والسلوى الذي أثن قيمة وأعز كرامة؟ فإن قلت: هما طعامان كيف قالوا لا نصبر على طعام واحد؟ قلت: أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل، ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدّة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها، قيل: لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفى التبدل والاختلاف.

أما وجه تفضيل المن والسلوى على هذه البقول ففيه وجوه: الأول: لأن أكل المن والسلوى كان مأمورا من الأمر، والقيام بالأمر من المستحسنات ولكنهم أعرضوا عن الأمر وخالفوه فلذا سمى الله تعالى البقوليات كلها بأنها أقل قيمة، ولأن قيمة الشيء تقدر بالأمر، ثانيا: أن هذه البقول عرضة للخطر والمن والسلوى أبقى وجودا منها.

^(١) البحرالمحيط أبوحيان الانلسي ص ٣٧٧ ج ١

^(٢) تفسير أبي السعود المسمي بإرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي

المتوفي ٩٧٢هـ، ص ٢٤١

٤: قوله تعالى ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(١)

محل الاستشهاد: "أتخذنا"

إثبات الدعوى:

يظهر من الاستفهام "أتخذنا" خرج مخرج الاستفهام الحقيقي إلى الاستفهام المجازي أى الاستهزاء ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بنوعية الاستفهام هنا بل بدأ بتفسير الآية. فقال: ولو قال ذلك اليوم أحد عن بعض أقوال النبي ﷺ لوجب تكفيره، وذهب قوم إلى أن ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفاء والمعصية، على نحو ما قال القائل للنبي ﷺ في قسمة غنائم حنين: «إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله»، وكما قال له الآخر: «اعدل يا مُجِدِّ»، وكلّ محتمل، والله أعلم^(٢)، إذن تابعونا لنراجع المصادر.

ومما يدل بأن الاستفهام هنا بمعنى الاستهزاء والسخرية ما قالتها زاهدة الدجاني: معنى ذلك أن القائلين لموسى -عليه السلام- (أتخذنا) أرادوا السخرية منه ، وهذا المعنى ذكر صاحب أساس التفسير: قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا أي أتجعلنا مكان هزء أو أهل هزء أو الهزء نفسه^٣، وكأنهم رأوا في ذبح البقرة رابطة باسم القاتل فلم يجدوا شيئاً فلذا وجدوا فرصة للسخرية منه ... ولكن موسى -عليه السلام- تدارك الأمر، وقد فهم مقصدهم فأجاب بالقول ﴿أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ وكان موسى عليه السلام يستنكر اتهامهم له بالسخرية منه.^(٤) من خلال هذا الكلام لم يبق مجال للشك بأن الاستفهام هنا للسخرية التي تمنوّها دائما لموسى -عليه السلام-، فوجدوا فرصة فاغتنموها. وإلى هذا أشار صاحب تفسير الكشاف في تفسيره حيث قال: فما

(١): سورة البقرة الآية: ٦٧

(٢): ابن عطية ص ١٦٢ ج ١

^٣: الأساس في التفسير المؤلف: سعيد حوى الناشر: دار السلام - القاهرة الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ، ص ٣٠٤

(٤): مُجِدِّ باجس موسى زياد ، الأساليب الإنشائية في آيات بني اسرائيل في جامعة السودان رسالة دكتوراة غير منشورة ص ٣٣

معنى استهزائه بهم؟ قلت: معناه إنزال الهوان والحقارة بهم، لأنّ المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به. (١)

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٢)

محل الاستشهاد: "ألم أقل لكم"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: التقرير والاستحضار.

إثبات الدعوى:

الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بالاستفهام ونوعيته هنا لأن الأمر كان ظاهرا لديه واصل تفسير الآية وتحليلها وحل مشكلاتها.

لم يصرح بنوعية الاستفهام المفسر الجليل ابن عطية - رحمه الله - ولكن ذكر بعض المفسرين نوعيته وحكموا عليه كما قال صاحب الكشاف في تفسيره:

وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ استحضار لقوله لهم:

﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، إلا أنه جاء به على وجه أبسط من ذلك وأشرح (٣). نفهم من خلال تعليق

الزمخشري أن المراد من الاستفهام في قوله - تعالى - ﴿ألم أقل لكم﴾ للتقرير والاستحضار، واستحضار ما مضى، وتذكيره معناه التقرير نفسه. وأيضا: أن أكثر الاستفهام الواقع على النفي يدل على التقرير

(١) : الزمخشري ، الكشاف ص ٦٦ ج ١

(٢) : سورة البقرة الآية: ٣٣.

(٣) : الزمخشري، الكشاف ص ١٢٦ ج ١

عند العرب لا سواه، وبه صرح معظم العلماء. وأيضا قد صرح الإمام المفسر ابن عاشور في تفسيره المسمي "بالتحريير والتنوير" على أن الاستفهام هنا في هذه الآية تقريرية: فقال:

والاستفهام في قوله -تعالى-: ألم أقل لكم إني أخبرتكم بما في الآيات من آياتي، لأن ذلك القول واقع لا محالة والملائكة لا يعلمون وقوعه ولا ينكرونه. وإنما أوقع الاستفهام على نفي القول لأن غالب الاستفهام التقريرية يقحم فيه ما يفيد النفي لقصد التوسيع على المقرر حتى يخيل إليه أنه يسأل عن نفي وقوع الشيء^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٢﴾

محل الاستشهاد: "أتحدثونهم/ أفلا تعقلون/ أولا يعلمون.

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: الإنكار، التوبيخ، التقرير.

إثبات الدعوى:

لم يصرح الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- بنوعية الاستفهام في تفسيره المحرر الوجيز ولم يشر، فلذا نضطر أن نراجع المصادر حتى نعثر على نوعية الاستفهامات الثلاثة الموجودة في الآية.

لقد ذكر سبحانه - تعالى - من أحوال اليهود وصفاتهم في هذه الآية وقبلها، فقال في الآية السابقة: أنكم تطمعون في إيمان هؤلاء الناس الذين يسمعون كلام رسول الله عليه وسلم ثم يقومون بتحريفه و أيضا تركوا الجواسيس الذين أظهروا الإيمان نفاقا بين المسلمين ليطلعوا على أخبارهم، عندما سمع أخبارهم بعض الأخبار الموجودة في التوراة من صفات النبي - ﷺ - من أفواه المؤمنين، أو عندما - سمعوا النبي - ﷺ - يخاطب

(١) التحريير والتنوير ابن عاشور ص ٤١٩ ج ١

(٢) سورة البقرة: الآية: ٧٦/٧٧

بني قريظة بأبناء الخنازير والقردة فعرفوا أن الجواسيس أخبروهم ، فذهبوا بالخلوة ، ولام الأحزاب جواسيسهم ، وأنكروا عليهم فقالوا: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من هذه العلوم أمام المؤمنين؛ ليحتجوا بها أمام الله -تعالى - عليكم يوم القيامة؟ يجب عليكم أن تؤكدوا من إيمانكم أمامهم فحسب ، ولا تخبروهم بما عندكم من علم التوارة. وأشار إلى هذا المعنى ابن عاشور -رحمه الله - في تفسيره فقال:

وقوله: أتحدثونهم استفهام للإنكار أو التقرير أو التوييح بقريظة أن المقام دل على أنهم جرى بينهم حديث في ما ينزل من القرآن فاضحا لأحوال أسلافهم ومثالب سيرتهم مع أنبيائهم وشريعتهم^(١). قد عرفنا خلال كلام ابن عاشور رحمه الله أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي:

-الإنكار

-والتقرير

-والتوييح

معنى الإنكار والتقرير كما شرحنا في تفسير الآية أما المعنى التقريري أن الهمزة الداخلة على الفعل للتقرير عموما كما ذكرنا وفيه إنكار على أحوالهم وعاداتهم الشنيعة. وأيضا قال عن استفهام الواقع في ﴿أولايعلمون﴾ بأنها للتقرير مع اختلاف العلماء في وقوع الاستفهام مع حرف العطف كما في هذه الآية وكثيرة منها. فيها مذهبان: الأول: أن الهمزة متأخرة في النية عن حرف العطف وقدمت لأن لها الصدارة. والثاني: أن بعد حرف العطف جملة مقدره يصح العطف عليها وتلائم سياق الكلم وسنسير هذا الدرب في بحثنا هذا. ومعناه: أن هؤلاء يمنعون رفقاءهم عن نقل الأخبار إلى المسلمين مع أن الله عالم بسرائر الصدور وظواهر الوجوه. خلاصة القول بأن الاستفهام في قوله: (أفلاتعقلون و أولايعلمون) إما للتقرير أو للإنكار غاية

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ص ٥٦٩ ج ١

الإنكار، أي كيف يسعى عاقل بأنه ينقل سرائرهم أمام الأعداء ، أو كيف يظنون بالله بعدم العلم حتى يمنعون الجواسيس عن نقل الأخبار حتى لا يطلع المسلمون.

وإلى نفس هذه المعاني أشار العلامة الألوسي -رحمه الله- في تفسيره فقال: أن الاستفهام الواقع في ﴿أَتُحَدِّثُوهُمْ﴾ والاستفهام في ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هما مجازيان ، قال الألوسي -رحمه الله- والاستفهام إنكاري في (أَتُحَدِّثُوهُمْ)، و (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) معطوف عليه^(١). يفهم من كلام الألوسي أن الاستفهام في الموضوعين في معنى الإنكار. وكذلك قال أبو سعود صاحب تفسير أبي سعود: أن الاستفهام في (أولاً يعلمون) خرج من معناه الحقيقي الى المعنى المجازي أي الإنكار والتوبيخ.^(٢) أي فيه تعريض باليهود وتحليلهم محل الجاهل من لا يعلم إحاطة علم الله تعالى بكل شي.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)

محل الاستشهاد: "أَتَّخَذْتُمْ/أم تقولون"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح:

إثبات الدعوى: هنا ورد استفهامان و خرجا عن معناهما الأصلي إلى المعنى المجازي، في الآية الأولى:

(أَتَّخَذْتُمْ) والثانية (أم تقولون). الأول للإنكار، والثاني للتوبيخ ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم

يصرح في تفسيره عن نوعيتهما بأنهما خرجا عن معناهما الحقيقي. إذن نراجع المصادر حتى نثبت دعوانا.

(١) : العلامة الألوسي روح المعاني ص ٢٩٩-٣٠٠

(٢) : أبوسعود ، تفسير أبي سعود دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ص ١١٨ ج ١

(٣) :- سورة البقرة الآية: ٨٠

سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ - سأل اليهود : من هم أهل النار؟ فقالوا: نحن وأنتم تخلفوننا، قال رسول الله ﷺ - كذبتهم نحن لا نخلفكم، فنزلت هذه الآية ، فقال تعالى: هل يدعون بأننا سنبقى في النار لأيام عديدة؟ مالدليل على ذلك؟ هل اتخذتم أى آمنتهم وأطعتم وقدمتم الأعمال الحسنة التي توجب هذه أم الله -تعالى- أخذ منكم عهدا بأني لن أعذبكم إلا أياما عديدة؟
فالله سبحانه وتعالى أنكر عليهم هذا القول ووجَّههم عليه.

أما الاستفهام في (أتخذتم) خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي الإنكاري كما صرح به الإمام الرازي في تفسيره الكبير حيث قال: قوله تعالى: أتخذتم ليس باستفهام، بل هو إنكار لأنه لا يجوز أن يجعل تعالى حجة رسوله في إبطال قولهم أن يستفهمهم، بل المراد التنبيه على طريقة الاستدلال وهى أنه لا سبيل إلى معرفة هذا التقدير إلا بالسمع، فلما لم يوجد الدليل السمعي وجب ألا يجوز الجزم بهذا التقدير^(١).

فحوى كلام الرازي لا يجوز أن نقصد الاستفهام هنا في معناه الحقيقي وإلا لزم أن الله يجعل حجة رسوله في ترديد قولهم أن يستفهمهم . بل قولهم هذا لا مراء فيه بأنه باطل لا يمت بصلة إلى الاستفهام.

وقال أبوحيان في تفسيره البحر المحيط: إن الله -تعالى- رد دعواهم وأخبارهم الكاذبة فقال: مثل دعواكم الجزم هذه لا يدعي إلا من أخذ عهدا موثوقا من الله -تعالى- والأمر باهر بأنكم لم تأخذوا عهدا من الله بذلك، فلذا رد عليهم ، وأمر نبيه صلي الله عليه وسلم أن يرد عليهم بهذا الاستفهام الإنكاري^(٢).

كلامه ظاهر في مراد الاستفهام لا يحتاج إلى مزيد من التفصيل.

(١) تفسير كبير الإمام الرازي: ص ٥٦٧ ج ٣

(٢) أبوحيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الاندلسي (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير ، المحقق:

صدقي محمد جميل، الناشر: دارالفكر - بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ، ص ٤٤٨ ج ١

أما الاستفهام الثاني: (أم تقولون) فأورد الألووسي - رحمه الله - تفصيلا يضيق المقام عن ذكره ونكتفي بما قال في عبارته الآتية: وتحمّل أن تكون - يعني: " أم " منقطعة بمعنى بل والتقدير: بل تقولون: ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال من التوبيخ والإنكار على اتخاذ إلى ما تفيدته همزتها من التوبيخ على القول. (١)

ويعلق إبراهيم المطعني على قول الألووسي بقوله: يعني التقرير أي: الاستفهام الأول للإنكار والتوبيخ ، والثاني (أم تقولون) للتقرير والتوبيخ " (٢).

الخلاصة: أن الاستفهام في الموضع الأول استفهام إنكاري ردا على ما زعم اليهود وعلى ضلالهم وإنكارهم للحق و إبطال حججهم، أما الاستفهام في الموضع الثاني: فهو استفهام الغرض منه التقرير والتوبيخ.

: وقوله تعالى: ﴿أَفْتَوْنُونَ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٣)

محل الاستشهاد: "أَفْتَوْنُونَ"

الاستفهام الدلالي غير الصريح: التوبيخ.

إثبات الدعوى:

الاستفهام هنا أيضا دلالي لأنه خرج مخرج الاستفهام الحقيقي إلى المعنى المجازي التوبيخي، لكن المفسر - رحمه الله - لم يصرح به دون إشارة خفيفة جدا في تفسير الآية الكريمة حين قال: المراد من (الكتاب) هنا

(١) الألووسي ، روح المعاني ، ص ٣٠٥

(٢) إبراهيم المطعني: مرجع سابق ص ٧٧

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٥

التوراة ، والذي أمنوا به فداء الأساري، والذي كفروا به قتل بعضهم بعضا و إخراجهم من بيوتهم ، وهذا توبيخ لهم وبيان لقبح فعلهم.^(١)

إذن نراجع المصادر لإثبات الدعوى.

أن الآية تتكلم عن اليهود كالسابق وذكر فيها من بعض أفعالهم الشنيعة. من صفاتهم: أنهم جعلوا الدين تابعة لمرضاة وشهواتهم ، إذا وجدوا خيرا عملوا به وإذا لم يعجبوه وشاق عليهم تركوه، خلفية هذه الآية أن اليهود قد انقسموا إلى فرقتين: بني نضير وبني قريظة وبني قينقاع والأوس والخزرج، بنونضير وقريظة بينهم المواخاة كما كانت بين الأوس والخزرج، إذا وقع القتال بين قريظة والأوس كان بنونضير يحالف بني قريظة والخزرج الأوس، فيتسبب هذا القتال بالأموات والأسرى، ثم يتقدمون لمفاداة الأسرى لأنهم يشعرون بالحنين هنا بأن يدل رعاياهم ورؤساءهم بالأسرى. فوبَّخَهُمْ -سبحانه وتعالى- قال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ ببعض الكتاب...﴾ أي مُنِعْتُمْ في التوراة من القتال والإخراج من البيوت وأمرتم بالمفاداة ، ولكنكم خالفتم في أمر القتال بأنكم قاتلتهم الإخوة وأخرجتموه من ديارهم وعملمت بالمفاداة!؟.

الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أي للتهديد والتوبيخ ، قال الإمام الألوسي : والاستفهام للتهديد والتوبيخ على التفريق بين أحكام الله تعالى ، إذ العهد كان بثلاثة أشياء ترك القتل وترك الإخراج ومفاداة الأسارى. فقتلوا وأخرجوا على خلاف العهد وفدوا بمقتضاه.^(٢)

نفهم من كلام الألوسي -رحمه الله- أن الاستفهام وقع للتهديد بأنهم كانوا يفرقون بين أحكام الله تعالى يأخذون هذا ويتركون ذلك.

^(١) تفسير المحرر الوجيز ابن عطية ص ١٧٥ ج ١

^(٢) الألوسي ، روح المعاني ص ٣١٣ ج ١

وقال الصابوني -رحمه الله- : { أَفَتُؤْمِنُونَ } الهمة للإنكار التويخي^(١). أى هذا التناقض هو الذي يواجههم به القرآن وهو يسألهم في استنكار مزوج بالتويخ: أفؤمنون ببعض الكتاب وتتركون بعضاً؟
الخلاصة: الاستفهام هنا: للإنكار ، والتويخ ، والتهديد وهى معانٍ متقاربة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: " لِمَ "

معنى الدلالي غير الصريح: " التبكيت "

إثبات الدعوى:

هنا في هذه الآية خرج الاستفهام عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي (التبكيت) ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله - لم يصرح به فلذا ثبت دعوانا بالمصادر والمراجع.
من بداية الآية إن الله - سبحانه وتعالى - ردّ دعواهم ، إن النبي - صلي الله عليه وسلم - إذا دعاهم إلى الإيمان بكل ما أنزل من الله من الأحكام كانوا يقولون: بأنهم يؤمنون بكل ما أنزل إليهم في التوراة أما الإيمان بكم لسنا مكلفين بأن نؤمن بكم ونطيعكم. فأبكتهم الله - تعالى - بقوله : (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) أى هل استبيح قتل الأنبياء في التوراة إن كنتم تؤمنون به كما تدعون؟! كلاً. ولكنكم كاذبون .

(١) .صفوة التفاسير صابوني ص ٦٧ ج ١

(٢) : سورة البقرة الآية: ٩١ .

قال الإمام الألويسي - رحمه الله -: الاستفهام في قوله - تعالى - ﴿فلم تقتلون أنبياء الله﴾ للتبكييت. قال الألويسي: أمرهم النبي - صلي الله عليه وسلم - تبكييتاً لهم حيث قتلوا الانبياء مع أنهم ادّعوا الإيمان بالتوراة.^(١)

وكذلك صرح أبوسعود بأن الاستفهام هنا لتبكييتهم في دعواهم.^(٢)

نفهم من خلال كلام الألويسي وأبي سعود أن الاستفهام للتبكييت.

الخلاصة: أن الاستفهام المراد منه هنا التبكييت.

قوله تعالى: ﴿أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾^(٣)

محل الاستشهاد: "أوكلما"

الاستفهام الدلالي غير الصريح: التوييح والإنكار.

إثبات الدعوى:

هنا خرج الاستفهام من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي: التوييح ، والإنكار. ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك ، لأن الآية تتحدث عن اليهود ومن صفاتهم نقض العهد، لذلك جاء القرآن موجهاً ومنكراً عليهم تلك الحجة. لكنه لم يصرح بذلك في تفسيره لذا نرجع إلى المراجع من التفاسير الأخرى حتى نثبت.

(١) : الألويسي ، روح المعاني ، ص ٣٢٤

(٢) : أبوسعود، تفسيره: ص ١٣٠

(٣) : سورة البقرة: الآية: ١٠٠

الآية كما قلنا تتحدث عن صفات المنافقين المذمومة، وفي ضمنهم صفة نقض العهد دائماً، ومعنى الآية: وَبَخَّ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - المنافقين على نقض عهودهم ، ولا شك أن نقضهم لعهد الله دليل على ضعف إيمانهم وجراتهم على الله.

قال الإمام الألوسي - رحمه الله -

وقوله: أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم استفهام مستعمل في التوبيخ^(١)

نفهم من كلام الإمام بأن الاستفهام هنا خرج عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي التوبيخي.

فلذا أن الاستفهام هنا للتوبيخ والإنكار.

قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: ألم تعلم/ ألم تعلم.

الاستفهام الدلالي غير الصريح: الإنكار.

إثبات الدعوى:

ورد هنا استفهامان في الآيتين المذكورتين ، الأول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ والثاني ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ

أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ...﴾ وكلاهما خرجا مخرج الاستفهام الحقيقي إلى المعنى المجازي التوبيخي ، ولكن

الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك. لذا علينا أن نرجع إلى المصادر حتى نشبته.

أن الاستفهامين الواقعيين للتقرير بلا شك وخلاف لأنهما واقعان على النفي ، والاستفهام الواقعي على النفي

يكون للتقرير لا غير. قال الصابوني - رحمه الله - أن الاستفهام هنا للتقرير والخطاب للنبي - صلي الله عليه

(١) الألوسي ، تفسيره ، ص: ٦٢٥ ج ١

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦/١٠٧

وسلم – ولكن المراد منه أمته^(١). معنى الاستفهام هنا تقريري أى يا مُحَمَّدُ ألا تعرف أن الله قادر على كل شيء وله التصرف في ملكوت السموات والأرض؟ ألا تقتضي هذه القدرة الكاملة بأن أُغَيَّرَ حكمًا دون حكمٍ أو نأت بخير منه وأفضل أو مثله على الأقل.

وزاد الإمام الألويسي – رحمه الله – قيل: أن الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ استفهام قيل: للتقرير، وقيل: للإنكار.^(٢) خلاصة القول: أن الاستفهام هنا للتقرير كما قال الصابوني أو للإنكار كما قال: الألويسي – رحمهما الله _.

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اقْبَلْ لَهُمْ اٰتِيْعُوْا مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوْا بَلْ نَتَّبِعُ مَا اَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اٰبَاءَنَا اَوَلَوْ كَانَ اٰبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُوْنَ﴾^(٣)

محل الاستشهاد: " أولوكان "

المعنى المجازي غير الصريح: " التوبيخ والتعجب "

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام خرج مخرج الاستفهام الحقيقي إلى معنى التعجب والتوبيخ ، ولكن المفسر ابن عطبة – رحمه الله – لم يصرح بذلك بل اكتفى بقوله " أن الهزمة للاستفهام في قوله: " أولوكان " ^(٤) إذن لتراجع المصادر.

المخاطبون في الآية إما اليهود أو كفار قريش، قال – سبحانه وتعالى – إذا قال لهم محمدٌ – ﷺ – اتبعوا دين الله – تعالى بالعمل والقبول ، ولا تنحرفوا عنه قيد أنملة، فيجيبونه نحن أولى منكم من آلهتكم بأجدادنا،

(١) : صفوة التفاسير، الصابوني ص ٧٦ ج ١

(٢) الألويسي ، تفسيره ، ص ٣٥٣ ج ١

(٣) : سورة البقرة الآية: ١٧٠

(٤) ابن عطية ، تفسيره، ص ٢٣٨ ج ١

فَوَجَّهَهُمُ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - على هذا التقليد الأعمى وقال: يا للعجب ! أولو كان آباءهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون إلى صراط مستقيم؟

والاستفهام هنا في المعنى المجازي أى التوبيخ والتعجب من هذا التقليد الأعمى المضل، قال الزمخشري - رحمه الله -

"أولو" الواو هنا للحال والهمزة للرد والتعجب ، معناه أيتبعونهم ولو كان آباءهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يجدون سبيلاً للحق والسداد؟^(١)

وقال الصابوني: - رحمه الله - والاستفهام للإنكار والتعجب من حالهم في تقليدهم الأعمى للآباء^(٢) نفهم من خلال كلام المفسرين - رحمهما الله - أن الاستفهام هنا في المعنى المجازي :

التعجب

والإنكار

والتوبيخ

(١): الزمخشري ، الكشاف ص ٢١٣ ج ش

(٢): الصابوني ، تفسيره ، ص ١٠١ ج ١

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ

الْأُمُور﴾^(١)

محل الاستشهاد: "هل ينظرون"

المعنى الدلالي غير الصريح: "الإنكار"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي والتحقق بالمعنى المجازي أقصد الإنكار ، ولكن الإمام المفسر - رحمه الله - لم يصرح بذلك بل جعل الاستفهام في معنى "أما" الابتدائية فقال: وقوله تعالى: هل ينظرون الآية، الخطاب للنبي ﷺ، وهل من حروف الابتداء كما^(٢).

الاستفهام هنا خرج من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي الإنكاري، قال - تعالى - هؤلاء الذين يعجبهم حياة الدنيا ما ينتظرون إلا أن يأتي عذابُ الله أو موعدُ الحساب مع ملائكة الموت ، ولكن ثم لا ينفعهم شيء.

اتفق علماء البلاغة أن كلمة "هل" وتليها "إلا" تفيد معنى النفي الإنكاري، قال الصابوني:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ استفهام إنكاري في معنى النفي بدليل مجيء إلا بعدها أى ما ينتظرون^(٣)

نفهم من كلام المفسر أن هل هنا للإنكار وللالمعنى المجازي دون شك وتردد بسبب ما ذكرنا من القاعدة عندهم.

(١) سورة البقرة ، الآية: ٢١٠

(٢) ابن عطية تفسيره المحرر الوجيز: ص ٢٨٣ ج ١

(٣) صفوة التفاسير ، الصابوني ، ، ص ١٢٠ ج ١

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١)

محل الاستشهاد: " أم / متي "

المعنى الدلالي غيرالصريح: " الإنكار للأول والثاني للاستبطاء "

إثبات الدعوى:

ورد استفهامان في الآيتين المذكورتين، الأول: في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أم بمعنى بل والهمزة للإنكار. والثاني: في قوله تعالى: ﴿مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾ المراد منه الاستبطاء. ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بأى منهما، إلا في الأول بقول التضعيف: " حكى " والثاني لم يصرح به قط.

كلا الاستفهامين المذكورين في الآيتين المذكورتين خرجا مخرج معنى الحقيقي إلى معناه المجازي، خاطب - سبحانه وتعالى - نبيّه - صلي الله عليه وسلم - تسلية وتشجيعا لما لاقى من المشركين الأذى حين حصروهم في الأحزاب وشدوا عليهم، قال: يا مُحَمَّد - صلي الله عليه وسلم - هل تحسب الجنة لينة سهلة؟! لا تناولون درجات الرقي إلا بعد ما تلقون ما لقي من خلوا من قبلكم، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، واستبطئوا النصرَ فقالوا راجين وطالبين بهذه النصر الموعودة من جانب الله تعالى.

قال أبو بكر الجزائري: أم هنا منقطعة فتفسر ببل، والهمزة للاستفهام الإنكاري.^(٢)

نفهم من خلال كلام أبو بكر الجزائري أن الاستفهام هنا للإنكار.

^(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٤

^(٢) أبو بكر جابر الجزائري، أسير التفاسير، ص ٩٣

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(١)

محل الاستفهام: " ألم تر "

الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التقرير والتعجب"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام في قوله تعالى: (ألم تر) استفهام خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، التقرير والتعجب. ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك وسنثبته من المصادر الأخرى.

قال تعالى: مخاطبا نبيه - ﷺ - فقال: ألم تعلم (الاستفهام هنا لتشويق سماع القصة) يا محمد قصة هؤلاء الذين خرجوا من بيوتهم بعدد كثير، إما فرارا من الجهاد بعدما أمرهم به نبيهم ، وإما فرارا من الموت بسبب الطاعون التي أصابتهم، فأماهم الله ثم أحياهم لتمثيل أمر الله تعالى بدعوة نبيه "حزقيل" ثم عاشوا بعد ذلك دهرا. إن فضل الله - تعالى - تعمُّ الخاصة والعامة ولكن أكثر الناس لا يؤدون الشكر. بل يواجهون الشكر بالجحود و النكران.

وقال الزمخشري: أن الاستفهام هنا مجازي.

(أَلَمْ تَرَ) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين، وتعجب من شأنهم^(٢). وقال: أبو بكر جابر الجزائري: والاستفهام هنا للتعجب^(٣).

^(١): سورة البقرة ، الآية: ٢٤٣

^(٢): الكشاف ، الزمخشري ، ص ٢٩٠ ج ١

^(٣): أبو بكر جابر الجزائري ، أيسر التفاسير ص ٢٣١ ج ١

نخلص من قول المفسرين - رحمهما الله - أن الاستفهام هنا خرج من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي:

التقرير

والتعجب

قوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فِإِصْبَاهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾

محل الاستشهاد: "أيود"

المعنى الدلالي غير الصريح: "الإنكار والتحذير"

إثبات الدعوى:

أقول: إن الاستفهام هنا خرج من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي أي الإنكار والتحذير أي حتمًا لا يتمنى أحد أن يكون مثل ما ذكر في المثال القرآني ولا ينبغي أن يتمنى.

لقد ضرب الله - تعالى - مثلا منافقا أو كافرا في خسارته، مثله كمثل رجل كدّ وانشغل في حائطه وعرق جبينه، فأثمرت الجنة ثمرًا حتى حان قطافها، فجأةً جاءت العاصفة المصحوبة بالنار وأحرق الجميع حتى كأنه لم تغن بالأمس شيئاً، ضرب مثلا برجل عمل عملاً صالحاً وأجهد نفسه في سبيل مرضاة الله - تعالى - ولكنه ارتكب معصية في آخر عمره فغارت أعماله. كما جاء في الحديث سئل عمر - رضي الله عنه - يوماً ما المراد من المثل الوارد في قوله تعالى "أيود أحدكم"؟ فقال الجميع: والله أعلم، فغضب عمر - رضي الله عنه - فأجاب ابن عباس - رضي الله عنه - المراد منه "العمل" كان يقصد المثال المذكور كما شرحنا

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٦

والاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أقصد الإنكار والتحذير.
قال ابن عاشور: والاستفهام في قوله: "أيود" استفهام إنكار وتحذير^(١).

وقال الإمام الرازي: الهمزة استفهام لأجل الإنكار وإنما قال (أيود) ولم يقل أيريد ، لأن المودة هي المحبة التامة... وفي هذه الحالة تنبيهها على الإنكار التام والنفرة البالغة إلى الحد الذي لا مرتبة فوقه.^(٢)
وقال صاحب زهرة التفاسير: (أَيُودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ) هو للإنكار، وهو لإنكار الوقوع أي بمعنى النفي، والمعنى لا أيود أحدكم أن يكون له جنة.^٣
نتتهي من المصادر المذكورة إلى أن الاستفهام هنا للإنكار كل الإنكار وللتحذير عن سوء الخاتمة.

الاستفهامات الدلالية غير الصريحة في سورة آل عمران

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْبِئْكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٤)
محل الاستشهاد: "أَنْبِئْكُمْ بِخَيْرٍ"
المعنى الدلالي غير الصريح: التقرير ، التشويق.

(١) :التحرير والتنوير، ابن عاشور ص ٥٤ ج ٣

(٢) الإمام فخرالدين الرازي ، تفسير الكبير ، ص ٥٢ ج ٤

(٣) : زهرة التفاسير المؤلف: مُجَدِّدُ بَنِ أَحْمَدِ بِنِ مِصْطَفَى بِنِ أَحْمَدِ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي زَهْرَةَ دَارِ النَّشْرِ: دَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، ص ١٢٨

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٥

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي التقريري والتشويقي، ولكن الإمام الفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح به فلذا ثبت دعوانا من المراجع الأخرى:

ذكر سبحانه وتعالى قبل هذه الآية بأن الدنيا شهواتها وزينتها فانيةٌ و ظلٌّ زائلٌ، و في هذه الآية ذكر تقويةً لنفوس المؤمنين بأن هذه النعم لا تختص بهذه الدنيا فحسب بل تجدها عند الله يوم القيامة في الجنة ، لذلك ليطمئن بالكم وليزد سعيكم في طلب الآخرة. بل إن نعم الدنيا مشوبةٌ بالمضارِّ ونعم الآخرة خالصة صافية نافعة. فقال تعالى: قل يا مُجِدِّ - ﷺ - هُوَلاءِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَيْسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، ﴿أَنْبِئِكُمْ﴾ أَخْبِرْكُمْ بِأَحْسَنِ مِنْهَا بِكَثِيرٍ تَجِدُونَهُ عِنْدَ رَبِّكُمْ ؟ مِنْهَا: جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْسٍ وَقَدَارَةٌ الَّتِي تَرَوْنَ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا ، وَأَعْظَمَ نِعْمَةً هِيَ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى أَي رِضَاءٍ لَا سَخَطَ بَعْدَ ذَلِكَ.

ولقد صرح الإمام المفسر الصابوني - رحمه الله - في تفسيره: والاستفهام للتقرير^(١). أي لتقرير الأذهان تجاه النعم الموجودة في الجنة. وقال ابن عاشور :

والاستفهام للعرض تشويقاً من نفوس المخاطبين إلى تلقي ما سيقص عليهم^(٢). نفهم من كلامه أن الله الاستفهام خرج من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي ، والغرض منه تشويق المخاطبين إلى نِعَمِ الجنة وكلِّ ما سيقص عليهم.

خلاصة القول أن الاستفهام هنا خرج عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي:

-التقرير

-والتشويق.

(١): الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص ١٧٢ ج ١

(٢) : ابن عاشور ، تفسيره ، ص ١٨٤ ج ٣

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾^(١)

محل الاستشهاد: "ألم تر إلى الذين"

المعنى الدلالي غير الصريح: "التقرير، التعجيب"

إثبات الدعوى: أن الاستفهام خرج في هذه الآية المباركة عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي التقريري والتعجيب، كما سنفصل تفصيلا قريبا إن شاء الله - تعالى - ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك لذا نضطر إلى البحث في المراجع الموثوقة.

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أعني التقرير والتعجيب.

ذكر في هذه الآية من بعض الأفعال الشنيعة لأحبار اليهود هو الاستكبار والإعراض عن أحكام الله - تعالى - والمراد من قوله - تعالى - ﴿الذين أتوا نصيبا من الكتاب﴾ هو أحبار اليهود، الذين لديهم حظ وفير من علم التوراة ولكنهم جاحدون لنعم الله - تعالى - كما جاء في تفسير الآية، قد زنى رجل وامرأة من اليهود ذوا الشرف والكرامة، كانوا يعرفون حكم الزنا في التوراة ولكن ما كانوا يريدون تطبيق الحكم، فذهبوا إلى النبي - ﷺ - فرارا من حد الزنا (الرجم)، فأمر النبي - ﷺ - بحكم التوراة، فأنكروا وقالوا مارأينا هذا في التوراة، فلما جرى به، وضع أحدهم الأتملة على آية الرجم، فنبهه عبدالله بن سلام وقال قد أخفوا حكمه، فغضب اليهود بهذا. فقال تعالى (ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب...) تعجيبا من سوء صنيعهم وتقيرا له.

قال ابن عاشور: (ألم تر) للتقرير والتعجيب، وقد جاء الاستخدام في مثله أن يكون الاستفهام داخلا على نفي الفعل والمراد من الاستفهام حصول الإقرار بالفعل ليكون التقرير على نفيه حاثا للمخاطب على

(١) : سورة آل عمران ، الآية: ٢٣

الاعتراف به بناء على أنه لا يرضى أن يكون ممن يجهله^(١) وقد شاركه في إرادة معنى التعجب الألوسي - رحمه الله - فقال: استئناف لتعجب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم^(٢). نفهم من خلال كلام الإمامين بأن الاستفهام هنا في المعنى المجازي ، التقرير والتعجب من أحوالهم الرذيلة. كما شارك الصابوني في قول التعجب الألوسي - رحمه الله - .
فقال الصابوني: ألا تعجب يا مُجَّد من أمر هؤلاء الذين أوتوا نصيباً من الكتاب^(٣). أى أمر يتوجب عليه العجب.

: قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾^(٤)

محل الاستشهاد: " لم تحاجون/ أفلا تعقلون/ فلم تحاجون"

المعنى الدلالي غير الصريح: "التوبيخ ، الإنكار والتعجب ، والتسفيه"

إثبات الدعوى:

ورد ثلاثة استفهامات في الآيتين المذكورتين ، الأول: ﴿لم تحاجون﴾ والثاني: ﴿أفلا تعقلون﴾ والثالث: ﴿فلم تحاجون﴾. ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يذكر نوعية الاستفهام فيهما ، فلذا نذكر بعض المراجع لإثبات الدعوى.

(١) : ابن عاشور ، تفسيره ص ٢٠٨ ج ٣

(٢) : العلامة الألوسي ، روح المعاني ، ص ٤٤ ج ٣

(٣) : صفوة التفاسير ، تفسيره ، ص ١٧٥ ج ١

(٤) : سورة آل عمران الآية ٦٥/٦٦

واعلم أن الاستفهامات الثلاثة هنا استخدمت في معناها المجازي، نزلت هاتان الآيتان في أهل نجران الذين قال عنه - ﷺ - أتمنى أن يكون الحجاب بيني وبينهم حتى لا يروني ولا أراهم بسبب عنادهم ومُماراتهم النبي - ﷺ - اجتمع هؤلاء مع النبي - صلي الله عليه وسلم - وبدأوا يناقشون ، قالت النصراني: إن إبراهيم - عليه السلام - كان نصرانيا ، وقالت اليهود : إن إبراهيم عليه السلام - كان من اليهود. فقال تعالى: كذبتهم وادعيتهم ما ليس لكم به علم ، لم تحاجون في إبراهيم - عليه السلام - ؟ مع أنه أرسل قبل موسى - عليه السلام - بألف سنة، وأرسل قبل عيسى - عليه السلام - بألفي سنة. يا للسافهة ! .. كان إبراهيم - عليه السلام - على الملة الحنفية.

ولا غرو أنكم جادلتم في الماضي بما أنزل إليكم وزعمتم ما زعمتم في التوراة والإنجيل اللذين قد مُنحتم منهما شئ من العلم ولكن فما علمكم بإبراهيم - عليه السلام - ؟ إذن دعواكم باطل ومخدوش لا حقيقة لها. وإلى هذا المعنى أشار الألوسي - رحمه الله - قال الاستفهام هنا للتوبيخ ، وَبَحَّ اللهُ تعالى على هذا الدعوى وأبطله. (١)

وقال الصابوني - رحمه الله - و "ما" استفهامية، والغرض الإنكار والتعجب ثم شرح لماذا حذفت الألف من الهمزة الاستفهامية لتُفَرِّقَ بين ما الموصولة والاستفهامية. (٢)

نفهم من كلام الإمامين بأن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي: الإنكار ، والتعجب من هذه الدعوى المضحكة.

(١): الألوسي ، روح المعاني ص ١٩٠ ج ١

(٢) : الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص ١٨٧ ج ٢

وقوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق

بالباطل وتكتُمون الحق وأنتم تعلمون﴾^(١)

محل الاستشهاد: " لم تكفرون / لم تلبسون"

المعنى الدلالي غير الصريح: "التويخ ، والتعجيز".

إثبات الدعوى:

ورد الاستفهامان هنا في الآيتين: الأول: " لم تكفرون " والثاني: " لم تلبسون "، وكلاهما استفهامان مجازيان :

للتويخ والتعجيز كما تثبهما المصادرُ القادمة.

خرج الاستفهامان هنا عن معناهما الحقيقي إلى معناهما المجازي، المراد من التخاطب هم بنو قريظة وبنو نضير

وقينقاع وأهل نجران، قال - تعالى - : مالسبب الذي جرَّكم إلى إنكار معجزات النبي - ﷺ - مع أنكم

تعانون هذه بكرةً وعشيَّةً، هل تقدرون أن تأتوا بمثل هذه؟ طبعاً لا تقدرون. أو وَبِحُجَّتِهِمْ ، لم تكفرون بوصف

النبي - ﷺ - في التوراة مع أنكم تُقرّون به في قلوبكم لم تمزجون الحق بالباطل مع علمكم بأنه عمل غير

مقبول؟

وقال الألوسي - رحمه الله - : والاستفهام للتويخ والإشارة إلى تعجيزهم عن إقامة العذر في كفرهم كأنه

قيل: هاتوا عذرکم إن أمکنکم^(٢)

نفهم من خلال كلام الألوسي - رحمه الله - أن الله تعالی وَبِحُجَّتِهِمْ على هذا الفعل و أعجزهم عن إتيان

البرهان على كفرهم.

(١) سورة آل عمران، ٧٠/٧١

(٢) الألوسي ، روح المعاني، ص ٢٣١ ج ٢

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)

محل الاستفهام: "أَيَأْمُرُكُمْ"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: الإنكار.

إثبات الدعوى:

إن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي الإنكاري، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، لذلك نراجع المراجع المتعلقة بدعوانا.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ... الآية﴾ ولا يَأْمُرُكُمْ منصوب بسبب عطفه على قوله تعالى ﴿يَقُولُ﴾ معنى الآية: أن النبي ﷺ كان ينهى قريشاً عن عبادة الأوثان والملائكة و أهل الكتاب من عبادة عزيز و عيسي - عليهما السلام - فقالوا له: أنتخذك رباً؟ فقال تعالى إنكاراً على قولهم هذا: لا ينبغي لمن جعله الله نبياً ليدعو الناس إلى عبادة الله تعالى ثم يأمرهم بالشرك واتخاذ الأنداد، وهل يعقل هذا أن يأمر نبي الله المسلمين بالشرك بعد ما منعهم منه!؟

قال: أبو حيان: هذا استفهام إنكار وكونه بعد كونهم مسلمين أفحش وأقبح، إذ الأمر بالكفر على كل حال منكر، ومعناه: أنه لا يأمر بكفر لا بعد الإسلام ولا قبله، سواء كان الأمر الله أم الذي استنبأه الله^(٢).
نفهم من قوله: أن الأمر بالكفر قبيح لذاته، والأمر من ذلك إذا كان للمسلمين، النبي ﷺ - لا بالكفر لا قبل الإسلام ولا بعده.

وقال صاحب التفسير السعدي وأشار إلى نفس هذا المعنى: أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ { أي: يتمتع ويستحيل كل الاستحالة لبشر من الله عليه بالوحي والكتاب والنبوة، وأعطاه الحكم الشرعي أن يأمر الناس بعبادته^١

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٨٠

(٢) أبو حيان ، البحر المحيط، ص ٢٣٤ ج ٣

وقد شاركه في هذا المعنى ابن عاشور - رحمه الله - فقال:

أن أنبياءهم لم يأمرهم به ولذلك عقب بالاستفهام الإنكاري، وبالظرف المفيد مزيد الإنكار على ارتكابهم هذه الحالة^(٢).

نفهم من خلال كلام ابن عاشور أن الأنبياء - عليهم السلام - لم يأمرهم بالكفر وتعقيب الاستفهام الإنكاري خير دليل على هذا.

الخلاصة: أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي الإنكار.

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

محل الاستشهاد: " ومن يغفر الذنوب "

معنى الاستفهام الدلالي: التقرير، الاستفهام بمعنى النفي

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج من مخرج الاستفهام الحقيقي إلى المعنى المجازي " الاستفهام بمعنى النفي ". ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك. فلذا نتقل إلى المراجع والمصادر الموثوقة بها.

الاستفهام هنا ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ خرج مخرج الاستفهام الحقيقي إلى المعنى المجازي أى النفي. معنى الآية: قال الصحابة رضي الله عنهم النبي - صلي الله عليه وسلم - إن بني إسرائيل أكرم وأعز منا على الله تعالى،

نننننن

^١: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي المحقق: عبد الرحمن بن معلا

اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة، ص ٣٧٤

^(٢): ابن عاشور، تفسيره، ص ٢٩٦ ج ٣

^(٣): سورة آل عمران، الآية ١٣٥

لأن الرجل يصبح منهم والذنب الذي ارتكبه ليلاً مكتوبة على أبوابهم ليتوبوا إلى الله ، فنزلت هذه الآية ، تسلية وتعليماً للذي يرتكبون المعصية (الكبائر) تجاه سبحانه وتعالى ويظلمون أنفسهم بسبب ارتكاب هذه المعصية ولكن ثم طلبوا الاستغفار وعمل بالأحكام الشرعية وحزم وعزم عزمًا حديدًا بعدم العودة إليه فالله تعالى يغفر ذنوبه ويرضى عنه. الاستفهام هنا جملة معترضة بين قوله تعالى ﴿ فاستغفروا لذنوبهم ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿ ولم يصروا على ما فعلوه ﴾ معنى "من" الاستفهامية هنا بمبنى النفي أى ما يغفر الذنوب إلا الله. قال ابن عاشور: والاستفهام مستعمل في معنى النفي هنا، بقرينة الاستثناء منه^(١). ما نصل إليه من كلام ابن عاشور أن (من) هنا بمعنى (ما المنفية) والدليل عليه أداة الاستثناء بعده أى لا يغفر الذنوب إلا الله ، وهو الذي يغفر الذنوب ويقبل التوبة.

الخلاصة: أن الاستفهام هنا بمعنى النفي.

وقوله تعالى: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ﴾^(٢)

محل الاستفهام: " أفإن مات أو قتل "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: " الإنكار "

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أقصد الإنكار، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك ، فعلينا أن نحقق الأمر من المراجع المعتمدة لدى المفسرين.

أن الاستفهام قد خرج من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي الإنكار. سبب نزول الآية أن رُماة القوم في غزوة أحد ارتكبوا خطأً اجتهداها وتركوا مكانهم مع أن النبي - ﷺ - أمرهم بالبقاء في المكان مهما حدث ، رمى

(١) ابن عاشور ، تفسيره ص ٩٣ ج ٤

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١٤٤

قميئة الحارثي رسول الله - ﷺ بجرح فشج رأسه وانكسرت ربايعته وجاء ليقنتله - ﷺ - فتقدم مصعب بن عمير صاحب الراية في بدر وأحد وذبت عنه - ﷺ - . ولكن قميئة الحارثي قتله، ظن أنه قد قتل فنادى بأعلى صوت أن مُجداً قد مات. قال بعض المسلمين : ليت يشفع لنا عبد الله بن ابي عند أبي سفيان ! و قال بعض المنافقين: لو كان نبيا لما قتل. فقال تعالى: إن الدين ليس حكرا على أحد، بل دين الله يقي دوما. لأن مُجداً - ﷺ - بشر كسائر الرسل فسينال ما نال الرسل الذين خلوا، التسمك بالدين واجب عند مماته كما أنه واجب في حياته،

لقد ذكر أبو سعود هذا المعنى فقال: قوله تعالى: ﴿أفإن مات﴾ استفهام إنكار لا رتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوّه بموتٍ أو قتلٍ بعد علمهم بخلوّ الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به وقيل الفاء للسببية والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلوّ الرسل قبله سبباً لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سبباً في الحقيقة لثباتهم على الدين^(١) قال أبو البقاء: أفإن مات الهمزة عند سيوييه في موضعها، والفاء تدل على تعلق الشرط بما قبله، وقال يونس: الهمزة في مثل هذا حقها أن تدخل على جواب الشرط تقديره: أتقبلون على أعقابكم إن مات ; لأن الغرض التنبيه أو التوبيخ على هذا الفعل المشروط.^٢

قال المنتجب الهمداني: نفهم من خلال كلام أبي سعود بأن وقوله: {أفإن مات} الهمزة للإنكار دخلت على حرف الشرط، و {مات} مشروط به. {أو قتل}: عطف عليه. {انقلبتم}: جواب الشرط^٣.

(١): أبو سعود ، تفسير أبي سعود ، ص ٩٢ ج ٢

(٢) التبيان في إعراب القرآن المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦ هـ) المحقق : علي مُجَد

البيجاوي الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص ٢٧٨

(٣) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد المؤلف: المنتجب الهمداني (ت ٦٤٣ هـ) حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: مُجَد

نظام الدين الفتيح لناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ -

٢٠٠٦ م عدد الأجزاء: ٦، ص ١٧٦

والفاء في {أَفْإِنْ مَاتَ} معلقة للجملية الشرطية بالجملية قبلها على معنى التسيب والهمزة في موضعها لاستفهام هنا للإنكار.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسَا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾^(١)

محل الاستشهاد: "هل لنا من الأمر من شيء"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الاستفهام بمعنى النفي والإنكار"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج مخرج معنى الاستفهام الحقيقي إلى معنى الاستفهام المجازي الإنكاري. ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك ، ولكننا سنثبت من المصادر الأخرى.

الاستفهام هنا خرج مخرج المعنى الحقيقي للاستفهام ، معنى الآية: لقد ذكر - سبحانه وتعالى - قبل هذه الآية غزوة بدر وما منَّ عليهم من الغلبة على العدو ، ثم ذكر حادثة غزوة أحد التي خالف الرماة فيها أمرَ رسول الله - ﷺ - والمراد من الغم في الآية المتقدمة هو إشاعة قتل النبي - ﷺ - و خبر كسر ربايعته - صلى الله عليه وسلم. أنزل الله - تعالى - بعده ناعسا حتى شُوهِد بعضُ الصحابة - ﷺ - بأن السيف سقط من يدهم، وهناك من خالط النفاق دماءهم بدأوا يتفوهون بكلام الجاهلية نحو: لو كان نبيا لما هزم في الحرب، وقُتل كثير من الصحابة - ﷺ - في هذه الغزوة ومعظمهم من بني خزرج، لما أخبر رئيس المنافقين عبد الله بن سلول قتل بنو خزرج، فقال: استنكاراً وطعنا في رأي النبي - ﷺ - ﴿هل لنا من الأمر شيء﴾ أي لو عمل برائي (ألا نخرج خارج المدينة للقتال) ولكنه لم يعمل بنصيحتي فهذا جزاءه. وقوله هذا كان استنكاراً .

(١) :سورة آل عمران ، الآية ١٥٤

وإليه أشار الإمام فخر الدين الرازي -رحمه الله- في تفسيره فقال: والمعنى: هل لنا من أمر يطاع وهو استفهام على سبيل الإنكار^(١).

نفهم من خلال كلام فخر الدين الرازي بأن قولهم هذا استنكارا وطعنا. وقال بعض المفسرين: القائلون بهذا القول هم المؤمنون المصدقون بقضاء الله - تعالى - ورضاه، فقالوا: الأمر يرجع إلى الله في الأمور كلها وما نحن إلا عبيد له نُؤمر فنتطيع.

قوله تعالى: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقرآن تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾^(٢)
محل الاستشهاد: "فلم قتلتموهم"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التويخ والإلزام"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي الإنكار، ولكن المفسر الإمام ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك ، لذلك نرجع إلى المصادر الأخرى. الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي، معنى الآية: أن اليهود قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- افتراء وكذبا بالتوراة: بأننا قد كلفنا بآلا نؤمن بك وبما أتيتنا إلا بعد ما تقرب إلى الله شيئا وتنزل النار من السماء وتأكل هذا القربان.

كأنهم يشيرون إلى الأمم السابقة والأنبياء السابقين بأنهم جاؤوا بهذه المعجزات فأطاعهم قومهم، كما قدم آدم -عليه السلام- وقرب قربانا لابنيه فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. فقال -تعالى: قل يا محمد -

(١) التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ص ٣٩٥ ح ٩

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١٨٣

ﷺ — قد جاءهم رسلا من قبلك ك زكريا ويحي وعيسي -عليهم السلام- بمعجزات باهرة وظاهرة ولكنهم قتلوهم بدل أن يؤمنوا بهم، فقال تعالى: ﴿فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾، أي إن كنتم صادقين في ادعاءكم فلم قتلتم الأنبياء السابقين مع أنهم نزلوا تحت اقتراحاتكم ومطالبكم؟
ولقد وضع هذا المعنى مُجَّد على الصابوني فقال:

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّبَاتِ قُلْتُمْ أَي قُل لَّهُمْ يَا مُجَّد تَوْبِيخاً وَإِظْهَاراً لِكَذِبِهِمْ: قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ قَبْلِي بِالْمَعْجَزَاتِ الْوَاضِحَاتِ وَالْحُجُجِ الْبَاهِرَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ نَبْوَتِهِمْ وَبِالذِّبَاتِ ادْعَيْتُمْ { فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } أَي فَلِمَ كَذَبْتُمُوهُمْ وَقَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ؟^(١)

لا شك أن كلام الصابوني يوضح بصراحة بأن الاستفهام هنا بمعنى التوبيخ و إلزام القول.
قال صاحب الكشاف في تفسيره:

وقد ألزمهم الله أن أنبياءهم جاءوهم بالبينات الكثيرة التي أوجبت عليهم التصديق، وجاءوهم أيضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم إن كانوا صادقين^(٢).

ظهر من كلام الكشاف بأن الاستفهام هنا للإلزام بأن الانبياء جاءوكم بكل ما تريدون في الماضي ولكن كذبتهم في دعواكم.

وقال صاحب التفسير الوسيط بأنه رد والرد يعني التوبيخ والإلزام فقال: وقد رد الله عليهم بقوله: { قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّبَاتِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }^٣

(١) صفوة التفاسير، الصابوني، ص ٢٢٧ ج ١

(٢) الكشاف، الزمخشري، ص ٤٤٨ ج ١

(٣) : التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الناشر: الهيئة العامة

لشئون المطابع الأميرية، ص ٢٦٤

الاستفهامات الدلالية غير الصريحة في سورة النساء

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(١)

محل الاستفهام: "كيف"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التقريع ، والتوبيخ"

إثبات الدعوى:

الاستفهام هنا خرج من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح به لذلك سنراجع المصادر الأخرى.

الاستفهام هنا في معناه المجازي التقريع، ومعنى الآية: أن الله يأتي بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب، ومعنى «الأمّة» في هذه الآية: غير المعنى المتعارف في إضافة الأمم إلى الأنبياء، فإن المتعارف أن تريد بأمة مُجَّد عليه السلام جميع من آمن به وكذلك في كل نبي، وهى هنا جميع من بعث إليه من آمن منهم ومن كفر، وكذلك قال المتأولون: إن الإشارة «بهؤلاء» إلى كفار قريش وغيرهم من الكفار، وإنما خص كفار قريش بالذكر لأن وطأة الوعيد أشد عليهم منها على غيرهم.

الكلمة الاستفهامية هنا (كيف) إما في موضع الرفع محذوف المبتدأ أى كيف حالهم وإما حال لفعل محذوف (يصنعون) وإما منصوب ب جئنا، كما صرح به محي الدين صاحب إعراب القرآن في تفسيره فقال:

الفاء استئنافية وكيف اسم استفهام، وهى في مثل هذا التركيب تحتمل وجهين لا ثالث لهما، وهما أن تكون خبرا لمبتدأ محذوف، أى: كيف حالهم؟ وثانيهما أن تكون حالا من محذوف، أى: كيف يصنعون؟ وإذا

(١) النساء: الآية: ٤١

ظرف زمان متعلق بهذا المحذوف وجملة جئنا في محل جر بالإضافة ومن كل متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لشهيد وتقدمت عليه، وبشهاد متعلقان بجئنا. وهناك وجه ثالث حكاه ابن عطية عن مكّي، وهو أن «كيف» معمولة لجئنا، (وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَوْلَاءَ شَهِيدًا) الواو عاطفة وجئنا فعل وفاعل وهما عطف على جئنا الأولى ولك جار ومجرور متعلقان بجئنا وعلى هؤلآء متعلقان ب «شهادا» وشهادا حال^(١) وقال الإمام الزحيلي في تفسيره مفسحا عن معنى الاستفهام الدلالي: السؤال عن المعلوم لتقريع السامع وتوبيخه^(٢).

نفهم من خلال كلام الإمام الزحيلي بأن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي التقريع والتوبيخ.

وقد شاركه الإمام المفسر أبو حيان الأندلسي فقال: والاستفهام هنا للتوبيخ، والتقريع^(٣).

الخلاصة: أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي:

- التقريع

- والتوبيخ

(١) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين بن أحمد مصطفى درويش، الناشر: دار الارشاد للشئون الجامعية دمشق بيروت، الطبعة الرابعة، ص ٣٣٢

(٢) التفسير المنير، الإمام الزحيلي، الناشر: دار الفكر (دمشق، سورية) الطبعة: الأولى ١٤١١، ص ١٨٨

(٣) البحر المحيط، أبو حيان، ص ٦٤٤ ج ٣

قوله تعالى: ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾. (١)

محل الاستفهام: "لم تر"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التقرير، والتعجب"

إثبات الدعوى:

الاستفهام هنا خرج من معنى الحقيقي إلى معناه المجازي أقصد التقرير، والتعجب، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك لذا علينا أن نرجع إلى المصادر.

الاستفهام هنا للتعجب، معنى الآية: إن الله تعالى يخاطب نبيه - ﷺ - ألم ينتهي إلى علمك خبر هولاء الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران؟ الذين أعطيناهم حظا من علم التوراة والإنجيل لكنهم لم يعملوا به واستبدلوا دينهم بالكفر ويتمنون لكم الضلالة، أمرهم عجيب من نوعه، وهو العمل بالكفر مع العلم. وفيها معنى التقرير أيضا: قال ابن عاشور:

وجملة ألم تر إلى "الكتاب" جملة يقصد منها التعجب، والاستفهام فيها تقرير عن نفي فعل لا يود المخاطب انتفائه عنه، ليكون ذلك محرضا على الإقرار بأنه فعل، وهو مفيد مع ذلك للتعجب، وتقدم نظيرها في قوله تعالى: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم في سورة آل عمران (٢٣) (٢)

وقد صرح أيضا محمد علي طه في تفسيره: ألم تر: ألم تنظر. فهو تعجب من حال اليهود، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، ويعم كل مؤمن عاقل عنده شيء من التفكير، والتبصر. (٣)

(١) سورة النساء، الآية ٤٤

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ص ٧١ ج ٥

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محمد علي طه الدرّة، الطبعة الأولى، الناشر: دار ابن كثير دمشق بيروت ص ٤٦٩ ج ٢

نستخلص من خلال كلام الإمامين بأن الاستفهام هنا للتعجب وفيه معنى التقرير أيضا. والمتعجب منه إما اليهود وإما النصارى.

– قوله تعالى: ﴿أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾^(١)

محل الاستشهاد: "ألم تر "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التعجب"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا للتعجب كما ذكرنا في الآية السالفة، ولكن الإمام المفسر –رحمه الله – لم يصرح بذلك، فلذلك سنحقق في المصادر المعتمدة لدى المفسرين.

الاستفهام هنا للتعجب من أحوال اليهود، معنى الآية: أن كعب بن أشرف وحيي بن أخطب من اليهود بعد هزيمة قريش في غزوة أحد ذهبوا مع حواريهما إلى كفار قريش وعلى رأسهم أبو سفيان ليتحالفوا ضد المسلمين، فقالت قريش: أنتم من أهل الكتاب ومحمد ﷺ – والمسلمون أيضا من أهل الكتاب فكيف تثق بكم؟ ولكن لو قتمتم بالسجدة لهذين الصنمين (الجبت والطاغوت) وأيضا لو أقرتم بأننا أكثر رشدا وهداية من المسلمين لصدقناكم وحالفناكم. فخرا ساجدين وأقرا بأنكم على سبيل الحق والصرط المستقيم.

فقال –تعالى: أنظر إلى هؤلاء المنتسبين إلى العلم والكتاب (التوراة) كيف ينحنون أمام المشركين وأقوالهم ويشاركوهم في الشرك والقول الشنيع. وإليه أشار ابن عاشور فقال:

أعيد الاستفهام للتعجب من اليهود، الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، بما هو أعجب من حالهم التي مر ذكرها في قوله: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة [النساء: ٤٤] فإن إيمانهم بالجبت

(١) سورة النساء: الآية ٥١

والطاغوت وتصويبيهم للمشركين تباعد عن أصول شرعهم بمراحل شاسعة، لأن أول قواعد التوراة وأول كلماتها العشر هي "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تماثلاً منحوتاً، لا تسجد لهن ولا تعبدهن"^(١)

فنفهم من خلال كلام ابن عاشور بأن إخضاعهم أمام المشركين حتى سجدوا أمام الصنمين يخالف ما جاء في التوراة حيث مُنعوا عن الشرك والسجود لغير الله. فثبت أن الاستفهام هنا للتعجب والمتعجب منه اليهود.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاؤُكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾^(٢)

محل الاستفهام: " كيف "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: " التهويل "

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا مستخدم في معناه المجازي (التهويل) ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك ، فلذا من واجبنا أن نتدارك الأمر بالمراجع الموثوقة.

لا شك بأن الاستفهام هنا في معنى التخويف بما مر سالفاً، ومعنى الآية: أن المنافقين ما كانوا يرضون بما يقضى رسول الله - ﷺ - بالكتاب والسنة ، قضى رسول الله - ﷺ - في قضية وحكم فيها بقتل المتهم، فذهب هؤلاء عند عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- وطلبوا منه إعادة النظر فيها، فغضب عمر -رضي الله عنه- وقضى بما قضى الله ورسوله وقتله، فقال تعالى: فكيف حالهم وماذا يصنعون إذا عاقبهم الله بسبب ذنوبهم؟ فهل لهم

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ص ٨٥ ج ٥

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٢

من مخلص وملجأ؟ وانظروا إلى نفاقهم إذا مُسكوا متلبسا بالجريمة يقدمون الأعذار فيقولون: نحن ما فررنا مما قضيت لنا إلا لأجل الخير والتأليف بين الخصمين، فأجابهم الله تعالى: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾.

فالاستفهام هنا للتحويل والتخويف من حال التي إذا عاقبهم الله تعالى وأخذهم أخذ عزيز مقتدر. كما قال: ابن عاشور: والاستفهام مستعمل في التحويل، كما تقدم القول فيه في قوله تعالى آنفا: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد^(١)

نعرف من خلال كلام ابن عاشور بان الاستفهام هنا للتحويل ، ويشابه هذا الاستفهام الاستفهام الذي مرَّ في قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(٢)

محل الاستشهاد: "ما لكم"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الحث والتحريض"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام الواقع في الآية مستعمل في معناه المجازي ولكن الإمام المفسر ابن عطية-رحمه الله - لم يصرح بذلك فلذا نرجع إلى المصادر الموثوقة.

أن الاستفهام هنا في معناه المجازي أي الحث على الجهاد وخلص المؤمنين من إزعاج الظالمين، معنى الآية: أن بعض المسلمين لم يُؤفَّقوا للهجرة مع النبي - ﷺ - إلى المدينة، فبقوا فيها، وكانوا يتجشمون من مظالم أهل

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ١٠٧ ج ٥

(٢) سورة النساء، الآية ٧٥

مكة، وكان النبي ﷺ - يدعو لهم بالخلاص من أيدي الظلمة، فهنا حرص الله - سبحانه وتعالى - المؤمنين على القتال لخلصهم من أيديهم فقال: (ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال..) أى مالذي خلفكم عن القتال والخلص للضعفاء من المسلمين الذين بقوا في المدينة وصدّهم الكفار عن الهجرة مع أن دواعيها موجودة؟ لأنهم يظلمونهم كل الظلم.

قال النسفي: { وَمَا لَكُمْ } مبتدأ وخبر وهذا الاستفهام في النفي للتنبيه على الاستبطاء وفي الإثبات للإنكار. (١)

نفهم من خلال كلام النسفي بأن الاستفهام هنا في معناه المجازي وهو الحث على الجهاد والتنبيه على التخلف منه وإنكار عليهم بسبب التخلف،

وقال أبو حيان: هذا الاستفهام فيه حث وتحريض على الجهاد في سبيل الله، وعلى تخليص المستضعفين (٢) معنى كلام أبي حيان يتقارب كلام النسفي في أن الاستفهام هنا في معناه المجازي.

وقال صاحب تفسير فتح الرحمن: بأن الاستفهام هنا للتوبيخ ، { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } في طاعة الله، استفهام توبيخ على ترك الجهاد^٣

(١) : تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، الناشر دار الكلم الطيب ، بيروت ، الطبعة

الأولى ١٤١٩ ص ٣٧٤ ج ١

(٢) : البحر المحيط، أبو حيان ، ص ٧١٠ ج ٣

(٣) : فتح الرحمن في تفسير القرآن المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخریجا: نور

الدين طالب الناشر: دار النوادر، ص ٤٦٥

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾^(١)

محل الاستفهام: "من"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "النفي"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي أى : النفي. ولكن الإمام المفسر - رحمه الله - لم يصرح بذلك فلذا نحاول أن نثبت معنى الاستفهام من المصادر الأخرى.

يقول الحق - جلّ جلاله - لنبيه - عليه الصلاة والسلام - حين همّ أن يخاصم عن طعمة بن أبيرق، وذلك أنه سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان، في جراب دقيق، فجعل الدقيق يسقط من خرق فيه، وخبأها عند يهودي، فالتمس الدرع عند طعمة، فلم توجد، وحلف ما أخذها، وما له بها علم، فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها، فقال اليهودي: دَفَعَهَا إِلَيَّ طُعْمَةٌ، وشهد له ناس من اليهود، فقال رهط طعمة من بني ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله أن يجادل عن صاحبنا، وقالوا: إن لم يفعل هلك وافتضح، وبرئ اليهودي، فهمّ رسول الله ﷺ اعتماداً على ظاهر الأمر، ولم يكن له على علم بالواقعة، فنزلت الآية، ﴿هَأَنتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ آيَةَ﴾ لو جادلتم اليوم عن صاحبكم في الدنيا فلا تقدرّون أن تجادلوا عنهم يوم القيامة، ولا محامى له يوم القيامة إلا الله.

فهنا الاستفهام في معنى النفي وهو معناه المجازي أى لا يجادل عنهم يوم القيامة. وبهذا صرح أبو حيان فقال: ومعنى هذا الاستفهام النفي أى: لا أحد يجادل الله عنهم يوم القيامة إذا حل بهم عذابه^(٢).

فنفهم من خلال كلام أبي حيان أن الاستفهام هنا في معنى النفي ومعنى الآية: إذا حل بهم العذاب فلا ناصر ولا محامى لهم إلا الله.

(١) سورة النساء، الآية ١٠٩

(٢) البحر المحيط، أبو حيان، ص ٥٩ ج ٤

قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾^(١)

محل لاستشهاد: "ما"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التقرير، والنفي"

إثبات الدعوى:

كلمة "ما" هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أى التقرير والنفي، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك فلذا علينا أن نراجع بطون الكتب التفسيرية لنثبت.

الاستفهام هنا في معناه المجازي، قال - تعالى: قبل هذه الآية، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ في هذه الآية يبين - سبحانه وتعالى - أن المقياس لديّ - سبحانه وتعالى - لتعذيب الناس عدما و وجودا هو كفرهم لا غير، لأن الله - تعالى - ليس كملوك الدنيا الذين يتتقمون لأنفسهم أو يعذبون الناس لجلب المنفعة أو دفع المضرة، بل إن الله - ﷻ - منزه عن هذا وذاك وهو غني حميد لا يقوم بهذه الأفعال الشنيعة بذاتها، فقال تعالى: أى شئ يفعل بعذابكم وما ينفعه إذا عذبكم بعد أنكم تشكرون نعمه وتوحدونه و لا تشركون به شياً؟

أشار أبو البركات عبد الله في تفسيره إلى هذا فقال:

ثم استفهم مقررأ أنه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ} لله {وَأَمْتُمْ} به.^(٢)
المفهوم من كلام أبي البركات أن الاستفهام هنا للتقرير أن تعذيبكم لا يرجع بفائدة إلى الله - تعالى -

(١) سورة النساء، الآية ١٤٧

(٢) : تفسير النسفي، أبو البركان عبد الله، ٤٠٩، ج ١

وقال أبو حيان:

وهذا استفهام معناه النفي أى: ما يعذبكم إن شكرتم وآمنتم. والمعنى: أنه لا منفعة له في ذلك ولا حاجة، لأن العذاب إنما يكون لشيء يعود نفعه أو يندفع ضره عن المعذب، والله تعالى منزه عن ذلك^(١) خلاصة قول الإمام بأن الاستفهام هنا للتقرير ثم أكده بالنفي على أبلغ وجه، أى لا منفعة ولا خير ولا حاجة لله تعالى بتعذيبكم.

وقال أبو سعود في تفسيره:

استئناف مسوق لبيان أن مدار تعذيبهم وجوداً وعدمياً إنما هو كفرهم لاشئ آخر فيكون مقررماً لما قبله من إثابتهم عن توبيبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على أبلغ وجهٍ وأكده أى شئ يفعل الله سبحانه بتعذيبكم أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثأر أم يستجلب به نفعاً أم يستدفع به ضرراً كما هو شأن الملوك وهو الغنى المتعالى عن أمثال ذلك^(٢).

لقد ظهر من كلام أبي سعود أن مقياس التعذيب عند أهل الدنيا تسكين للنفس أو جلب للمنفعة العادية ودفعة للمضرة، فالله - تعالى - برئ من هذا كله بلا شك ، فلذا جاء "ما" الاستفهامية المفيدة لتقرير الكلام وأكدته بالنفي.

(١) البحر المحيط، أبو حيان، ص ١١٤ ج ٤

(٢) تفسير أبي سعود، أبو سعود، ص ٢٤٧ ج ٢

الاستفهامات الدلالية غير الصريحة في سورة المائدة

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَانُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾^(١)

محل الاستفهام: "أهؤلاء"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التعجب ، والاستهزاء"

إثبات الدعوى:

الأمر جلي بأن الاستفهام هنا في معناه المجازي ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك ، فلذا نحاول إثباته عن المصادر المتعلقة بالتفسير .

الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أعني التعجب، معنى الآية: لما أجلى بنو النضير تأسف المنافقون على فراقهم، وجعل المنافق يقول لقربيه المؤمن إذا رآه جادا في معاداة اليهود: هذا جزاؤهم منك طال، والله ما أشبعوا بطنك، فلما قتلت قريظة لم يُطق أحدٌ من المنافقين ستر ما في نفسه، فجعلوا يقولون:

أربعمائة حصدوا في ليلة؟ فلما رأى المؤمنون ما قد ظهر من المنافقين قالوا: أهؤلاء أى المنافقون الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم؟ والمعنى: يقول بعضهم لبعض تعجبا من حالهم إذ أغلظوا بالأيمان للمؤمنين إنهم معكم، وإنهم معاضدوكم على اليهود، فلما حل باليهود ما حل ظهر من المنافقين ما كانوا يسرون في قلوبهم من موالاتة اليهود والتمائل على المؤمنين. هذا إذا جعلت القائل في (يقول) المومنون و في (معكم) أيضا، ويحتمل أن القول للمؤمنين والخطاب لليهود، ثم يكون الخطاب في قوله: إنهم لمعكم لليهود، لأن المنافقين

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٣

حلفوا لليهود بالمعاهدة والنصرة. فقالوا ذلك لليهود يجسروهم على موالاته المنافقين، وأنهم لن يغنوا عنهم من الله شيئاً، ويعتبطون بما من الله عليهم من إخلاص الإيمان وموالاته اليهود. قال أبوحيان:
والمعنى: يقول بعضهم لبعض تعجبا من حالهم إذ أغلظوا بالإيمان للمؤمنين إنهم معكم، وإنهم معاضدوكم على اليهود^(١)

ففهم من خلال كلام أبي حيان أن الاستفهام هنا للتعجب من حال المنافقين الذين خلط النفاق بدمائهم، وقوله (تعجبا) خير دليل على هذا.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: "هل"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "النفى"

إثبات الدعوى:

الاستفهام هنا ليس في معناه الحقيقي بل تجاوزه إلى المعنى المجازي أعني النفى، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك لذا نتوسع في الاستدلال.

الاستفهام هنا في معناه المجازي أعني النفى، ومعنى الآية: أن اليهود والنصارى كانوا يعيرون المؤمنين بإيمانهم وبما أنزل الله تعالى في كتابه من الأحكام، فقال -تعالى-: قل يا محمد -ﷺ- هؤلاء اليهود والنصارى يعيرونكم بأنكم أمتهم بالله وبما أرسل إليكم؟ من قال بأنه عيب؟ بل العيب الحقيقي الوقوع في الفسق وأنتم واقعون فيه. الاستفهام هنا في معناه المجازي أعني النفى باتفاق العلماء البلاغيين، لأن كل استفهام وقعت بعده أداة من أدوات الاستثناء فهو في معنى النفى، فلذا لم أرجع إلى إثباته من المراجع.

(١) البحر المحيط، أبوحيان، ص ٢٩٤ ج ٤

(٢) سورة المائدة، الآية ٥٩

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)

محل الاستشهاد: "أفلا يتوبون"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: التوعيد والتعجب.

إثبات الدعوى: الاستفهام في الآية المذكورة خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أقصد التوعيد والتوبيخ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، لذا نحاول إثباته من المصادر المعتبرة. واعلم أن الاستفهام هنا في معناه المجازي أى بمعنى التوعيد والتعجب من أحوالهم، ومعنى الآية: أن الله تعالى ذكر عقيدة النصارى، بأنهم يشركون بالله و هو وحده لا شريك له في الكون وتديره، ثم وعد منهم الذين لم يتوبوا بوعيد عذاب يكون فريدا من نوعه في الألم، في الدنيا : من القتل والسي ، وفي الآخرة في النار، ثم قال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ يعني بعد الكفر وإصرارهم عليه ألا يستحقون بأن ينادوا إلى الله - عزوجل؟ من رجع إلى الله بعد ما كان مذنباً فالله - تعالى - يغفر الذنوب جميعاً لأنه رحيم. ووعدهم أيضاً: من لم يتب ذاق عذاب جهنم.

وإلى هذا المعنى أشار النسفي - رحمه الله - في تفسيره فقال:

ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم^(٢)

(١) : سورة المائدة، الآية: ٧٤

(٢) : النسفي ، أبوالبركات عبد الله، ص ٤٦٥ ج ١

وقال أبو سعود في تفسيره:

{والله عَفُورٌ رَّحِيمٌ} جملةٌ حاليةٌ من فاعلٍ يستغفرونه مؤكّدةٌ للإنكار والتعجيب من إصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم إلى الاستغفار أى والحال أنه تعالى مبالغٌ في المغفرة فيغفّر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ^(١)

فعرفنا من خلال كلام الإمامين بأن الاستفهام هنا بمعنى التعجب من إصرارهم على الكفر وعدم الرجوع إلى الله.

قال صاحب جلالين: {أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه} مما قالوا استفهام توبيخ.^٢

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ^(٣)

محل الاستشهاد: "أتعبدون"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التبكيك والإلزام"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا في المعنى المجازي لا الحقيقي أعني التبكيك والإلزام، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله - لم يصرح بذلك، لذلك نرجع إلى المراجع الموثوقة.

الاستفهام هنا في معناه المجازي، ومعنى الآية: أن الله -تعالى - خاطب النصارى ، لأنهم كانوا يعبدون المسيح -عليه السلام- فقال: أن البشر ضعيف وأعماله مخلوق لله -تعالى - كلها، والعبد لا يقدر بشيء إلا بعد ما يأذن الله تعالى به، وهو لا يقدر بجلب المنفعة ولا دفع المضرة إلا بحكم الله تعالى. فالذي لا يستطيع أن يدفع

^(١) : تفسير أبي سعود ، أبو سعود ، ص ٦٧ ج ٣

^(٢) : تفسير الجلالين المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى، ص ٢٤٠

^(٣) : سورة المائدة ، الآية ٧٦

المضرة عن نفسه ولا يتمكن من جلب المنفعة لنفسه فكيف تعبدونه وتتمنون منه الخير والشر؟ فالله -تعالى - هو وحيد في نزول المصاعب على العباد من القحط والمرض والحرمات وهو الذي يوسع له في الرزق والمال والصحة.

وهذا المعنى ذكره محي الدين بن أحمد في تفسيره فقال:

كلام مستأنف مسوق لأمر النبي ﷺ بتبكيتهم وإلزامهم بالحجة. وقل فعل أمر، والهمزة حرف استفهام تويخي تعجبي. (١)

فنعرف من خلال كلام محي الدين بن أحمد بأن الله -تعالى - أبكتهم في ما يعتقدون وألزمهم إلزاماً بهذا الاستفهام.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَحْنُ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾. (٢)

محل الاستشهاد: "ما"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الإنكار"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أعني الإنكار، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك فلذا نراجع المصادر الموثوقة.

الاستفهام في الآية مجازي أى لإنكار و استبعاد لانتهاء الإيمان مع وجود موجبه وهو الطمع، معنى الآية: إن الله -تعالى - وازن بين اليهود والنصارى في الآية السابقة وفضل النصارى على اليهود كونهم ليّن القلوب

(١) : إعراب القرآن وبيانه، محي الدين بن أحمد، ص ٥٣٧ ج ٢

(٢) سورة المائدة، الآية : ٨٤

وأكثر رغبة إلى الإسلام وأهله، أما اليهود فقد تساوى بينهم وبين مشركي مكة في قساوة القلب وعداوة للمؤمنين بل هم أشد منهم عدواة من اليهود تجاه المسلمين. النصارى إذا سمعوا من القرآن شيئاً فاضت عيناه وامتلأت من الدموع من رقة القلب فإذا رجعوا إلى أصحابهم لا موهم على هذا ، فأجابوا: مالذي يمنعنا عن البكاء والإيمان بعد كل هذه البراهين القاطعة في وحدانيّة الله تعالى وبعد كل ما نرجو من دخول الجنة مع النبي - ﷺ - وأصحابه، فهذا سبب قوي يجزنا إلى الايمان والميلان إلى المسلمين.

وإلى هذا المعنى أشار معظم المفسرين ومنهم صاحب البحر المديد أبو العباس أحمد بن محمد فقال:
وهذا منهم استفهام إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام الداعي، وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين، والدخول في مداخلهم^(١).

فنفهم من خلال كلام المفسر أن الاستفهام هنا لإنكار واستبعادهم انتفاء الإيمان مع وجود هذه الدواعي القوية.

(١) الدكتور حسن عباس زكي الطبعة ١٤١٩ ص ٧٠ ج ٢: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، الناشر:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالَوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(١)

مع الاستشهاد: "ماذا"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التوبيخ ، والتقريع"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أعني التوبيخ والتقريع، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك، فلذا نثبتته من المراجع القوية الأخرى.

كلمة "ماذا" الاستفهامية هنا في معناها المجازي، قال الزمخشري في تفسيره: وماذا منتصب بأجبتم انتصاب مصدره، على معنى: أى إجابة أجبتم. ولو أريد الجواب لقليل: بماذا أجبتم. فإن قلت: ما معنى سؤالهم؟ قلت: توبيخ قومهم، كما كان سؤال المؤودة توبيخاً للوائد.^٢ وذكر نفس المعنى صاحب نواهد الأبيكار:

(مَاذَا أُجِبْتُمْ) مبهماً أجاب بقوله (إِذْ قَالَ ...) إلى آخر السورة بياناً وتفصيلاً لذلك الجمل، وأوضح أنّ الجواب كان جواب رد لا قبول، ولهذا قال: والمعنى أنه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ، يدل كلامه هذا أن الله يوبخ الكفرة في نفس اليوم،^٣ معنى الآية: أن الله -تعالى- يجمع الكافرين يوم القيامة ثم يقدم السؤال إلى الأنبياء على رؤوسهم إهانة لهم، ماذا عملوا وأحدثوا بعدكم؟ وهذا السؤال لِيُؤَبِّخَهُمْ على ما وصفوا به الأنبياء من السحر والجنون، فيجيبون: نحن نؤكل الأمر إليك وإلى علمك - سبحانه وتعالى- أنت أعلم منا بأحوالهم.

جواب الأنبياء يدل على ثقة بعلمه -تعالى- مع أنهم يعرفون ما فعلوا في حياتهم من البدع والكفر، فقط أرادوا توبيخهم وتقريعهم بأعمالهم القبيحة.

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٩

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) (المؤلف: أبو القاسم محمود

بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، ص ٣٩٢

(٣) : نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين

السيوطي (ت ٩١١ هـ) الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراة)

قال أبو سعود: مَاذَا أُجِبْتُمْ والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم^(١)

فثبت من خلال كلام أبي سعود بأن أداة الاستفهام للتوبيخ على الأقوال التي يتكلمون بها في حق الأنبياء، والتوبيخ بأن الله - تعالى - مع علمه الكامل يسئل الأنبياء والأنبياء يشهدون عليهم ، هل هناك أكبر من هذا التوبيخ!؟

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: "هل"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الاستبعاد، أو التثبيت والإطمئنان"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا في معناه المجازي أقصد إن كان القول للكفار فللاستبعاد وإن كان من المؤمنين فبمعنى تحصيل الإطمئنان ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذا نحاول إثباته. الاستفهام هنا في معناه المجازي وترك معناه الحقيقي، معنى الآية: أن الحواريين سئلوا عيسى - عليه السلام - هل يستطيع ربك أى يمكنك أن تسأل ربك سؤالاً عن المائدة أن ينزلها علينا؟ السائل هنا في السؤال إن كان كافراً فلا شك أنه يسئل عن الشك في هذا الفعل حتى في قدرته تعالى، وإن كان من المؤمنين المخلصين فالسؤال يدل على حصول الإطمئنان والتثبيت كقول إبراهيم - عليه السلام - ﴿أرني كيف تحيي الموتى﴾. ولكن الراجح إلى الدارس بأن السؤال صدر من الكافرين، لأن قول عيسى - عليه السلام - يدل على ذلك حين قال: ﴿قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ أى اتقوا في ذاته و قدرته تعالى ، لأن الله تعالى لا يعجزه شيء وهو قادر مطلق.

(١) تفسير أبي سعود، أبو سعود، ص ٤٠٦ ج ٢

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٢

هذا المعنى ذكر تقريبا معظم المفسرين فلذا ما أتيت بمراجع من التفاسير.

قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْلِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١)

محل الاستفهام: "أنت"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التقرير"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا للتقرير، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذا نثبتته من المراجع الأخرى.

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، ومعنى الآية: إن النصارى عبدوا عيسى - عليه السلام - ثم نسبوا عبادتهم إلى حكم نبيهم عيسى - عليه السلام -، فيسأل - سبحانه وتعالى - عيسى - عليه السلام - بعد رفعه إلى السماء ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمِّي إهْلِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. مع أنه - تعالى - يعرف بأن عيسى عليه السلام لم يفعل ذلك، سئله ليكون تقريراً لعيسى - عليه السلام - وتوبيخاً للمتسبين هذا القول إلى عيسى - عليه السلام.

قال صاحب الجلالين: {و} اذكر {إذ قال} أي يقول {الله} لعيسى في القيامة توبيخاً لقومه {يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمِّي إهْلِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قال} عيسى وقد أُرعد.^٢

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٦

(٢) تفسير الجلالين المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)

الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى عدد الصفحات: ٨٢٧

والهمزة هنا للتقرير كما صرح به أبو حيان وذكر في مثال الهمزة إذا كانت للتقرير فقال: وقد يصحب الهمزة التقرير: أنت قلت للناس؟^(١)

فنفهم من خلال كلام أبي حيان الهمزة هنا للتقرير ليست للإنكار ولا التهديد، لأن عيسى - عليه السلام - لم يقم بهذا العمل ولم يأمر أحدا بعبادته وعبادة أمه حتى يستحق الإنكار والتهديد.

الاستفهامات الدلالية غير الصريحة في سورة الأنعام

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّانُهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ...﴾^(٢)

محل الاستشهاد: " ألم "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: " التوبيخ والتقرير "

إثبات الدعوى: أن الاستفهام في الآية المذكورة خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي أعني التقرير والتوبيخ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك ، فلذا نرجع إلى مصادر تثبت دعوانا. الاستفهام هنا مستخدم في معناه المجازي، في معنى التقرير والتوبيخ: ومعنى الآية: إن الله تعالى يخاطب الكفار الذين جحدوا نعمة الله وكفروا به توبيخا وتقريراً لهم فقال: بمن وبما تتكلمون وتستندون؟ انظروا إلى الأتوم السالفة قبل مائة سنة، هل ترى منهم أحدا؟ هم الذين كانوا يعيشون في سعة من العيش والرغد، بين الخصب والريف والثمار. ولكنهم كفروا بالله وجحدوا نعمة فأهلكهم الله وجاء بأقوام أحسن منهم في الطاعة

(١) -: البحر المحيط، أبو حيان، ص ٧٥ ج ٢

(٢) -: سورة الأنعام ، الآية: ٦

، فالله غني لا يحتاج إلى أحد. يجب عليكم أن تتعظوا بهم وتعتبروا وإلا لن تكون عاقبتكم أحسن من هؤلاء السابقين.

قال أبو سعود مؤضحا لهذا المعنى . الهمزة الإنكاري لتقرير الرؤية وهي عرّفانية مستدعية لمفعول واحد^(١) نفهم من خلال كلام أبي سعود أن الهمزة هنا لتقرير الرؤية في قوله تعالى: " ألم يروا " . والمراد من الرؤية العلم والعرّفان الذي يتعدى إلى مفعول واحد.

وقال محي الدين بن أحمد في تفسيره: والهمزة للاستفهام التقريري والتوبيخي في وقت واحد^(٢). نفهم من خلال كلام محي الدين بن أحمد بأن الاستفهام هنا يفيد معنّان في حين واحد، ألا هما: التقرير للرؤية والتوبيخ لهؤلاء الكفرة.

خلاصة القول: أن الاستفهام هنا استخدم في معنيين:

-التقرير.

-التوبيخ.

(١) :تفسير أبي سعود ، أبو سعود، ص ١١٠ ج ٣

(٢) :إعراب القرآن وبيانه، محي الدين بن أحمد ص: ٦٦ ج ٣

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.﴾^(١)

محل الاستشهاد: "أغير الله"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التوبيخ"

إثبات الدعوى:

الاستفهام الوارد في الآية خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أعني التوبيخ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك. لذا نرجع إلى المصادر الأخرى لثبته.

لاريب أن الاستفهام هنا في معناه المجازي " التوبيخ "

معنى الآية: هل تطالبونني بأن أجعل الأصنام والأحجار معبودا وناصرا؟ مع أن ربي الذي أبدع في خلق السموات والأرض ، و يرزق الخلائق كلها من الإنس والجن والحيوانات جميعا ، وبرئى من كل ما يحدث العجز والخلل من الطعام والشراب، وهل معبودكم يقدر ويجمع هذه الصفات الكمالية؟ بل كل ماتعبدونه هو لا يملك لكم النفع والضرر، إذا كان هذه حال معبوداتكم فكيف تأمروننا باتخاذهم معبودا وناصرا؟ وقال أبو حيان وأجلى هذا المعنى:

أمر تعالى نبيه أن يقول لهم ذلك على سبيل التوبيخ لهم أى من هذه صفاته هو الذي يتخذ وليا وناصرا ومعينا لا الآلهة التي لكم، إذ هي لا تنفع ولا تضر لأنها بين جماد أو حيوان مقهور، ودخلت همزة الاستفهام على الاسم دون الفعل لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي كقولك لمن ضرب زيدا وهو ممن لا يستحق الضرب بل يستحق الإكرام أزيدا ضربت، تنكر عليه أن كون مثل هذا يضرب^(٢).

(١) -سورة الأنعام، الآية: ١٤

(٢) -البحر المحيط، أبو حيان، ص ٤٥٢ ج ٤

فنفهم من كلام أبي حيان أن الاستفهام هنا للتوبيخ أى وَبِحَتْمِهِمْ بأن معبودي مجمع الصفات ومعبودكم مجمع السيئات فكيف تسوون بينهما؟ ثم ذكر نقطة: أن الاستفهام دخل على الاسم (غير) لا على الفعل (أخذ) لأن التوبيخ على اتخاذ الآلهة غير الله لا اتخاذ الأولياء مطلقاً.

ونحج منهجه الصابوني في تفسير همزة الاستفهام فقال: (قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا) الاستفهام للتوبيخ أى قل يا مُحَمَّدٌ هؤُلاءِ المشركين أغير الله أأخذ معبوداً؟^(١)

كلامه ظاهر في المراد لأزيد عليها

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٢)

قوله تعالى: انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٣)

محل الاستشهاد: "أين" كيف "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التوبيخ"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام الواقع في الآية خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله لم يصرح بذلك فلذا نرجع إلى المصادر الأخرى.

الاستفهام هنا في معناه المجازي أعني التوبيخ، معنى الآية: اذكر يا مُحَمَّدٌ - ﷺ - يوم نجح هؤُلاءِ المشركين علي رءوس الأشهاد يوم القيامة، ثم نسئلهم توبيخاً لهم وتزجيلاً ، أين شركاءكم الذين جعلتموها آلهة دون الله وتزعمونها معبوداً؟ فادعوهم الآن إن كنتم صادقين في ادعائكم، إذا رأوا أن آلهتهم قد غابت وتخلفت ولم تساعدهم فاضطروا إلى الكذب فقالوا: والله يارب ما أشركنا بك شيئاً. ثم خاطب - سبحانه وتعالى - نبيّه:

(١) -صفوة التفاسير، مُجدلي الصابوني، ص ٣٥٣ ج ١

(٢) -سورة الأنعام، الآية: ٢٢

(٣) -سورة الانعام، الآية ٢٤

أنظر كيف كذبوا أنفسهم في ادعائهم الماضي وأنكروا الشرك بالله - عزوجل - إنكاراً، وهذا التعجب من كذبهم الصريح، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ويشركون بالله .

والاستفهام هنا في الآية الأولى "أين" للتوبيخ والزجر بسبب إشراكهم ، قال الصابوني: ونسبه قوله إلى الإمام البيضاوي فقال: قال البيضاوي: والمراد من الاستفهام التوبيخ و {تَزْعُمُونَ} أى تزعمونهم آلهة وشركاء مع الله^(١)

والاستفهام في الآية الثانية "كيف" في معنى التعجب بسبب كذبهم الصريح أمام الله تعالى ، قال الصابوني أيضاً: وهذا التعجب من كذبهم الصريح^(٢).

فنفهم من كلام المفسرين -رحمهما الله- بأن الاستفهام هنا خرج عن معناها الحقيقي، الأول في معنى التوبيخ والثاني في معنى التعجب.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٣)

محل الاستشهاد: " أليس "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: " التوبيخ والتهكم "

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أعني التوبيخ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله- لم يصرح بذلك فلذا علينا أن نرجع إلى المصادر المعتمدة.

^(١)صفوة التفاسير، الصابوني، ص ٣٥٦ ج ١

^(٢)صفوة التفاسير ، الصابوني ، ص٣٥٦ ج ١

^(٣)سورة الأنعام، الآية ٣٠

واعلم أن الاستفهام هنا بمعنى المجازى التوييخ ، والتهكم ، والاستهزاء بما وعدهم الله من وعد ووعيد، معنى الآية: لما ذكر إنكارهم البعث أعقبه بوصف حالهم حين يحشرون إلى الله ، وهى حال البعث الذي أنكروه. ولو رأيت حالهم يا مُجَّد - ﷺ حين حسبوا بحكم الله - تعالى - يوم البعث لرأيت أمرا عظيما هائلا، ﴿قال ليس هذا بالحق﴾ جملة استنافية كأنها وقعت في جواب سؤال مقدر، ماذا حدث بعد حبسهم؟ فأجاب: إن الله - تعالى - سألم توييخا : أليس هذا البعث حقا الذي تنكرونه وتكذبونه؟ فيجيون بلى برنا إنه هو الحق لا وراء فيه.

قال أبو حيان :وذلك مجاز عن الحبس والتوييخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاقبه^(١) نفهم من خلال كلام أبي حيان أن الاستفهام هنا في معناه المجازي أى التوييخ، وشبههم بالجاني الذي وقف بين يدي سيده ليعاقبه. وقال أبو حفص سراج الدين في تفسيره: والمقصود من هذا الاستفهام التهكم والتوييخ على استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده^(٢).

نفهم من خلال كلام المفسر أن الاستفهام فيه تهكم وتوييخ، وسبب التوييخ أنهم كانوا يستهزؤون بوعد الله ووعيده.

(١) البحر المحيط ، أبو حيان ، ص ٤٨٠ ج ٤

(٢) : اللباب في علوم القرآن، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي والدمشقي ، الناشر: دار الكتب العلمية،

بيروت/ لبنان ، الطبعة الأولى، ص ١٧٨

قوله تعالى: وما الحياة الدنيا إلا لعب وهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون^(١)

محل الاستشهاد: "إفلا تعقلون"

معنى الاستفهام الدلالي الغير الصريح: الزجر والتوبيخ

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي ولكن الإمام المفسر ابن عطية رحمه الله لم يصرح بذلك فلذا نحاول أن نثبت دعوانا بالمراجع الموثوقة.

هذه الآية فيها رد على قول المشركين الذي ذكر قبل هذه الآية: "ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين" قال تعالى: هذه الدنيا هو ولعب لا يخذعك لموع السراب أليس فيكم ما يجركم على التفكير قليلا عليكم أن تعقلوا. قال ابن عاشور ف تفسيره: والاستفهام عن عدم عقلهم مستعمل في التوبيخ إن كان خطابا للمشركين، أو في التحذير إن كان خطابا للمؤمنين^(٢)

فكلام ابن عاشور يدل بصراحة بأن الاستفهام هنا مستعمل في معناه المجازي إما للتوبيخ وإما للتحذير كما مر سالفًا.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣)

محل الاستشهاد: "أرأيتكم"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التبكيث"

إثبات الدعوى: الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي التبكيث ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك ، فلذلك نرجع إلى المصادر المتينة.

(١) :سورة الأنعام الآية ٣٢

(٢) :التحرير والتنوير ص ١٩٥ ج ٧

(٣) :سورة الأنعام ، الآية: ٤٠

سنتبت بأن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي أقصد التبكيث واستدراج المخاطبين، ومعنى الآية: إن أتاكم عذابُ الله أو خفتهم هلاكاً أو جاءت الساعة أتخصون أهتكم بالنداء كعادتكم عندما يصيبكم الضراء؟ استدرجهم ليقرؤوا ثم يلزمهم دعواهم، ثم قال تعالى: أعرف جوابكم بأنكم تدعون الله لا سواه.

وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف فقال: ثم بكتهم بقوله ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ بمعنى أتخصون أهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضرر، أم تدعون الله دونها؟^(١)

فنفهم من خلال كلام الزمخشري بأن الاستفهام هنا في معناه المجازي التبكيث أى بأن يُبَكِّتَهُمْ وَيُلْقِمَهُمُ الْحَجَرَ بما لا سبيل لهم إلى النكير.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢)
محل الاستشهاد: "أغير الله تدعون"

معنى الاستفهام الدلالي الغير الصريح: "التبكيث والتعجيب"

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه الدلالي الغير الصريح ولكن الإمام المفسر ابن عطية رحمه الله لم يصرح بذلك، إذن علينا أن نراجع المصادر حتى نصل إلى معنى الاستفهام.

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي، معنى الآية: أن الله تعالى لو سلط عليكم عذاباً من عنده فهل هناك من تطلبونه للنصرة سواه؟ كأن تعجب من عملهم هذا، والأليق بالمؤمنين أن يرجعوا إلى الله في السراء والضراء، ولكن الإمام المفسر ابن عطية رحمه الله لم يصرح بذلك في تفسيره ولكن الصابوني رحمه الله قد صرح بهذا المعنى فقال: تعجب أي أخبروني إن أتاكم عذاب الله كما أتى من قبلكم أو أتتكم القيامة بغتة من تدعون؟

(١) : الكشاف ، الزمخشري ، ص ٢٢ ج ٢

(٢) : سورة الأنعام ، الآية: ٤٠

{أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أي أتدعون غير الله لكشف الضر عنكم؟ إن كنتم صادقين في أن الأصنام تنفعكم^(١).

فكلام الصابوني يدل بأن الاستفهام هنا في معناه المجازي التعجيب وقيل بمعنى التبكيت والإنذار

قوله تعالى: ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: "هل"

معنى الاستفهام الدلالي الغير الصريح: "الإنكار بمعنى النفي"

إثبات الدعوى

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أقصد الإنكار ولكن الإمام المفسر ابن عطية رحمه الله لم يصرح بذلك ، إذن علينا أن نرجع إلى المصادر الموثوقة لنثبت دعوانا.

أن الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي، معنى الآية : قال تعالى للمكذبين : إن أتاكم عذابي فجأة أو عيانا ف ليلا أو نهارا من يهلك؟ أنتم ستهلكون في هذا العذاب لأنكم قد ظلمتم أنفسكم بالذنوب والمعاصي ومن أعظم المعاصي الشرك بالله، هنا كلمة "هل " للإنكار عليهم ومعنى النفي أي لا يهلكون من هذا العذاب أنتم لأنكم تعاندون، وإلى هذا المعنى أشار الصابوني رحمه الله في تفسيره صفوة التفاسير فقال:

الاستفهام إنكاري بمعنى النفي أي ما يهلك بالعذاب إلا أنتم لأنكم كفرتم وعاندتم^(٣)

ولقد وافق الصابوني ابن عاشور في معنى الإنكار ولكن زاد معنى آخر ألا هو التعجيب من حالهم عندما يطالبون ويستعجلون بالعذاب

(١) :صفوة التفاسير ص ٣٦٢ ج ١

(٢) :سورة الأنعام الآية:٤٨

(٣) :صفوة التفاسير ص ٣٦٢ ج ١

قال ابن عاشور:

وهذا الاستفهام مستعمل في الإنكار عليهم، وفي التعجيب من تعجلهم العذاب بنية أنهم يؤمنون به عند نزوله^(١)

قوله تعالى: قل أئذعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا^(٢)

محل الاستفهام: "أئذعو"

معنى الاستفهام الدلالي الغير الصريح: "الإنكار"

إثبات الدعوي

أن الاستفهام هنا وقع موقع الاستفهام الإنكاري ولكن الإمام المفسر ابن عطية رحمه الله لم يصبر بذلك ، لذلك علينا أن نثبت الأمر من المراجع المتينة.

الاستفهام هنا استعمل في معنى استفهام الإنكاري ، معنى الآية: أن المشركين يحاولون ارتداد بعضهم بعضا من أقرباءهم أو من لهم صلة به، وروي أيضا أن عبدالرحمن بن أبي بكر رضى الله عنه دعا أباه إلى عبادة الأوثان فنزلت هذه الآية، وهذا قول النبي ﷺ وجمع معه المسلمين في الخطاب فقال: هل ندعو غير الله أي نعبده مع أن هذا الغير لا ينفع بشئ ولا يضر وهل تريدون منا أن نرد على أعقابنا مما عليه نحن؟ هذا لا يمكن ولا يقتضيه العقل أيضا.

فالاستفهام هنا للإنكار واليأس وإليه أشار ابن عاشور رحمه الله في تفسيره فقال:

والاستفهام إنكار وتأييس، وجيء- بنون المتكلم ومعه غيره- لأن الكلام من الرسول ﷺ عن نفسه وعن المسلمين كلهم^(٣)

(١) ابن عاشور ص ١٩٢ ج ٧

(٢) سورة الأنعام الآية: ٧١

(٣) التحرير والتنوير ص ٣٠٠ ج ٧

كلام ابن عاشور ظاهر كالشمس لا يخفى، وقال محي الدين درويش في تفسيره:
كلام مستأنف مسوق لبيان حال الذي يدعو إلى عبادة الأصنام، كما سيأتي في باب البلاغة. والهمزة
للاستفهام الإنكاري^(١).

يظهر من كلام محي الدين درويش بأن الاستفهام للإنكار على قولهم ترك الآله الحقيقي الذي بيده الأمر كله
والرجوع إلى الآله الذي لا ينفع ولا يضر.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخَذَ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أراك وقومك في ضلال مبين﴾^(٢)
محل الاستشهاد: "أتخذ"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الإنكار والتوبيخ"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام الواقع في الآية خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي أعني الإنكار والتوبيخ، ولكن الإمام
المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، لذا علينا أن نرجع إلى المصادر حتى نثبتته.

الاستفهام هنا في المعنى المجازي أقصد توبيخ وإنكار إبراهيم - عليه السلام - لأبيه آزر، كما لا يخفى عن
سياق الكلام. معنى الآية أن أب إبراهيم - عليه السلام - كان مهندساً متمرساً وحاذقاً، ونمرود كان يتعلق
بالمهندسة و النجوم ومشغولاً بها، فلذا حظى أب إبراهيم - عليه السلام - منزلة عند نمرود، فكان يصنع
الأصنام ثم يطبعه يخدمها بخدمته يختص به من جانب نمرود، فالناس يعبدون هذه الأصنام، عندما كبر إبراهيم
عليه السلام كان يساعد أباه في مهنته كابن مطيع ولكنه كان يبغض الأصنام ويستخف بها، كان ينادي
بصوت في الأسواق، من أراد أن يشتري صنماً لا يضر ولا ينفع فليتنفصل وليشتتر، وأحياناً يقلبه في الماء ليكرع

(١) إعراب القرآن محي الدين درويش ص ١٤٨ ج ٣

(٢) سورة الانعام، الآية: ٧٤

الماء ليظهر حقيقتها على الناس، عندما بُعث نبياً فقال لأبيه: وكان اسمه آزر، أتجعل هذه الأصنام آلهة معبوداً لديك؟ والله إني أرى بعين القلب الحقيقية بأنكم ضللتكم طريق الحق وابتعدتم عنها. فظهر من هذا أن الاستفهام هنا أريد منه التوبيخ حين وَبَّحَ وأنكر إبراهيم -عليه السلام- أباه على هذا العمل القبيح. اختلف المفسرون في كلمة "آزر" من هو؟ هل كان أبوه أم عمه أو اسم للصنم؟ أم آزر صفة أم علم. ضربت عن ذكره صفحا لأنه لا يتعلق ببحثنا. ولكن الراجح عند الجماهير أن آزر كان أباً إبراهيم عليه السلام. وقال الزمخشري: وهو اسم صنم. ومعناه: أتعبد آزرًا على الإنكار؟ ثم قال: أتتخذ أصناماً آلهة؟ تثبتنا لذلك وتقريراً^(١).

فنفهم من كلام المفسر أمرين: أن المراد من "آزر" صنم، وأن الاستفهام هنا مجازي للإنكار.

وقال الإمام النسفي: {أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلهة} استفهام توبيخ أي أتتخذها آلهة^٥.

فنصل من خلال كلام الإمام النسفي إلى أن الاستفهام هنا للتوبيخ أي أراد إبراهيم -عليه السلام- أن يوبَّحَ أباه على عبادة الأوثان ويرغبه إلى عبادة خالق العباد.

﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي

كل شيء علماً أفلا تتذكرون﴾^٥

محل الاستشهاد: "أتحاجوني" أفلا تتذكرون"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الإنكار"

(١) : الكشاف ، الزمخشري ، ص ٣٩ ج ٢

إثبات الدعوى:

أن الاستفهامين هنا في معناهما المجازي أقصد الإنكار، ولكن الإمام المفسر ابن عطية رحمه لم يصرح بهما، فلذا علينا أن نتصفح المراجع حتى نثبت.

أن الاستفهام الواقع في الآية استعمل في معناه المجازي أعني الإنكار الشديد على ما يحتاجون فيه إبراهيم - عليه السلام. معنى الآية: أن قوم إبراهيم بدأوا يناقشون إبراهيم - عليه السلام - في توحيد الله منكرين ووحدانيته - تعالى. فقال إبراهيم - عليه السلام -: أتجاجوني في أمر لا يحتاج إلى المجادلة والمناقشة و مع أنني لا أشك في وحدانيته ولو قيد إنمولة ومقدار ذرة، ولا سيما بعد ما هديني إلى دين الإسلام وجعلني من أهله. فقال له قومه: إن لم تعترف بما نقول ولا تترك متابعة آلهتنا فيمسك بالسوء ، فأجاب : إني لا أخاف معبودا تشركون به سبحانه وتعالى، لأن الله - تعالى - قادر مطلق يفعل ما يشاء ، أما آلهتكم لا تنفع ولا تضر ولا يحمي نفسها لو اجترأ عليه أحد كما كسرتة بالفأس ولم يستطع أحد منهم لينجو بنفسه، ثم قال: "أفلا تذكرون" أى القضية تحتاج إلى قليل من التفكير ستظهر عليكم الحقيقة جليا، كيف تساوون بين من هو قادر على كل شي وبين من لا يقدر على شيء.

وإليه أشار محي الدين بن أحمد في تفسيره فقال: والهمزة للاستفهام الإنكاري.

فكلام المفسر باهر في أن الاستفهام هنا في معناه المجازي أى الإنكار الشديد فيما يفعلون ويقولون،

قوله تعالى: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾^(١)

محل الاستفهام: "كيف"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التعجب والإنكار"

إثبات الدعوى: أن الاستفهام هنا وقع موقع الاستفهام المجازي في معنى التعجب والإنكار، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يبح بذلك، فلذا من الأجدر أن نبحث في المصادر حتى نثبت.

أن الاستفهام هنا في المعنى المجازي، أي التعجب من قولهم أن آهتنا تصيبكم بالسوء، والإنكار عليهم وعلى قولهم، معنى الآية: أن قوم إبراهيم - عليه السلام - لما طالت مجادلتهم مع إبراهيم - عليه السلام - قالوا له: إن لم ترجع عن مطاردة آهتنا ستعودن عليك بالسوء، فأجابه: ياللعجب ولضيعة الفهم! كيف أخاف من معبود لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا. سأدلكم على معبود له الأمر كله ويستحق الخوف لمن يخالفه، ولكنكم لا تخافون منه مع قدرته الكامل فكيف لي أن أخاف آهتكم المنحوتة من الحجر أو مصنوعة من الطين والخشب؟

ولقد وضع هذا المعنى أبو حيان فقال: وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا استفهام معناه التعجب والإنكار كأنه تعجب من فساد عقولهم حيث خوفوه خشبا وحجارة لا تضر ولا تنفع^(٢)

فنفهم من كلام أبي حيان: أن الاستفهام هنا في معنى التعجب والإنكار، كأنه يتعجب من سوء وفساد عقولهم بعد تحويفهم إبراهيم - عليه السلام - من جمادات لا حراك لها.

^(١) سورة الأنعام: الآية: ٨١

^(٢) (١): البحر المحيط، أبو حيان، ص ٥٧٠ ج ٤

وقال أبوسعود في تفسيره: والاستفهام لإنكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عند الله الآية لإنكار الواقع واستبعاده مع وقوعه^(١).

فنفهم من خلال كلام أبي سعود أن الاستفهام هنا للإنكار والمقصود منه النفي الكلي لكلامهم كما قال تعالى في سورة البراءة: "كيف يكون للمشركين عهد عند الله الآية"، أى لا يكون العهد كلياً للمشركين عند الله ورسوله فكذلك معنى الاستفهام هنا ، لا يمكن أن أخاف من معبود لا ينفع ولا يضر وهو من خشب وحجر

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تَوَفَّكُونَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: "أنى توفكون"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التعجب والإنكار"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا في معناه المجازي أعني التعجب والإنكار. ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك، إذن من واجبنا أن نشبه من المراجع التفسيرية.

الاستفهام في الآية المباركة في معناه المجازي أى التعجب عن صدهم عن دين الله والإنكار عليه، معنى الآية: الخالق الذي يشق الحب والنواة ويخرج من السنبل الحبيّ الحضر الحبّ الميت ومن الحب الميت السنبل الحبي الحضر أو يخرج الانسان من النطفة الميتة والنطفة الميتة من الانسان الحبي، هل تتركون هذا الرب والخالق؟

(١) : تفسير أبي سعود ، أبوسعود، ص ١٥٥ ج ٣

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٥

لأري دليلا قويا مهما يكن قويا أن يصرفكم من عبادة الله وإطاعته. وأين تتسكعون أنتم؟ لا تجدون ملجأ سوى الله - تعالى -.

قال ابن عاشور: و(أنى) بمعنى من أين. وهو استفهام تعجبي إنكاري، أى لا يوجد موجب يصرفكم عن توحيده^(١)

وقال الصابوني:

استفهام إنكاري بمعنى النفي أى لا وجه لصرفكم عن الإيمان بعد قيام البرهان^(٢) فنفهم من خلال كلام الإمامين أن الاستفهام هنا في الآية بمعناه المجازي أى التعجب من حالهم بأنهم كيف ساغت لهم أنفسهم بأن يصرفوا من دين الله القادر الخالق الذي أتقن خلقه؟

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

محل الاستشهاد: "ما"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التشكيك والإيقاظ"

إثبات الدعوى:

الاستفهام هنا في معناه المجازي أعني التشكيك والإيقاظ أى التنبه، ولكن لم يصرح به الإمام ابن عطية - رحمه الله - به بسبب الاختلاف الواقع في كلمة "ما" بأنها استفهامية أو نافية والراجح لديه بأنها نافية، نحن سنذكر من المصادر الأخرى بأن كلمة "ما" استفهامية أيضا.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٣٨٩ ج ٧

(٢) : صفوة التفاسير، الصابوني، ص ٣٨١ ج ١

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٩

يقول الحق ﷻ: وأقسموا أى: المشركون، بالله واجتهدوا في إيمانهم، لئن جاءتهم آية ظاهرة يشاهدونها، ليؤمنن بها ومن جاء بها، قل لهم: إنما الآيات عند الله وفي قدرته وإرادته، يظهرها حيث شاء، وليس في قدرتي منها شيء، وما يشعركم أى: وما يدريكم أيها المؤمنون، أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها، لما سبق لهم من الشقاء، وقد كان المؤمنون يتمنون إنزالها حرصًا وطمعًا في إيمانهم، وفيه تنبيه على أنه تعالى إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون بها.

الخطاب في قوله تعالى: " وما يشعركم " للمؤمنين، قال تعالى: وما علمكم إذا أنزلنا من الآيات المطلوبة لديهم أنهم يؤمنون بها، فلذا أيقظهم سبحانه وتعالى ونبههم بأنهم لا يؤمنون ولو جئنا بألف آية. وإلى هذا المعنى أشار ابن عاشور في تفسيره: وما استفهامية مستعملة في التشكيك والإيقاظ^(١) فدلالة كلام ابن عاشور جلي في أن معنى الاستفهام هنا للإيقاظ والتنبيه والتشكيك.

قول

تعالى: ﴿أفغير الله أتبعي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾^(٢).
محل الاستشهاد: " أفغير الله "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: " الإنكار "

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي أعني الإنكار، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، لذا نراجع المصادر حتى تثبتته.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٤٣٧ ج ٧

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٤

الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أى الإنكار على المشركين وعلى ما يقولون، معنى الآية: أن الله -تعالى- خاطب نبيه - ﷺ - قل لهؤلاء هل أطلب غير الله حكماً؟ مع أنه - تعالى- أرسل القرآن المفصل وميّز فيه العث من السمين والحق من الباطل ليفصل بيننا بأنني على الحق وأنتم على الباطل. الأمر لا يحتاج إلى الفصل ، لأنه ظاهر كالشمس. إن لم تتقوا بي اذهبوا إلى أهل الكتاب سيبيئون لكم حقيقتكم وحقيقي ، لأنهم يعرفون كل شئ. ويعرفون أيضا أنني وبكل ما جئت به هو الحق، فبعد كل هذا لماذا تقعون في الشك وتشتككون الناس فيه.

قال محي الدين درويش وكشف الستار عن هذا المعنى: ﴿أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَنْبَغِي حَكَمًا﴾ الجملة عطف على مقدر يقتضيه سياق الكلام، أى قل لهم: أميل إلى زخارف الدنيا فأبتغي حكما؟ والهمزة للاستفهام الإنكاري. (١) فنفهم من خلال كلام محي الدين بأن الاستفهام هنا للإنكار وفي الجملة قول مقدر يدل عليها سياق الكلام أى قل أرغب في متع الدنيا وأبتغي لأجلكم حكما مع أني على علم اليقين لا ينفعه هذا ولو بجميع الآيات؟.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢)

محل الاستشهاد: " أو من "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "للإنكار"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي كما هو ظاهر من معنى الآية إلى المعنى المجازي، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله- لم يصرح بذلك، لذلك علينا أن نرجع إلى المصادر.

(١) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ص ٢٠٣ ج ٣

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢

الاستفهام هنا في المعنى المجازي أعني الإنكار، ومعنى الآية: أن الله - تعالى - شبه الكافر بعد ما أسلم بالحي وشبه الكافر بالميت، فقال - تعالى: مثل المسلم الذي أسلم بعد كفره كمثل ميت أحيينا بنور الإيمان وحقيقته، ومثل الكافر كالميت لاحرك فيه ولا يمكنه الوصول إلى كنه الحقيقة، عند المؤمن نور الإيمان وعند الكافر ظلمات الكفر والضلال وهو يتخبط فيها، فهل يستوي الميت والحي؟ وهل يستوي من يتزين بنور الإيمان ومن يتخبط في ظلمات الكفر؟ كلاً . هنا فرق وبون شاشع بين أمرين. وأيضا قال ابن عباس: نزلت في حمزة وأبي جهل، رمى الرسول بفرث فأخبر بذلك حمزة حين رجع من قنصه ويده قوس، وكان لم يسلم فغضب أبا جهل وهو يتضرع إليه ويقول: سفه عقولنا وسبب أهتنا وخالف آباءنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله؟ وأسلم.

وإلى هذا المعنى أشار محي الدين درويش في تفسيره فقال:

كلام مستأنف مسوق للتمثيل لحال الكافر والمؤمن. والهمزة للاستفهام الإنكاري^(١).

نفهم من خلال كلام المفسر بأن الاستفهام هنا للإنكار وأراد الله بأن يميّز بين الكافر والمؤمن بالمثل.

قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾^(٢).
محل الاستشهاد: " ألم "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التوبيخ والتقريع والإنكار"

(١) - إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ص ٢١٥ ج ٣

(٢) - سورة الأنعام، الآية: ١٣٠

إثبات الدعوى:

الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك، لذلك علينا أن نراجع المصادر الموثوقة.

الاستفهام هنا في معناه المجازي أى التوبيخ لهؤلاء الكفرة الذين كفروا بالله وأنكروا رسلهم، معنى الآية: يخاطبهم -سبحانه وتعالى- أمام الملائكة يوم القيامة تقرّيباً وتوبيخاً، أما جاءكم رسل من الإنس؟ ثم أرسل هؤلاء الرسل من الجن إلى الجن، وبينوا آياتي الواضحة وأنذركم من هذا اليوم وهولِهِ؟ هؤلاء يشهدون على أنفسهم من شدة هول هذا الموقف على أنفسهم فيقولون: نعم نقر بأننا قد قمنا بهذا، والسبب الرئيسي في هذا هو زخارف الدنيا ومتعتها.

الاستفهام هنا في معنى التوبيخ والتقرّيع أى معناه مجازي، قال الصابوني -رحمه الله:

النداء هنا يوم القيامة والاستفهام للتوبيخ والتقرّيع أى ألم تأتكم الرسل يتلّون عليكم آيات ربكم؟^(١)

وقال الزمخشري -رحمه الله: يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ وقال أيضاً: لأن الهمزة الداخلة على نفى إتيان الرسل للإنكار، فكان تقريراً لهم^(٢).

كلام المفسرين ظاهر في مراد الاستفهام، بأنه للتوبيخ والتقرّيع، ولكن الزمخشري زاد بأن الاستفهام هنا تقرير للنفي الواقع في الآية.

(١) -صفوة التفاسير، الصابوني، ص ٣٨٩ ج ١

(٢) -الكشاف، الزمخشري، ص

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾^(١)

محل الاستشهاد: "هل"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الإنكار للتهكم"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أعني الإنكار، وسبب الإنكار هو التهكم بقولهم، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك، فلذا علينا أن نرجع إلى المصادر لنثبتته. أن الاستفهام هنا في معناه المجازي حيث ردَّ -سبحانه وتعالى- قولهم أن إشراننا بالله وتحليل بعض ما حرم الله قد قام به أباءنا وأجدادنا من قبل أيضا، فلو كان هذا كله غير مرضي عند الله لما قمنا بهذا ولاذاك، فيثبت منه بأن الله تعالى راض عنا ونحن عند طلبه ورضاه، فقال - تعالى - قل يا محمد - ﷺ - تهكمًا هل لديكم ما يحتج به من الدلائل القاطعة حتى تثبتوا لنا هذا؟ ونحن نعرف باليقين بأنكم تخمّنون وتزعمون شيئاً ثم تحكمون عليه. ولستم وحدكم في هذا القول بل صاحبكم من نطق بهذه الكلمات و أحلو ما حرم الله، فالله -تعالى- ابتلاههم الله بعذابه وأذاقهم منه،

فعرّف من هنا بأن الاستفهام هنا في معناه المجازي، فقال الصابوني -رحمه الله- أيضا:

استفهام إنكاري يقصد به التهكم أى قل لهم هل عندكم حجة أو برهان على صدق قولكم فتظهوره لنا؟^(٢)
أشار أبو حيان إلى هذا المعنى أيضا حيث قال:

استفهام على معنى التهكم بهم وهو إنكار، أى ليس عندكم من علم تحتجون به فتظهوره لنا ، ما تتبعون في دعاواكم إلا الظن الكاذب الفاسد.^(٣)

(١) -سورة الأنعام، الآية: ١٤٨

(٢) -صفوة التفاسير، الصابوني، ٣٥٩ ج ١

(٣) : البحر المحيط، أبو حيان، ص ٦٨٢ ج ٤

فنفهم من خلال كلام الصابوني وأبي حيان - رحمهما الله - بأن الاستفهام هنا للإنكار وفيه تحكم، ومعنى القول: لا يوجد لديكم أى دليل قوي ليثبت لكم دعواكم بل أنتم تتبعون الخرص والتخمين والظن، والظن لا يغنيكم شيئاً.

الاستفهامات الدلالية غيرالصريحة في سورة الأعراف

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنْ لِلَّهِ لَأَيُّمَرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)
محل الاستشهاد: "أتقولون"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الإنكار والتوبيخ"

إثبات الدعوى: أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي أعني الإنكار على ما ينسبون إلى الله - تعالى. ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذا يجب علينا أن نرجع إلى المصادر التفسيرية التي صرحت به.

الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي أقصد الإنكار المزيج بالتوبيخ، معنى الآية: كان من عادات العرب الطواف عريانا وكانوا يتقربون به، فإذا سئلوا أو منعوا من ذلك قالوا: إن الله - تعالى - هو الذي أمرنا بهذا، فأجاب الله تعالى توبيخاً وإنكاراً لهذه الإضافة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (الطواف عريانا) لأن الطواف عريانا قبيح، والذات المبرأ من القبيح لا يأمر بالقبيح، هل يأمر الذات الجامع لجميع الصفات الكمالية بالقبيح؟ كلا، فلذا هذا محال بأن الله تعالى أمركم بهذا، بل أنتم تنسبون وتضيفون إلى الله تعالى مالا علم لكم به بل هو افتراء واختلاق محضاً.

(١) -: سورة الأعراف، الآية: ٢٨

الاستفهام هنا في معناه المجازي الإنكار والتوبيخ ، ولهذا المعنى أشار محي الدين درويش -رحمه الله- في تفسيره فقال:

والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي^(١).

وشاركه الزمخشري في أداء هذا المعنى فقال: أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ إنكار لإضافتهم القبيح إليه^(٢).
فنفهم من خلال كلام محي الدين درويش والزمخشري -رحمهما الله- بأن الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ على إضافتهم القبيح إلى ذاته -تعالى.

قوله تعالى: ﴿هُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(٣)
محل الاستشهاد: " أهؤلاء "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التقرير والتوبيخ"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أعني التقرير، والتوبيخ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك، فلذلك علينا أن نراجع المصادر حتى نثبتته.

الاستفهام هنا في معناه المجازي للتوبيخ على الذين يظنون بالفقراء من المؤمنين بأنهم سيكونون معنا في النار، ومعنى الآية: المخاطبون في الآية الملائكة، والمخاطبون في الآية الكفار الذين يستخفون ويستتهزون بالمؤمنين

(١)- اعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ص ٣٣٧ ج ٣

(٢)- كشاف، الزمخشري، ص ٩٩ ج ٢

(٣)- سورة الأعراف، الآية: ٤٩

الضعفاء، والمراد من " هؤلاء " المؤمنون الضعفاء، فللملائكة يخاطب الكفار هل أنتم تستخفون هؤلاء الضعفاء بأنهم سيكونون معكم في النار؟ ادخلوا يا أيها المؤمنون في الجنة أمامهم حتى يكتمل التوبيخ ويغلظ. ووضح الصابوني -رحمه الله- هذا المعنى فقال:

والاستفهام للتوبيخ ﴿أَهْؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ أي هؤلاء المؤمنون الضعفاء الذين كنتم في الدنيا تسخرون منهم وتحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة، والاستفهام استفهام تقرير وتوبيخ وشماتة يُوَجَّحُوهُمْ بذلك. ^(١)

وشاركه في هذا القول محي الدين درويش -رحمه الله- فقال:

﴿أَهْؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ الهمة للاستفهام التقريري التوبيخي ^(٢)

فنفهم من خلال كلام الصابوني ومحي الدين درويش -رحمهما الله- بأن الاستفهام هنا في معناه المجازي أي الإنكار والتوبيخ على حلفهم بأن هؤلاء الضعفاء من المؤمنين لا يدخلون الجنة بل سيقون معنا في النار ، فالله -تعالى- وَبَجَّهْمَ حَيْثُ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ نَظَرَ الْحَسْرَةِ.

^(١) -صفوة التفاسير، الصابوني، ص ٤١٥ ج ١

^(٢) -إعراب القرآن وبيانه، محي الدين، ص ٣٦١ ج ٣

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(١)

محل الاستشهاد: " هل "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: " النفي والإنكار "

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي أقصد الإنكار والنفي، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك، فلذلك يجب علينا أن نحقق الأمر أى أمر الاستفهام من المصادر الأخرى.

أن الاستفهام هنا في معناه المجازي أى بمعنى النفي والإنكار، معنى الآية: قال -تعالى- لماذا لا يؤمنون هؤلاء الكفرة؟ أرى أنهم لا ينتظرون إلا ما وعدهم رسلهم من العقاب والثواب، ويوم يأتي ما وعدهم رسلهم من العذاب فيقرون هؤلاء الذين نبذوا أحكام الله وراء ظهورهم ويشهدون على أنفسهم بأن الرسل جاءوا بالحق ولكن كنا أشقاء لم نمثل لأمرهم، ثم يتضرعون ياليت لو كان لنا شفعاء ليشفعوا لنا أو نرد إلى الدنيا! ليس لمتعها بل لنعمل الأعمال الصالحة ونرضى ربنا، فأجاب - سبحانه وتعالى- لقد خسرت كل شئ حتى لم يبق لكم أنيس ورفيق محبوب عند الله ليشفع لكم ولا الأعمال الصالحة لتنجيكم من عذابي.

قال محي الدين درويش في تفسيره: وهل حرف استفهام بمعنى النفي والإنكار، أى: ما ينتظرون ويتوقعون غير ذلك^(٢).

(١) -: سورة الأعراف ، الآية: ٥٣

(٢) -: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ص ٣٦٤ ج ٣

فنفهم أيضا من كلام محي الدين أن الاستفهام هنا للإنكار عليهم على عدم الإيمان وللنفي أيضا "هل ينظرون: أى لا ينتظرون إلا ما وعدهم رسلهم.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ﴾^(١)

محل الاستشهاد: " أجئتنا "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: " الإنكار والاستهزاء "

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي أى الإنكار، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذا يجب على العودة إلى المصادر القوية.

الاستفهام في الآية المذكورة للإنكار على مجي هود - عليه السلام - ليأمرهم بعبادة الله وحده، أو للاستهزاء بأنهم يعتقدون أن الرسل يكونون من الملائكة لا من الأنس، فكيف تدعي النبوة حتى تأمرنا بعبادة الله وترك عبادة الأوثان، معنى الآية: المراد من المجي هنا إما كان هود - عليه السلام - يخلو بنفسه في معبده وجاء من هناك كما يفعل محمد ﷺ - في غار حراء، فقالوا لهود - عليه السلام - أتأمرنا يا هود ! بأن نترك أوثاننا ونخلص الله - تعالى - بعبادته؟ إن كنت تملك الدليل فأت فنحن نصدقك.

وإلى هذا المعنى أشار محي الدين درويش في تفسيره فقال: والهزمة للاستفهام الإنكاري^(٢).

أو المراد من " أجئتنا " المجي المجازي ما كانوا يقصدون حقيقة المجي، أى لم يذهب هود - عليه السلام - إلى مكان مّا بل كان بينهم ولكنهم قالوا له استهزاء وسخرية، بما أنهم كانوا يستبعدون الرسل من الإنس بل كانوا يعتقدون أن الرسل من الملائكة: كأنهم قالوا: أتشرفتنا من السماء كما يجي الملك؟

(١) -:سورة الأعراف ، الآية: ٧٠

(٢) -:إعراب القرآن وبيانه ، محي الدين درويش ، ص ٣٨٤ ج ٣

وقد وضح هذا المعنى أبو حيان في تفسيره فقال:

ويحتمل أن يكون قولهم ذلك على سبيل الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا: أجبنا من السماء كما يجيء الملك ولا يريدون حقيقة المجيء ولكن التعرض والقصد كما يقال ذهب يشتمني لا يريدون حقيقة الذهاب^(١)

ففهم من خلال كلام أبي حيان أن الاستفهام هنا للاستهزاء وكانوا يقصدون المجيء المجازي كما يقول العرب: ذهب يشتمني أى لم يقصدوا الذهاب الحقيقي هنا بل المراد التعرض والقصد.

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: "أتجادلونني"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الإنكار"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي أعني الإنكار عليهم بأنهم يجعلون الأوثان آلهة، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذا يجب علينا أن نحله من المصادر الأخرى.

لا ريب أن الاستفهام هنا في معناه المجازي أعني الإنكار، معنى الآية: أن نبيهم هود - عليه السلام - عندما أمرهم بعبادة الله وحده، واستهزؤوا به وقالوا فأتنا بدليل يثبت دعواك، فأجاب: إن الله تعالى سيبتليكم بالعذاب وينزل عليكم غضبه وسخطه، ثم تجالونني في آلهة اخترعتموها أنتم وأبائكم من عند أنفسكم لا دليل

(١) -: البحر المحيط، أبو حيان، ص ٨٨ ج ٥

(٢) -سورة الاعراف، الآية: ٧١

عليه؟ إن كنت تريدون حقا دليلا فانتظروا يوم القيامة سيكشف الغبار عن الحقيقة ، وهذا الكلام يدل على التوبيخ والتهديد،

وهذا المعنى للاستفهام أظهر فخرالدين الرازي في تفسيره فقال:

أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما نزل الله بها من سلطان والمراد منه: الاستفهام على سبيل الإنكار وذلك لأنهم كانوا يسمون الأصنام بالآلهة مع أن معنى الإلهية فيها معدوم وسموا واحدا منها بالعزى مشتقا من العز والله ما أعطاه عزا أصلا وسموا آخر منها باللات وليس له من الإلهية شيء^(١).

أى أنكم سميتم أوثانكم بالعزى ولا عزّ فيه واللات باللات ولا أثر فيه للعبودية فكيف تسمونها بهذه الأسماء الخالية عن معناها الحقيقي.

وقال العلامة الألوسي - رحمه الله- في تفسيره: إنكار واستقباح لإنكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك ما كان يعبد آباؤهم من الأصنام^(٢).

فنفهم من خلال كلام فخرالدين الرازي والألوسي - رحمهما الله - بأن الاستفهام هنا في معنى الإنكار والاستقباح على تفكيرهم وعملهم تجاه هود عليه السلام وقوله.

(١) -تفسير الرازي، فخرالدين الرازي، ص ٣٠٣ ج ١٤

(٢) -: روح المعاني، الألوسي، ص ٣٩٧ ج ٤

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ

رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾^(١)

محل الاستفهام: "كيف"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "النفى"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج موقع الحقيقي إلى معناه المجازي أعني النفي، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذا ثبتته من المصادر الحقيقية والموثوقة.

أن الاستفهام هنا موقعه مجازي ألا هو نفي الأسي على قوم لم يستمعوا إلى نبيه، معنى الآية: أن شعيب - عليه السلام - لما يئس من قومه فانفرد منهم ولكنه مع كثرة اللبث معهم والاستيناس بهم أفلقه فراقهم كثيرا ولا سيما عندما سمع أنهم هالكون لا محالة، ثم قال في نفسه: لم أحزن على قوم أبلغتهم رسالة الله ولم يطيعوني في أمري؟ فلا يناسب أن أقلق لقوم كفروا بالله، وإما المراد من التولي الخروج من بينهم لأن الله تعالى لا يهلك قوما ونبيهم بينهم، ولكنه قلق بسبب عصيانهم بأمر الله ثم قال لا حزن على من يخالف قوانين الله - تعالى، فلذا لا أقلق أبدا.

وإلي هذا المعنى أشار محي الدين درويش في تفسيره فقال: وكيف اسم استفهام معناه النفي في محل نصب حال^(٢).

نفهم من خلال كلام محي الدين - رحمه الله - أن الاستفهام هنا في معنى النفي وإعرابه نحويا هو حال فعل: "آسى"

(١) - سورة الأعراف، الآية: ٩٣

(٢) - إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ص ٤١٠ ج ٣

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(١)

محل الاستشهاد: "آمنتم"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الإنكار والاستبعاد"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، أقصد الإنكار لفرعون على فعلة الساحرين وهي إيمانهم بموسى -عليه السلام- أمام الجم الغفير من الناس. ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذا يجب علينا أن نحقق الأمر من المصادر الموثوقة.

اختلف القراءات في "آمنتم" هل الهمزة همزة المتكلم أم همزة استفهام، هذا الخلاف وقع تقريبا بين جميع المفسرين، نحن نجعلها في كفة همزة الاستفهام لأنه يتعلق ببحثنا، والاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى الإنكار وهو معنى مجازي للاستفهام، معنى الآية: أن فرعون استبعد هذا الأمر وأنكر فقال: كيف آمنتم بموسى -عليه السلام- وأمام هذا المأ العظيم!؟

لما غلب موسى - عليه السلام - على سحرة فرعون، فأسلموا على موسى - عليه السلام - وبرّيه، فغضب فرعون لما رأى بأنهم آمنوا، ولئلا يكون إيمانهم مؤثرا في إيمان عامة الناس فقال لسحرتيه: أنكم تواطؤتم مع موسى -عليه السلام- قبل أن تأتوا إلى هذه الصحراء، أو لعله سمع موسى و السحرة عندما قال لهم موسى - عليه السلام - أتؤمنون بي لو غلبتكم؟ فقالوا: ما غلبنا أحد حتى تغلبنا، نعم إن غلبت على سحرنا فنؤمن بك، فلذا قال فرعون: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُمُوهُ مِنْ قَبْلٍ﴾.

(١) -سورة الأعراف، الآية: ١٢٣

وإلى هذا المعنى أشار الزمخشري - رحمه الله - فقال: ومعناه الإنكار والاستبعاد^(١).

فنفهم من خلال كلام الزمخشري - رحمه الله - أن فرعون استبعد إيمانهم بموسى وأنكر أشد الإنكار أى لم أمتنم به قبل أن تستأذنوا وأنا آذن لكم؟

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرَكَ وَآهَتِكَ قَالَ

سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾^(٢)

محل الاستفهام: "أتذر"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التحريض والإنكار"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي أعني الإنكار والتحريض، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذا نأتي بالمصادر الموثوقة.

الاستفهام هنا وقع هنا موقع الاستفهام المجازي أعني للتحريض والإنكار، معنى الآية: لما خاب سحرة فرعون في مقابلة موسى - عليه السلام - وآمنوا به، فخاف فرعون أشد الخوف على إيمان عامة الناس، جاء إليه شرفاء القوم وقالوا: هل تترك موسى وقومه يقصدون بني إسرائيل أحرارا في أرض مصر دون أن تصيهم بأذى؟ لو فعلت لأفسدوا نظام مصر بدخول عامة الناس في دين موسى - عليه السلام - ويزدرك الناس وما تعبدها من الأوثان، وفي بعض القراءات "نذرك" أى إن لم تقتل موسى - عليه السلام - ومن معه من تبعهم لنتركك و آهتك في الحال، فقال لهم فرعون مسلّيا: لا تنزعجوا ولا تقلقوا لأقتل أولادهم الذكور وأجعل من بناهم الآماء كما كنت أفعل بهم من قبل.

(١) -:الكشاف، الزمخشري، ص ١٤١ ج ٢

(٢) -سورة الأعراف، الآية: ١٢٧

ووضح هذا المعنى محي الدين درويش - رحمه الله في تفسيره فقال:

الاستفهام إنكاري لتحريض فرعون على موسى وقومه^(١)

فنفهم من خلال كلام محي الدين - رحمه الله - بأن الاستفهام هنا يدل بأن فرعون كان يستبعد إيمانهم بالله وبنبيه فلذا أنكر عليهم ووعدهم بقطع الأيدي والأرجل على خلاف.

قوله تعالى: ﴿وَمَا رَجِعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ... الآية﴾^(٢)

محل الاستشهاد: " أعجلتم "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: " الإنكار، والتفريع "

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي أعني الإنكار والتفريع على عملهم واستعجالهم، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذلك علينا أن نرجع إلى المصادر المتينة حتى نثبته.

الاستفهام هنا استعمل في معناه المجازي أي الإنكار على تقدم ميعاد ربهم الذي حدده سبحانه وتعالى وهو أربعون يوماً، وذلك أنهم تخمنوا بعد ثلاثين يوماً أنه مات، فأنكر الله تعالى عليهم عملهم هذا وقال: " أعجلتم أمر ربكم " أي ولم تصبروا حتى يرجع موسى - عليه السلام - ؟ وقال الفراء: وقوله: أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ (١٥٠) تقول: عجلت الشيء: سبقته، وأعجلته استحثته^٣. فأخبره الله تعالى بأن بني إسرائيل عكفوا على الأصنام،

(١) : إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ص ٤٣١ ج ٣

(٢) : سورة الأعراف، الآية: ١٥٠

^٣ : معاني القرآن المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ) المحقق: أحمد يوسف

النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشليبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر الطبعة: الأولى، ص ٣٧٦

عند ماراهم موسى عليه السلام عاكفين على الأصنام غضب وألقى الألواح الموجودة من يده كما يفعل البشر عند الغضب عادة.

فخلاصة القول بأن الاستفهام هنا في معناه المجازي أعني الإنكار على عملهم ، وإلى هذا المعنى قد أشار محي الدين درويش في تفسيره فقال: الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريري^(١).

وقال الصابوني: أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور؟ والاستفهام للإنكار^(٢).
فنفهم من خلال كلام محي الدين والصابوني -رحمهما الله - بأن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي أى الإنكار على تقدم أمر في غير وقته وهذا مذموم طبعا.

قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾^(٣)

محل الاستشهاد: "أهلكنا"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الإنكار (وسببه الثقة بالله) أو بمعنى النفي"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذا يجب علينا أن نعود إلى المصادر الموثوقة في تفسير المعاني.

(١) :إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ص ٤٥٨ ج ٣

(٢) :صفوة التفاسير، الصابوني، ص ٤٤٠ ج ١

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥

لا غرو لو قلت أن الاستفهام هنا أستعمل في معناه المجازي، لأن موسى - عليه السلام - لم يكن ليعترض أو يسخط على ذاته تعالى، الاستفهام هنا في معنى الإنكار ثقةً بالله واستعطافاً، أى لا يفعل من يجمع ويمتلك مثل هذه الصفات الكمالية بمن يتقرب إليه ويعبده، معنى الآية: أن موسى عليه السلام اختار سبعين رجلاً من أشرف بني إسرائيل لميقات المكلمة أى جبل الطور، لما اقتربوا منه فغشى بهم الغمام فدخل موسى - عليه السلام - فيه ودخلوا، كلم موسى - السلام - ربه وناجاه، وأمره بالأمر والنهي وهؤلاء مستمعون إليه، عند ما فرغ موسى - عليه السلام - من مناجاته - تعالى - طلب هؤلاء من موسى - عليه السلام - نريد أن نرى ربك كما رأيتَه وناجيتَه، وأكدوا كلامه بأننا لا نؤمن حتى نرى ربك، فأخذتهم الرجفة فأهلكم الله تعالى، فحزن موسى عليه السلام على هلاككم لأنهم كانوا من صفوة بني إسرائيل، وخاف أيضاً من أين يتقون بي إن طلبت مصاحبتهم في أمرنا، فقال: "أهلكنا بما فعل السفهاء منا" والضمير المنصوب يرجع إلى ذاته - عليه السلام - وإلى هؤلاء السبعين من خيار القوم، أى أنت لا تفعل مثل هذا مع أحبائك بسبب حماقتهم أى طلب الرؤية، لأن العبد لا يؤخذ بذنب غيره.

وإلى هذا المعنى أشار فخرالدين الرازي في تفسيره فقال:

أنه استفهام بمعنى الجحد، وأراد أنك لا تفعل ذلك. كما تقول: أتهين من يخدمك؟ أى لا تفعل ذلك. الثاني: قال المبرد: هو استفهام استعطاف، أى لا تهلكننا^(١).

مفهوم كلام فخرالدين الرازي أن الاستفهام هنا للإنكار ثقةً به، ثم ضرب بالمثل: بأن العرب يقولون: أتهين من يخدمك أى لا يفعل أمثالك أن يعامل خدامه معاملةً كهذه،

وقال أبو حيان: هذا استفهام على سبيل الإدلاء بالحجة في صيغة استعطاف وتذلل والضمير المنصوب في أهلكنا له وللسبعين^(٢).

(١) : تفسير الرازي، فخرالدين الرازي، ص ٣٧٧ ج ١٥

(٢) : البحر المحيط، أبو حيان، ص ١٨٩ ج ٥

نفهم من خلال كلام أبي حيان أن موسى عليه السلام احتج بأن العبد لا يأخذ بذنب غيره وذلك كان استعطافاً وترحماً. ونفس هذا المعنى وضحه العلامة الألوسي — رحمه الله — فقال:

والهمزة إما لإنكار وقوع الإهلاك ثقة بلطف الله عزّ وجلّ كما قال ابن الأنباري أو للاستعطاف كما قال المبرد أي لا تهلكننا^(١).

فخلاصة قوله بأن الاستفهام هنا للإنكار وسببه الثقة بالله تعالى كما قال الأنباري أو للاستعطاف كما قاله المبرد.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخْرَءُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: " ألم يؤخذ / أفلا تعقلون "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: للأول: التقرير والتوبيخ ، ولثاني: الإنكار.

إثبات الدعوى:

أن الاستفهامين هنا خرجا مخرج معنى الحقيقي إلى معناهما المجازي، ولكن الإمام المفسر ابن عطية — رحمه الله — لم يصرح بذلك، فلذا من واجبنا أن نحقق الأمر من المصادر لتبهما.

لا شك أن الاستفهامين هنا استخدمنا في معناهما المجازي أعني التوبيخ والإنكار على اليهود: ومعنى الآية: كان بنو إسرائيل علموا من التوراة أن الكذب على الله والتحريف فيما أرسل به نبيهم موسى — عليه السلام — وهذا الميثاق لئلا يقول على الله الكذب ، ولكنهم مع ذلك كله كانوا يكذبون على الله ويحرفون كلامه، هذا إذا جعلنا " أن لا يقولوا على الله إلا الحق " مفعولاً له، أي لئلا يقولوا . وإذا جعلت في " أن لا

(١) : روح المعاني، الألوسي، ص ٧١ ج ٥

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩

يقولوا.. " كلمة " أن " تفسيرية فكأنه يفسر مصداقية الميثاق بأن صاحب الكبيرة لا يغفر ذنبه إلا بعد التوبة فكيف يقولون على الله الكذب بأنه سيغفر لنا، ثم وَجَّهَهُم اللهُ - تعالى - بأنهم تريثوا في أخذ الأمر بعين الاعتبار لما وقعوا فيما وقعوا ، فقال: أفلا تعقلون.

قال أبو حيان: هذا (ألم يؤخذ) توييخ وتقرير لما تضمنه الكتاب من أخذ الميثاق أنهم لا يكذبون على الله. قال ابن زيد: كان يأتيهم المحق برشوة فيخرجون له كتاب الله ويحكمون له به فإذا جاء المبطل أخذوا منه الرشوة وأخرجوا كتابهم الذي كتبوه بأيديهم وحكموا له وأضيف الميثاق إلى الكتاب لأنه ذكر فيه أن لا يقولوا على الله إلا الحق، وقال بعضهم: هو قولهم سيغفر لنا^(١)

فنفهم من خلال كلام أبي حيان وصور صورة الكذب أيضا، بأن الاستفهام هنا في معنى التوييخ على ما فعلوا ، والتقرير أى أخذ منكم الميثاق في التوراة.

وقال الصابوني بأن الاستفهام في : أفلا تعقلون" للإنكار عليهم فقال: الاستفهام للإنكار أى فلا ينزجرون ويعقلون؟^(٢)

فخلاصة القول بأن الاستفهام هنا في معنى:

-التوييخ

-والتقرير

-والإنكار

(١) :البحر المحيط ، أبو حيان ، ص ٢١٦ ج ٥

(٢) : صفو التفاسير، الصابوني ، ص ٤٤٥ ج ١

: قوله تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخَلِّقُونَ﴾^(١)

محل الاستشهاد: "أيشركون"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الإنكار"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي الإنكار، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك، لذا من حقنا أن نتأكد عن المصادر حوله حتى نثبت دعوانا.

اعلم أن الاستفهام المستخدم في الآية المذكورة بالمعنى المجازي الإنكار على ما يشركون بالله، معنى الآية: قال - تعالى - قبل هذه الآية بآية ﴿فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾ أن إبليس - عليه اللعنة - جاء إلى آدم - عليه السلام - وقد توفي له ولد فقال: إن كنت تريد أن يعيش ولدك القادم طويلا فعليك أن تسميه ب عبد الشمس وهذا اسم الشيطان، فسمى آدم - عليه السلام - ابنه بعبد الشمس، فالله تعالى غيور لا يرضى بالشرك ولو كان في التسمية، فالله تعالى متعال عن الشرك ، ثم قال الله - تعالى: أيشركون أى آدم عليه السلام وابنه عبد الشمس وإبليس ما لا يقدر على تخليق ذرة وهم عاجزون عن كل شئ فكيف تساوون بين من يقدر على كل وبين من لا يقدر على شئ حتى خلقتة أيضا، هذا تفسير الآية وهنا من ناقش تفسير الآية بأساليب مختلفه ولكن ضربت عنه صفحا لأن كلامنا في الاستفهام فقط. فالاستفهام هنا بمعنى الإنكار، وهذا المعنى قد صرح به محي الدين درويش في تفسيره فقال:

المهزة للاستفهام الإنكاري^(٢).

فنفهم أيضا من كلام محي الدين درويش أن الله تعالى أنكر على الشرك ولو كان في التسمية ، فلهذا أن الاستفهام معناه هنا الإنكار.

^(١) : سورة الأعراف ، الآية: ١٩١

^(٢) : إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش ، ص ٥٠٩ ج ٣

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ أَلَمْ يَأْتِ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْلِهِمْ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي كَفَرْتُمْ وَيُخَوِّدَ لَكُمْ آيَاتِهِمْ فَاصْبِرُوا إِنَّ عَذَابَ الْكَاذِبِينَ لَشَدِيدٌ﴾^(١)

محل الاستفهام: "أدعوتوهم/ ألهم"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الأول: التسوية. والثاني: الإنكار"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معنى الحقيقي إلى معناه المجازي أعني الإنكار، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك ، فلذا علينا أن نفصل الأمر من المراجع المحققة حتى يثبت الأمر .
أن الاستفهامين يتعلقان بموضوع واحد ويشاركان في التخاطب ، فلذا جمعتهما في مكان واحد. الاستفهام في الآيتين المذكورتين بالمعنى المجازي ، أن الله - تعالى - أنكر على مشركي مكة بسبب كفرهم واستعانتهم بغير الله أي الأوثان المخترعة والمجعولة بأيديهم، قال تعالى: " أدعوتوهم.... " أي الأمر سيان، إن دعوتهم الأصنام أم تركتموها وبقيتم ساكتين أنهم لا يجيبونكم ولا يسمعونكم، لأنها جمادات، والجماد لا يتكلم ولا يقدر، والذين تدعونه من دون الله من الأوثان هم يماثلونك، فكيف تستعينون بمن يماثلكم ولا يفوقكم؟ إن لم تتيقنوا من كلامي هذا، فادعوه إن استجاب لكم ، ولكن فلن يستجيبوا لكم أبدا، إذن فلماذا تشركون بالله وتعبدونها من دون الله .

ثم أعاد الاستفهام وقال: "ألهم أرجل يمشون بها...." أي كيف تثقون بها بأنهم يبررون حوائجكم ويعينكم على الشدائد؟ هل رأيتم منها من مظاهر القوة كما تمتلكها من أرجل تمشون بها أم عيون تعتبرون بها أو إذن تسمعون بها؟ أكيد لا، لا يملكون شيأ من هذه القوى إذن لا يستحقون العبادة والاستعانة في الأمور.

(١) -سورة الأعراف، الآية: ١٩٣/١٩٥

والاستفهام هنا في "أدعوتهم" للتسوية بين أمرين وقد مر ذكرها تفصيلا في سورة البقرة فلا أعيدها ثانيا، وإليه أشار محي الدين درويش في تفسيره فقال:

والهمزة للاستفهام، وهي همزة التسوية التي تؤول ما بعدها بمصدر، وقد مر ذكرها في البقرة^(١)
كلام المفسر ظاهر لا يحتاج إلى التوضيح.

أما الاستفهام في "ألم أرجل يمشون بها...." للإنكار وقد صرح به غير واحد من المفسرين فلذا لم أذكر به من شدة الوضوح.

الاستفهامات الدلالية غير الصريحة في سورة التوبة

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا

رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢)

محل الاستشهاد: "أم حسبتم"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التوبيخ"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام في صورة "أم" للاستفهام المجازي أعني التوبيخ، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك بل فسر بأن أم إما للإضراب أو للاستفهام فقط، فلذا يجب علينا أن نؤكد الأمر من المصادر الموثوقة لدى المفسرين .

(١) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ص ٥١٢ ج ٣

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٦

كلمة " أم " تستخدم لمعنيين: الإضراب ، والاستفهام، هنا للاستفهام المجازي بمعنى التوبيخ للمؤمنين حسب مستويات إيمانهم عامة وللمناققين خاصة، معنى الآية: قال -تعالى: هل تظنون لن نختبركم حتى أميّز القوى في الإيمان من الضعيف؟ نعم اختبركم بالتأكيد ولن يتخلص أحد من العقاب إلا بحصول أمرين، الأول: أجربكم حتى أعرف (مع أنه تعالى موصوف بعلم أزي والمراد من العلم هنا المعلوم) منكم الذين يجاهدون في سبيل الله، والأمر الثاني: هناك من يشارك في الجهاد ولكنه يريد شيئاً من أغراض الدنيا أى لا يكون مخلصاً في الجهاد، والجهاد لا ينفع بشئ إذا لم يكن العبد مخلصاً فيه لله.

كلمة أم هنا كما ذكرنا بمعنى التوبيخ على ما حسبه، إلى هذا المعنى أشار الزمخشري - رحمه الله- في تفسيره فقال:

أم منقطعة، ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان. والمعنى: أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه، حتى يتبين الخالص منكم، وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله، ولم يتخذوا وليجة أى بطانة^(١).
لقد أدي الزمخشري نفس المعنى إلا أنه زاد شرح كلمة " وليجة " بأنها بمعنى البطانة أى النفاق.
وقال الرازي - رحمه الله : أم من الاستفهام الذي يتوسط الكلام^(٢).

فنفهم من خلال كلام الرازي بأن " أم " تتوسط الكلام ومعناه الاستفهام، إما بمعنى " بل " وإما بمعنى " ألف الاستفهام.

(١) :الكشاف، والزمخشري، ص ٢٥٣ ج ٢

(٢) :التفسير الكبير، الرازي، ص ٧ ج ١٦

قوله تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١)

محل الاستشهاد: "أجعلتم"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "الإنكاري التوبيخي"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي الإنكار والتوبيخ على التسوية بين أمرين لا يصح المقارنة بينهما قط، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذا من واجبنا أن نتدارك الأمر بالبحث في المصادر المعتمدة.

لا شك أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي الإنكار والتوبيخ، ومعنى الآية: هناك أقوال وأقوال في خلفية الآية ولكن سأذكر منه واحدا. قد روي أنه سرى وتسلسل هذا التوهم إلى بعض المسلمين، فروى أن العباس -رضى الله عنه- قصد أن يقيم بمكة ويترك الهجرة لأجل الشغل بسقاية الحاج والزائرين، وأن عثمان بن طلحة رام مثل ذلك، للقيام بحجاجة البيت.

قال الله تعالى: هل تسوون بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وبين المؤمنين والجهاد؟ لا شك أن سقاية الحاج ورؤار الكعبة شرفٌ عظيمٌ وسبب للفخر ولكن مقارنتهما بالمؤمنين والجهاد لا تساوي بشئ.

قال أ.د. مساعد بن سلمان الطيار في تفسيره: عن عبد الله بن عباس -من طريق العوفي- في قوله:

{أجعلتم سقاية الحاج} الآية: وذلك أن المشركين قالوا: عمارة بيت الله وقيام على السقاية خيرٌ ممن آمن

(١): سورة التوبة: الآية: ١٩

وجاهد. فكانوا يفخرون بالحرم، ويستكبرون به، من أجل أنهم أهلُه وعمَّارُه، فذكر الله استكبارهم وإعراضهم، فقال لأهل الحرم من المشركين ذلك.^(١)

وقد صرح ابن عاشور فقال: والاستفهام للإنكار^(٢). أى على هذه المقارنة الخالية عن العدل.

ووافقه محي الدين درويش في أداء هذا المعنى فقال:

والهمزة للاستفهام الإنكاري التويخي^(٣). فنفهم من خلال كلام ابن عاشور ومحي الدين بأن الاستفهام هنا للإنكار على مقارنتهما والافتخار بما لا يستحق الافتخار به.

: قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ

عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾^(٤)

محل الاستشهاد: "هل تربصون"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "النفى"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي أعني النفي بقرينة الاستفهام بعده. ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك ، إذن يجب علينا أن نوكد المطلوب من المصادر الأخرى.

(١) : موسوعة التفسير المأثور إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية المشرفون: أ. د. مساعد بن سليمان الطيار - د. نوح

بن يحيى الشهري الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي - دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى،

١٤٣٩ - ٢٠١٧، ص ٤٢٥

(٢) : التحرير والتنوير، ابن عاشور. ص ١٤٣ ج ١٠

(٣) : إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ص ٧٠ ج ٤

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٢

واعلم أن الاستفهام هنا استخدم في معناه المجازي أى النفي وفي الكلام زجر وتوبيخ على المنافقين، معنى الآية: أن المنافقين كانوا يفرحون بإصابة الأذى للمؤمنين، كانوا يقولون: إن خرجوا للجهاد وماتوا خسروا الدنيا، وإما أهينوا بالأسر والسجن، فقال تعالى: " قل هل تربصون بنا... الآية " أى لا تنتظرون أنتم بنا إلا إحدي الحسينيين أى العاقبتين الحسنتين: إما الشهادة مرجعها إلى الله وهى مطلوبة لدينا ، وإما النصره ومرجعها الاستيلاء والغلبة وهى كذلك عاقبة حسنة.

نحن كذلك ننتظرلكم أن يرسل الله عليكم العذاب بشكل من أشكالها، أو تتذلون بأيدينا بالقتل والأسر، كما حدث لهم في غزوة بدر وأحد قد سجن سبعون من ساداتهم.

وقال ابن عاشور بأن الاستفهام هنا للنفي: والاستفهام مستعمل في النفي بقرينة الاستثناء. ومعنى الكلام توبيخ لهم وتخطئة لتربصهم لأنهم يتربصون بالمسلمين أن يقتلوا، ويغفلون عن احتمال أن ينصروا فكان المعنى: لا تربصون بنا إلا أن نقتل أو نغلب وذلك إحدي الحسينين^(١).

فنفهم من خلال كلام ابن عاشور صراحة أن الاستفهام هنا في معناه المجازي النفي ، وذلك بقرينة أداة الاستفهام بعده، وفي الآية توبيخ للمنافقين بأنهم يتمنون القتل للمؤمنين وكانوا ينسون النصره لهم ، فأخطئهم الله تعالى في هذا الظن ورد عليهم بأن المؤمنين فائزون في جميع الأحوال.

(١) :التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٢٢٤ ج ١٠

: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١)

محل الاستشهاد: "ألم يأتهم"

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "التقرير"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي أعني التقرير، ولكن الإمام المفسر ابن عطية - رحمه الله - لم يصرح بذلك، فلذلك نرجع إلى المصادر الموثوقة.

أن الاستفهام هنا في الآية المذكورة في المعنى المجازي أى للتقرير للاستشهاد عليهم بأن خبر هؤلاء قد وصلكم بالتأكيد، ولكن مع هذا كله تعرضون عن أوامر الله - تعالى -، معنى الآية: أن الله - تعالى - خاطب المنافقين فقال: أما بلغكم خبر هؤلاء الأقوام السابقة الذين بغوا على أمر الله وعصوه؟ منهم: قوم نوح - عليه السلام - وقوم عاد الذين أرسل إليهم هود - عليه السلام - وقوم ثمود الذين أرسل إليهم صالح - عليه السلام - وقوم إبراهيم - عليه السلام - وأصحاب مدين قوم شعيب - عليه السلام - والمؤتفكات أى الاقوام الأربعة أو السبعة التي أرسل إليهم لوط - عليه السلام - . فهؤلاء الأقوام مع شدة قوتهم أهلكتهم الله بعذابه، منهم من أرسل عليهم الريح صرصرا ومنهم من قلب عليهم قراهم، إذن يجب عليكم أن تعتبروا بهؤلاء وإلا ستكون عاقبتكم كعاقبتهم، لأن الله - يمهمل ولا يهمل سيأخذكم أخذ عزيز مقتدر إلا لم تراجعتم مما تفعلون.

الاستفهام هنا في معناه المجازي أى التقرير للاستشهاد عليهم، وبه قال ابن عاشور:

والاستفهام موجه للمخاطب تقريرا عنهم، بحيث يكون كالاستشهاد عليهم بأنهم أتاهم نبأ الذين من قبلهم^(٢)

(١): سورة التوبة، الآية: ٧٠

(٢): التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٢٦٠ ج ١٠

فنفهم من خلال كلام ابن عاشور أن الاستفهام موجه إلى المخاطبين من المنافقين والمقصود منه الاستشهاد بأن خبر هؤلاء وصلكم.

: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(١)

محل الاستشهاد: " ألم "

معنى الاستفهام الدلالي غير الصريح: "النفي والتقرير"

إثبات الدعوى:

أن الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي أي النفي والتقرير على ما كانوا يعرفون علم اليقين، ولكن الإمام المفسر ابن عطية -رحمه الله- لم يصرح بذلك، فلذا نرجع إلى المصادر.

أن الاستفهام الواقع في الآية في المعنى المجازي أعني النفي والإنكار، نزلت هذه الآية وما قبلها في ثعلبة بن حاطب الأنصاري، جاء إلى الرسول عليه السلام وطلب منه المال ليقوم بالأعمال الخيرية وينفقه في سبيل الخير، فأجابه الرسول -عليه السلام: قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، ولكنه ألحَّ إلحاحاً وأصر فدعاه له النبي - عليه السلام- بكثرة المال . فاشتري الأغنام فنمت كالودود وضقت بها المدينة، فبدأ يتعد عن الصلوات كلها إلا صلوة يوم الجمعة، عندما نزل آية الزكاة فأرسل رسول الله -ﷺ- الجابي ليأخذ منه الزكاة، ولكنه امتنع وقال الزكاة أخت الجزية ، واركني ملياً لأتدبر في الأمر، فنجم نفاقه، فرجع الجابي وحكى كل ما جرى بينهما، فقال: ويح ثعلب ثلاثاً، ونزل هذه الآية وقبلها، عندما أخبر بهذا جاءه ولكن رسول الله ﷺ لم يقبل منهم عقاباً له، ثم لم يقبل منه أبوبكر وعمر وعثمان في عهدهم -ﷺ- اقتداء برسول الله -ﷺ- ومات ثعلب بن حاطب في عهد عثمان -رضي الله عنه.

(١) -: سورة التوبة، الآية: ٧٨

فقال تعالى: ألم يعلموا هؤلاء أن الله يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يجاهرون؟ بأنهم يقولون: بأننا نريد مالا لننفقه في الخير ثم يسرون عدم انفاقه، يقينا يعلم الله جميعا ولا يخفى عليه نفاق أحد.

فالاستفهام هنا لتقرير هذا المعنى كما قال ابن عاشور:

استئناف لأجل التقرير. والكلام تقرير للمخاطب عنهم لأن كونهم عالمين بذلك معروف لدى كل سامع.^(١)

فمعنى التقرير واضح من خلال كلام ابن عاشور.

قال محي الدين درويش: الهمزة للاستفهام الإنكاري^(٢). أى هنا الهمزة للإنكار على نفاقهم .

(١): التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٢٧٤ ج ١٠

(٢): إعراب القرآن وبيانه، محي الدين، ص

جدول المعاني الدلالية غير الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة البقرة

ر.م	أداة الاستفهام	المعنى الدلالي غير الصريح	الآية ورقمها
١	الهمزة	النفي والتحقير والاستهزاء	قَالُوا <u>أَنُؤْمِنُ</u> كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ (الآية: ١٣)
٢	الهمزة	التوبيخ والتحقير والتعجب	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.
٣	الهمزة	الإنكار والتسفيه	قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ الآية ٦١
٤	الهمزة	السخرية والاستهزاء	قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧)
٥	الهمزة	التقرير	(أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الآية: ٣٣

<p>وَإِذَا حَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوْلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧)</p>	<p>الإنكار التقرير والتوبيخ</p>	<p>الهمزة</p>	<p>٦</p>
<p>وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ</p>	<p>الإنكار والتوبيخ</p>	<p>الهمزة/أم</p>	<p>٧</p>
<p>﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الآية: ٩١</p>	<p>التبكيك</p>	<p>لم</p>	<p>٨</p>
<p>أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون. الآية (١٠٠)</p>	<p>الإنكار</p>	<p>الهمزة</p>	<p>٩</p>
<p>ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض.... الآية: ١٠٦/١٠٧</p>	<p>التقرير</p>	<p>الهمزة</p>	<p>١٠</p>
<p>وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَائِهِمْ لَا يَعْقِلُونَ</p>	<p>التوبيخ والتعجب</p>	<p>الهمزة</p>	<p>١١</p>

شياً ولا يهتدون. الآية ١٧٠			
هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور الآية: ٢١٠	الإنكاري	هل	١٢
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ. الآية/ (٢١٤)	الإنكار للأول والثاني للاستبطاء	أم/ متي	١٣
أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ. الآية: ٢٤٣	التقرير والتعجب	الهمزة	١٤
أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون الآية: ٢٦٦	الإنكار والتحذير	الهمزة	١٥

الآيات الاستفهامية الدلالية غير الصريحة في سورة آل عمران

الآية ورقمها	المعنى الدلالي غير الصريح	أداة الاستفهام	ر.م
قوله تعالى: قل أنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم... الآية: ١٥	التقرير والتشويق	الهمزة	١
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله... الآية: ٢٣	التقرير والتعجب	الهمزة	٢
يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. الآية: ٦٥/٦٦	التقرير والتعجب والتسفيه والتوبيخ	الهمزة، لم، لم	٣
يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون. الآية: ٧٠/٧١	التوبيخ والتعجيز	لم/لم	٤
ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون. الآية: ٨٠	الإنكار	الهمزة	٥

<p>وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُصِرُّ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. الآية: ١٣٥</p>	<p>التقرير والاستفهام بمعنى النفي</p>	<p>من</p>	<p>٦</p>
<p>وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين، الآية: ١٤٤</p>	<p>الإنكار</p>	<p>الهمزة</p>	<p>٧</p>
<p>أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله. الآية: ١٥٤</p>	<p>في معنى النفي والإنكار</p>		<p>٨</p>

<p>الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين. الآية: ١٨٤</p>	<p>التوبيخ والإنكار</p>	<p>لم</p>	<p>٩</p>
--	-------------------------	-----------	----------

فهرس الاستفهامات الدلالية غير الصريحة في سورة النساء

ر،م	أداة الاستفهام	المعنى الدلالي غير الصريح	الآية ورقمها
١	كيف	التقريع والتوبيخ	فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا. الآية: ٤١
٢	المهمزة	التعجب	ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشدون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل. الآية: ٤٤
٣	المهمزة	التعجب	ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجُبَتِ والطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. الآية: ٥١
٤	المهمزة	التعجب	ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجُبَتِ والطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. الآية: ٥١
٥	كيف	التهويل	فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا. الآية: ٦٢
٦	ما	الحث والتحريض	وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

اللَّهُ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ... الآية: ٧٥			
فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا. الآية: ١٠٩	التقرير والنفي	من	٧
قوله تعالى: مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا. الآية: ١٤٧	التقرير والنفي	ما	٨

فهرس الاستفهامات الدلالية غير الصريحة في سورة المائدة

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣)	التعجب	الهمزة	١
قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ. الآية (٦٠)	النفى	هل	٢
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ الآية (٧٤)	التعجب	الهمزة	٣
(قُلْ): أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا. الآية: ٧٦	التبكيث ، والإلزام	الهمزة	٤
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب. الآية: ١٠٩	التوبيخ	ماذا	٥
هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. الآية: ١١٢	الاستبعاد وإلطمانان	هل	٦
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. الآية: ١١٦	التقرير	الهمزة	٧

فهرس الاستفهامات الدلالية الواردة غير الصريحة في سورة الأنعام

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا... (الآية: ٦)	التوبيخ والتقرير	الهمزة	١
قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخِيذٌ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ	التوبيخ	الهمزة	٢
وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ الآية: ٢٢. انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ. الآية : ٢٤	التوبيخ ، التعجب	أين ، كيف	٣
وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. الآية: ٣٠	التوبيخ والتهمك	الهمزة.	٤
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. الآية: ٤٠	التبكيك	الهمزة	٥
وإذ قال إبراهيم لأبيه	التوبيخ والإنكار	الهمزة	٦

<p>آزر أتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين. الآية: ٧٤</p>			
<p>وحاجه قومه قال أتجاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون. الآية: ٨٠</p>	<p>الإنكار</p>	<p>الهمزة</p>	<p>٧</p>
<p>وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون. الآية: ٨١</p>	<p>التعجب والإنكار</p>	<p>كيف</p>	<p>٨</p>
<p>إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون. الآية: ٩٥</p>	<p>التعجب والإنكار</p>	<p>أنى</p>	<p>٩</p>

<p>وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ. الآية: ١٠٩</p>	<p>التشكيك والإيقاظ</p>	<p>ما</p>	<p>١٠</p>
<p>أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين. الآية: ١١٤</p>	<p>الإنكار</p>	<p>الهمزة</p>	<p>١١</p>
<p>أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ الآية: ١٢٢</p>	<p>الإنكار</p>	<p>الهمزة</p>	<p>١٢</p>
<p>يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين. الآية: ١٣٠</p>	<p>التوبيخ والتقريع والإنكار</p>	<p>الهمزة</p>	<p>١٣</p>
<p>قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ. الآية: ١٤٨</p>	<p>الإنكار والتهكم</p>	<p>هل</p>	<p>١٤</p>

فهرس الاستفهامات الدلالية غير الصريحة في سورة الأعراف

وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ن. الآية: ٢٨	الإنكار والتوبيخ	الهمزة	١
أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، الآية: ٤٩	الإنكار والتوبيخ	الهمزة	٢
هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون. الآية: ٥٣	النفي والإنكار	هل/هل	٣
قالوا أجبنا لنعبد الله وحده وننذر ما كان يعبد آباؤنا نا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. الآية: ٧٠	الإنكار والاستهزاء	الهمزة	٤
قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أجدلوني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين. الآية: ٧١	الإنكار	الهمزة	٥

<p>فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ. ٩٣</p>	<p>النفى</p>	<p>كيف</p>	<p>٦</p>
<p>قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُومٌ هُدًى فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. الآية: ١٢٣</p>	<p>الإنكار والاستبعاد</p>	<p>الهمزة</p>	<p>٧</p>
<p>وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْأَهْلِيَّةَ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ. الآية: ١٢٧</p>	<p>التحريض والإنكار</p>	<p>الهمزة</p>	<p>٨</p>

فهرس الاستفهامات الدلالية غير الصريحة في سورة التوبة

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَمَنْ يَتَّخِذْ دُؤًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. الآية: ١٦	التوبيخ	أم	١
أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. الآية: ١٩	الإنكار والتوبيخ	الهمزة	٢
قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ. الآية: ٥٢	النفى	هل	٣
أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. الآية: ٧٠	التقرير	الهمزة	٤
أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامٌ الْغُيُوبِ. الآية: ٧٨	النفى والتقرير	الهمزة	٥

الباب الثالث

ترجيحات بن عطية الأندلسي في تفسيره "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"

الفصل الأول: ترجيحات ابن عطية في المعاني اللغوية الصريحة

الفصل الثاني: ترجيحات ابن عطية في المعاني الدلالية الصريحة

الفصل الأول: ترجيحات ابن عطية في المعاني اللغوية الصريحة

مدخل:

تعريف الترجيح:

الترجيح في اللغة: قال ابن فارس: الرء والجيم والحاء، أصل واحد يدلنا على رزانة وزيادة، يقال رجح الشيء وهو راجح إذا رزن. اهـ. وأرجح الميزان أي أثقله حتى مال ..
وفي اصطلاح الأصوليين: تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى للدليل.

قواعد الترجيح عند المفسرين هي:

ضوابط وقواعد أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله.
«ضوابط وقواعد» باعتبار عدم التفريق بين القاعدة والضابط كما هو نهج بعض العلماء، وقد فرق بينهما آخرون. «أغلبية» باعتبار أن القاعدة أغلبية وقد سبق الإشارة إلى ذلك في تعريف القاعدة.
«يتوصل بها إلى معرفة الراجح» خرج به القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام وغيرها، فالترجيح لا استنباط فيه من الآية وإنما هو نظر في الأقوال المستنبطة من الآية، للترجيح بينها من خلال هذه القاعدة. «من الأقوال المختلفة» خرج به ما كان موضع وفاق بين العلماء، فلا، مجال للترجيح فيه، وهو ما يعرف بالإجماع. «في تفسير كتاب الله» خرج به الترجيح في غيره من العلوم، كالفقه والنحو وغيرها.

غايتها:

غاية العلم بقواعد الترجيح هي:

١ - معرفة أصح الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير كتاب الله، ومن ثم العمل بها اعتقادا إن كانت من آيات العقيدة، وعملا بالجوارح إن كانت من آيات الأحكام العملية، وسلوكا وأدبا إن كانت من آيات الأخلاق والآداب.

٢ - وتصفيه وتنقية كتب التفسير مما قد علق ببعضها، من أقوال شاذة أو ضعيفة، أو مدسوسة فيها لمذهب عقدي ونحو ذلك.

٣ - استمدادها من أصول الدين، ومن لغة العرب، وأصول الفقه، والقواعد الفقهية، وعلوم الحديث، وعلوم القرآن، واستقراء ترجيحات أئمة التفسير وعرف غير هذا.

وفي موضوعي هذا: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقوية، أو لتضعيف أو ردّ ما سواه.

فقولي: «لتضعيف أوردّ ما سواه» لأنه إذا ضعّف غيره من الأقوال صار ذلك حصرا للصواب فيه، وهذا من أوجه الترجيح.

الاستفهامات المرجحة عند ابن عطية رحمه الله في سورة البقرة

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٤).

محل الاستفهام: "ومن ذريتي؟".

المعنى اللغوي الصريح: ماذا يكون؟

جاء الحديث في هذه الآية عن ابتلاء الله -جلّ ذكره- نبيه إبراهيم -عليه السلام-، والمعنى: اذكر يا محمد -صلى الله على محمد- حين اختبر إبراهيم رب العالمين في كلمات -خصال فطرية حميدة أو مناسك الحج على تنوع الآراء في تحديد مدلولها- فنجح في ذلك الاختبار، وقام بتطبيق وتنفيذ ما أمره الله به، فشرّفه الله مقابل فوزه ونجاحه بأن جعله للناس إماماً، فسأله -تعالى- إبراهيم عليه السلام: ومن ذريتي يا رب ماذا يكون؟ يعني: وهل تجعل من ذريتي أئمة أيضاً؟ قال تعالى: لا يصيب عهدي الظالمين؛ لأن الظالمين وأمثالهم لا يستحقون عهدي ولا يلتزمون أداء أمانتي؛ فإن الإمامة وكل عهد من الله -جلّ وعزّز- تستوجب أن يكون من يكرمه الله -تعالى- بها عادلاً ومطيعاً وأميناً في القيام بها وأداء الأمانة التي على عاتقها.

يعود سبب هذا الاستفهام إلى أن الله تعالى لما اختبر نبيه وخليفه إبراهيم -عليه السلام- بتنفيذ كلمات وإتمامها (خصال) فاز فيه ونجح، وقد وردت في تأويل "كلمات" أقوال عديدة، منها: روي عن ابن عباس وقتادة -رضي الله عنهما-: الكلمات عشر خصال، خمس منها في الرأس: المضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وفرق الرأس، وقيل مكان فرق الرأس: إعفاء اللحية، وخمس في الجسد: تقليم الظفر، وحلق العانة، ونتف الإبط، والاستنجاء بالماء، والاختتان. وقالت طائفة: هي مناسك الحج خاصة، فجعله إماماً للناس ليأتموا به في هذه الخصال ويكون قدوة يقتدي به عباد

(١) - البقرة، الآية: ١٢٤.

الله الصالحون، فاستفهم إبراهيم -عليه السلام- ربه سائلاً: ما الذي يكون من ذريتي يا رب؟ وتقدر أداة الاستفهام "ماذا" محذوفة في هذه الحالة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۗ﴾ ١٢٤ تتحدث الآية عن أن الله -عز وجل- ابتلى إبراهيم -كما يتلى ذريته من بعده- بكلمات من الأوامر والتكاليف، فأتمهم إبراهيم -عليه السلام- وفاء وقضاء، وهذا مقام عظيم، مقام الوفاء والتوفية، وزد على ذلك أن كل هذا حازه خليل الله إبراهيم -عليه السلام- بشهادة الله العلي الحكيم، والإنسان بتعرضه للضعف والقصور لا يوفي ولا يستقيم! عندئذ كان من استحق إبراهيم -عليه السلام- نيل تلك البشرى العظيمة، ألا وهي تتمثل في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ﴾ وهي قيادة الأمة إلى الله رب العالمين وتحكيم شرعه وتبليغ رسالته، وفعل الخير ونشره، ولتبعه الناس ويسودهم، وهذه هي الفطرة السليمة التي قصدها إبراهيم -عليه السلام- لمن يخلفون بعده. ﴿قال ومن ذريتي؟﴾ لكن هناك قاعدة ربانية قد تقررت من عند رب العالمين، وهي ماضية إلى يوم القيامة أن الإمامة والقيادة للذين يتصفون بالعمل ويتزينون بالصلاح، ويملكون الشعور والإيمان، وعلى هذا يستحقونها؛ فيفضل الله عليهم ويجعلهم أئمة قادة، عظماء ملوك، وهي لا تتأتى بالأنساب والقرباة، وتلك القاعدة هي: (لا ينال عهدي الظالمين) هذا لأنه عهد وثيق وحبل متين بين العبد وربّه، الأمر الذي يدعو إلى أنه لا يستحق شرف حمله وأخذه على عاتقه إلا المؤمنون الصادقون في ظاهريهم وباطنيهم، لا الظالمون الذين يسعون في الأرض فساداً، والعاقبة للمتقين.

وما كان الله -تعالى- ليكرّم الظالم بهذا المقام العظيم، ويجعله إماماً يقتدي به الناس، وما كان هذا العهد لينال المجرمين المفسدين، وما دام الأمر على هذه الحال، فلا يستحق من يظلم خلق الله أن يطيعه الإنسان في ظلمه، لأنه محروم وغير مستحق لنيل عهد الله له.

جاءت هذه الآية الكريمة بصيغة الإخبار، إلا أن المنشود الرامي إليها هو الأمر، فالله -عز وجل- -

أمر عباده أن لا يوسّدوا أمور الدين والدنيا إلى ظالم.

الراجح لدى المفسر

يقول القاضي الفقيه الإمام الجليل ابن عطية الأندلسي -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: قول إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَنْ ذَرِّيَّتِي؟﴾: هو على جهة الدعاء والرغبي إلى الله، أي ومن ذريتي يا رب فاجعل، وقيل: هذا منه على جهة الاستفهام عنهم، أي: ومن ذريتي يا رب ماذا يكون؟" أي: ما الشرف الذي ينال ذريتي يا رب؟ فالمعنى "ومن ذريتي يا رب ماذا يكون؟" ^(١) بيان ابن عطية الاختلاف الواقع في المحذوف وذكر قولين بصيغة تمريض يشير إلى الخلاف هل نقدر هنا الهمزة الاستفهام أو نجعل الجملة دعائية ولكن وضع علامة الاستفهام في تفسير الآية يدل بصرحة بأن الهمزة هنا مقدرة وهذا كأنه هو الراجح لديه .

ووافقه في هذا المعنى أبو سعود فقال: ﴿وَمِنْ ذَرِّيَّتِي﴾ عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل أي وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيداً لمن يقول سأكرمك أو بمحذوف أي واجعل فريقاً من ذريتي إماماً وتخصيص البعض بذلك لبدهة استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي؟ ^(٢)

قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ^(٣) .
محل الاستشهاد: "ما تعبدون من بعدي؟".

في هذه الآية احتجاج يقيمه الله -جلّ وعزّ - على المشركين من العرب، تحديداً من أبناء إسماعيل عليه السلام، وعلى الكفار من بني إسرائيل -وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام- بأن النبي يعقوب لما أشرف على الموت، دعا بنيه، ووصّاهم بعبادة الله وحده لا شريك له، إذ سألهم: ما تعبدون من بعدي؟ فأجابوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وحده،

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٢٠٦.

(٢) تفسير أبي سعود لأبي سعود ص ١٥٦ ج ١

(٣) - البقرة، الآية: ١٣٣ .

ونوحّده بالألوهية ولا نشرك به شيئاً، ونحن له مطيعون خاضعون، وهو وعد منهم على إطاعته - تعالى - والخضوع له - تعالى - على جهة الدوام والثبوت.

هذا الخطاب وجّهه الله تعالى إلى اليهود والنصارى الذين افتروا على الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - ونسبوههم إلى اليهودية والنصرانية، فكان هذا ردّاً منه تعالى عليهم، وعزّفهم بأن أنبياءه ورسله كانوا متمسكين بالحنيفة السمحة والإسلام، وقال لهم على جهة التقرّيع والتوبيخ: هل حضرتم يعقوب وعلمتم بما وصّى بنبيه، فتدعون عن علم؟! يعني: لم تشهدوا، بل أنتم تفترون.

الراجع لدى المفسر

حين ظهرت علامات الموت ومقدماته على نبي الله يعقوب - عليه السلام - جمع بنيه وأهله، فاستفهمهم عما يعبدون من بعد موته وقال: ﴿ما تعبدون من بعدي؟﴾ فكان جوابهم: ﴿نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ يقول ابن عطية: ((وعزّ عن المعبود بـ "ما" تجربة لهم، ولم يقل: مَنْ، لئلا يطرق لهم الاهتداء، وإنما أراد أن يختبرهم، وأيضاً فالمعبودات المتعارفة من دون الله تعالى جمادات، كالأوثان والنار والشمس والحجارة، فاستفهمهم عما يعبدون من هذه))^(١). هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الأنبياء صلوات الله عليهم ونسبوههم إلى اليهودية والنصرانية، فرد الله تعالى عليهم وكذبهم، وأعلمهم أنهم كانوا على الحنيفة والإسلام، وقال لهم على جهة التقرّيع والتوبيخ: أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فتدعون عن علم؟، أي لم تشهدوا بل أنتم تفترون،

هنا ذكر ابن عطية الخلاف الواقع في كلمة الاستفهام "أم" هل هي بمعنى الهمزة الاستفهام أم بمعنى بل للإضراب، فقال: وأم تكون بمعنى ألف الاستفهام في صدر الكلام لغة يمانية، وحكى الطبري أن أم يستفهم بها في وسط كلام قد تقدم صدره، وهذا منه، وقال قوم: أم بمعنى بل، والتقدير بل

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٢١٤.

شهد أسلافكم يعقوب وعلمتم منهم ما أوصى به، ولكنكم كفرتم جحدا ونسبتموهم إلى غير الحنيفية عنادا، والأظهر أنها بمعنى بل وألف الاستفهام معاً^(١).

يظهر من كلا ابن عطية بأن الراجح لديه هنا بأن "أم" هنا في معنى الاستفهام و "بل" كلاهما، والدليل عليه قوله "الأظهر".

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضِعَّهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٤٥﴾^(٢).

محل الاستشهاد: "من؟".

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، والقرض عبارة عن كل ما يعطيه الإنسان ليجازى عليه، وهنا في هذه الآية الكريمة سمي الله -تعالى- عمل المؤمنين عبادة كانت أو إخلاصاً له الدين على احتساب ما وعدهم ربحهم بالثواب والأجر-قرضاً؛ وقيل: إن في الآية اختصاراً وتفصيلاً كالآتي: هل من شخص يمدّ عباد الله والمحتاجين من خلقه بالإقراض والإسلاف؟ ومعنى قوله تعالى: (يقرض الله): ينفق في طاعة الله -تعالى- قرضاً حسناً، محتسباً من طيب نفسه، وفسره الإمام ابن المبارك رحمه الله: بأن يكون من مال حلال، وهناك من قال في تفسير (قرضاً حسناً) لا يمين به ولا يؤذي، واختلف المفسرون في قراءة قوله تعالى: (فَيُضَاعَفُهُ لَهُ)، فقد ذهب قوم إلى أنه من التضعيف، أي: "فَيُضَاعَفُهُ" من باب التفعيل، واختار آخرون قراءته: فيضاعفه، أي: بالألف محقفاً، أما تحديد الأضعاف ومدى التضعيف فهو أمر لا يعلمه إلا الله -عزّ وجلّ-، وقيل: المراد به سبع مائة ضعفٍ، وكذا حدث اختلاف في قراءة كلمة: "يبسط" في قوله: (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ)؛ فقد قرأها أهل البصرة وحمزة: "بيسط" بالسين المهملة، وأما الآخرون فقرأوها: "يبسط" بالصاد المهملة، وهناك رأي ضعيف آخر في تفسيره، وهو: يقبض إذا أمسك الرزق والنفس والتقتير، بينما يبسط بالتوسيع

(١): المحرر الوجيز ابن عطية ص ٢١٣ ج ١

(٢) - البقرة، الآية: ٢٤٥.

والنفسيح، وقيل: يقبض حيث يقبل التوبة والصدقة، ويبسط بالخلف والثواب، وورد قول آخر أيضاً، وهو: أن يعنى بهما الإحياء والإماتة، فمنَّ أماته الله فقد قبضه ومن مدَّ له في عمره فقد بسط له، ومعنى قوله تعالى: (وَالْيَهُ تَرْجَعُونَ) إليه إيابكم وعودتكم في نهاية المطاف؛ فيجزى من يعمل مثقال ذرة خيراً بما له، ومن يعمل مثقال ذرة شراً بما عليه، وإنه ليس بظلام لخلقه! .الراجع لدى المفسر يقول ابن عطية في تفسير الآية: "ويروى أن هذه الآية لما نزلت قال أبو الدحداح: "يا رسول الله، أو إن الله يريد منا القرض؟" قال: "نعم، يا أبا الدحداح"، قال: "فإني قد أقرضت الله حائطي"، لحائط فيه ستمائة نخلة، ثم جاء الحائط وفيه أم الدحداح، فقال: "أخرجني فإني قد أقرضت ربي حائطي هذا"^(١).

قال ابن عطية رحمه الله ناطقاً عن نصب كلمة "فيضاعفه" إنما هي منصوبة بأنها وقعت في جواب الاستفهام وإما مرفوع بأن خبر متضمن لمعنى الخبر فقال:

قال القاضي أبو محمد: لأن النصب إنما هو بالفاء في جواب الاستفهام، وذلك إنما يترتب إذا كان الاستفهام عن نفس الفعل الأول ثم يجيء الثاني مخالفاً له. تقول: أتقرضني فأشكرك، وهاهنا إنما الاستفهام عن الذي يقرض لا عن الإقراض، ولكن تحمل قراءة ابن عامر وعاصم في النصب على المعنى، لأنه لم يستفهم عن فاعل الإقراض إلا من أجل الإقراض، فكأن الكلام أيقرض أحد الله فيضاعفه له، ونظير هذا في الحمل على المعنى قراءة من قرأ من يضلل الله فلا هادي له^(٢).

فيظهر جلياً بأن القول الراجع عنده بأن "من" هنا للاستفهام والدليل عليه قوله في تفسيره: "قال القاضي أبو محمد" والثاني ذكر قول أبي علي بأن الرفع فيه أفضل ثم ذكر وجه النصب حملاً على المعنى.

ووافقه أبو سعود في هذا المعنى فقال: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ} من استفهامية مرفوعة المحلّ بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له أو بدلٌ منه وإقراضُ الله تعالى مثلاً لتقديم العمل العاجل طلباً للثواب

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٣٢٩.

(٢) المحرر الوجيز ص ٣٢٩ ج ١

الآجل والمراد ههنا إما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاءً لمرضاته وإما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاماً أولياً
 {فَيُضَاعِفُهُ لَهُ} بالنصب على جواب الاستفهام حملاً على المعنى فإنه في معنى أيقضه وقرئ بالرفع أي يضاعف أجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفةً له بناءً على ما بينهما من المناسبة بالسببية ظاهراً وصيغة المفاعلة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع والنصب^(١)
 كلام أبي سعود ظاهر في معناه وما ذكر من الخلاف فيه فلا أعيده.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(٢).

محل الاستشهاد: "كيف تحي الموتى؟".

تعود قصة نبي الله إبراهيم -عليه السلام- هذه إلى أنه ذات مرة رأى الجيفة تأكل منها الحيتان ودواب البر، أو رأى دابة قد وزعتها السباع على اختلاف أقوال المفسرين فيه -فعجب وسأل هذا السؤال، وما كان استفهام إبراهيم -عليه السلام- عن هيئة إحياء الله الموتى وكيفيته من شك في قدرته تعالى على ذلك، لكنه طلب المعاينة، وهذا الذي اختاره الجمهور في تأويل هذه الآية، وليطمئن قلبه، والشاهد بذلك جوابه عندما سأله الله تعالى تقريراً: ﴿أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ؟﴾ قال: ﴿بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

الراجع لدى المفسر

هل السؤال هنا عن الإحياء مطلقاً أم من هيئة الإحياء؟ لقد ذكر ابن عطية رحمه الله هذين القولين، ورجح بأن المراد من سؤال إبراهيم عليه السلام هو كيفية وهيئة الإحياء والدليل عليه قوله صراحة بأن قول الطبري مردود لدى بأنه قال: دخل بعض ما دخل في قلب إبراهيم عليه السلام واستدل بقول

(١) تفسير أبي سعود لأبي سعود ص ٢٣٨ ج ١

(٢) - البقرة، الآية: ٢٦٠.

أبي هريرة رضي الله عنه "نحن أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام ، فأجاب ابن عطية رحمه الله عن هذا الحديث بأن هذا الحديث متأول كل ما في الأمر أن أداة الاستفهام "كيف" تحمل هنا معناها اللغوي وهو الاستفهام عن هيئة الإحياء وكيفيته، وبه صرح القاضي ابن عطية -رحمه الله- في ذيل تفسير الآية الكريمة، حيث قال: "وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو عن حال شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤول، نحو قولك: كيف علم زيد؟ وكيف نسج الثوب؟ ونحو هذا، ومتى قلت: كيف ثوبك؟ وكيف زيد؟ وإنما السؤال عن حال من أحواله.... ونحو قول البخاري: كيف كان بدء الوحي؟، و ﴿وكيف﴾ في هذه الآية إنما هي استفهام عن هيئة الإحياء، والإحياء متقرر"^(١).

واختلف الناس لم صدرت هذه المقالة عن إبراهيم عليه السلام؟ فقال الجمهور: إن إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكا في إحياء الله الموتى قط، وإنما طلب المعاينة. وترجم الطبري في تفسيره فقال: وقال آخرون سأل ذلك ربه لأنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس أنه قال: ما في القرآن آية أرجى عندي منها، وذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال: رب أرني كيف تحيي الموتى؟ وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: نحن أحق بالشك من إبراهيم الحديث. ثم رجح الطبري هذا القول الذي يجري مع ظاهر الحديث. وقال: إن إبراهيم لما رأى الجيفة تأكل منها الحيتان ودواب البر ألقى الشيطان في نفسه فقال: متى يجمع الله هذه من بطون هؤلاء؟

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٣٥٣.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رحمته الله: وما ترجم به الطبري عندي مردود، وما أدخل تحت الترجمة متأول، فأما قول ابن عباس: هي أرجى آية فمن حيث الإدلال على الله تعالى وسؤال الإحياء في الدنيا، وليست مظنة ذلك، ويجوز أن يقول: هي أرجى آية لقوله، أو لم تؤمن؟ أي إن الإيمان كاف لا يحتاج بعده إلى تنقيح وبجث، وأما قول عطاء بن أبي رباح: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فمعناه من حب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به، ولهذا قال النبي عليه السلام: «ليس الخبر كالمعاينة»، وأما قول النبي عليه السلام نحن أحق بالشك من إبراهيم فمعناه: أنه لو كان شك لنا نحن أحق به ونحن لا نشك، فإبراهيم عليه السلام أحرى أن لا يشك، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم. ^(١)

لقد عرفنا من كلام ابن عطية رحمه الله بأن السؤال هنا ما كان هنا عن الأحياء مطلقا بل كان السؤال من هيئة الإحياء.

ووافق ابن عاشور في هذا القول بل ذكر قول ابن عطية رحمه الله تمكيننا لقوله، وردّ على صاحب الكشاف صراحةً فقال: وليس شكا في قدرة الله تعالى ولكنهم سألوا آية لزيادة اطمئنان قلوبهم بالإيمان بأن ينتقلوا من الدليل العقلي إلى الدليل المحسوس. فإن النفوس بالمحسوس أنس، كما لم يكن لسؤال إبراهيم بقوله رب أرني كيف تحي الموتى [البقرة: ٢٦٠] شكا في الحال. وعلى هذا المعنى جرى تفسير المحققين مثل ابن عطية، والواحدي، والبغوي خلافا لما في «الكشاف» ^(٢)

(١): المحرر الوجيز ص ٣٥٢ ج ١

(٢): ابن عاشور التحرير والتنوير ص ١٠٥ ج ٧

قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ لِمَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

محل الاستشهاد: "أنى لك هذا؟".

نذرت امرأة عمران وقالت: ربّ إني أخذت نذرا أن يكون هذا الولد الذي في بطني، خادما لبيتك بيت المقدس، عتيقا من كل شغل من أشغال الدنيا، لكن وضعت أنثى، فقالت: رب إني وضعتها أنثى، تلهفا وإصرارا صادقا، هذا لأنهم كانوا لا يحررون الإناث لخدمة الكنائس، ولا يجوز ذلك عندهم، وكانت امرأة عمران رجحت أن يكون ما في بطنها ذكرا وسمتها مريم، ولأن دعوتها هذه كانت مبنية على نية صادقة تقبلها ربها بقبول حسن، وحسن نشأتها ويسر تربيتها تربية جيدة سريعة خلقة وخلقا، وكان زكرياء هو المرابي الحاضن لها؛ لكونه قريبا من أقاربها. وكلما دخل عليها زكرياء وجد عندها رزقا، فعجب وسأل: يا مريم أنى لك هذا؟ أي: كيف ومن أين لك هذا الرزق؟

الراجع لدى المفسر

في هذه الآية الكريمة استعملت الأداة الاستفهامية "أنى" في معناها الذي وضعت له لغة، ألا وهو:

الاستفهام بمعنى كيف ومن أين؟ أي: عجب زكرياء -عليه السلام- من كثرة الرزق التي وجدها عند

مريم فقال: يا مريم من أين تحصلين على هذا بهذه الكثرة؟ وكيف يأتيك هذا يا مريم؟ وبه صرح

القاضي أبو محمد ابن عطية الأندلسي في تفسير الآية الكريمة، حيث قال: "وقوله: ﴿أنى﴾ معناه:

كيف ومن أين؟"^(٢).

(١) - آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٤٢٧.

قال ابن عطية رحمه الله: فقال: ﴿يا مريم أنى لك هذا﴾ والذي عليه الناس أقوى مما ذكره ابن إسحاق، وقوله أنى معناه كيف ومن أين؟^(١)

يدل كلام ابن عطية رحمه الله بأن كلمة "أنى" يستخدم في ثلاثة معان، بمعنى كيف، بمعنى متى، بمعنى متى، ولكن الراجح لديه هو بمعنى كيف ومن أين، والدليل على ترجيحه هو قوله: "والذي عليه الناس مما ذكره ابن اسحاق".

وإلى نفس هذا المعنى أشار صاحب البرهان في علوم القرآن فقال:

فأتوا حرثكم أنى شئتم، أي كيف شئتم مقبلة ومدبرة.

وقال الضحاك: متى شئتم ويرده سبب نزول الآية

وقال بعضهم من أي جهة شئتم وهو طبق سبب النزول

وتجيء بمعنى من أين نحو: ﴿أنى لك هذا﴾

وقوله: ﴿أنى يكون لي ولد﴾ ﴿أنى يكون لي غلام﴾

قال ابن فارس: والأجود أن يقال في هذا أيضا كيف وقال ابن قتيبة المعنيان متقاربان^(٢)

كلام بدرالدين الزركشي ظاهر بأن معنى كلمة "أنى" يستخدم في معنى كيف ومن أين وهما معنيان متقاربان.

(١): المحرر الوجيز ص ٤٢٧ ج ١

(٢): البرهان في علوم القرآن ص ٢٤٩ ج ٤ أبو عبدالله بدرالدين محمد بن عبدالله بهادر الزركشي المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى الباني، ص ٢١٥

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أُنَىٰ يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرًا تِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(١).

محل الاستشهاد: "أُنَىٰ يَكُونُ لِي غُلْمٌ؟".

اختلف المفسرون في أن زكرياء لم قال: رب أنى يكون لي غلام؟ فقال عكرمة والسدي: إنه نودي بهذه البشارة، جاء الشيطان يكدر عليه نعمة ربه، فقال: هل تدري من ناداك؟ قال: نادتنى ملائكة ربي، قال بل ذلك الشيطان، ولو كان هذا من عند ربك لأخفاه لك كما أخفيت نداءك، قال: فخالطت قلبه وسوسة وشك مكانه، فقال: رب أنى يكون لي غلام؟

الراجح لدى المفسر

هناك تأويل آخر حسن يليق بشأن زكرياء -عليه السلام-، ذكره ابن عطية في تفسيره، وهو ما يلي: يقول القاضي ابن عطية الأندلسي في تفسير هذه الآية: "وذهب الطبري وغيره إلى أن زكرياء -عليه السلام- لما رأى حال نفسه وحال امرأته، وأنها ليست بحال نسل، سأل عن الوجه الذي به يكون الغلام، أتبدل المرأة خلقها أم كيف يكون؟.... و﴿أُنَىٰ﴾ معناها: كيف ومن أين؟".
صرح ابن عطية في تفسير الآية وهو دليل على ترجحيه بقوله: "سأل عن الوجه الذي به يكون الغلام"^(٢)، وأيضاً وقوله "والذي عليه الناس...." وهو استفهام صريح، تحقق من بيانه أن الأداة الاستفهامية "أُنَىٰ" جاءت في معناها الذي وضعت لها لغة، وهو صريح لفظاً ولغة ومعنى.

(١) - آل عمران، الآية: ٤٠.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب، ج ١، ص ٤٣١.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أُنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

محل الاستشهاد: "أُنَّى يكون لي ولد؟".

إنما قالت مريم: {رَبِّ أُنَّى يكون لي ولد} على جهة استفهام عن جهة حملها واستغراب للحمل على حال بكارتها، و {لم يمسنني}، يحتمل معاني عدة، ويقصد به هنا الوطاء والمجامعة، والمسييس الجماع، ومريم لم تنف مسيس الأيدي، وفي قوله: {كذلك} إشارة إلى أن تكون هذه القدرة التي تتضمنها البشارة بالكلمة، ويحتمل أن تكون إلى حال مريم وبكارتها، وجاء التعبير في أمر زكريا "يفعل" وجاء هنا {يخلق}، لأن أمر زكريا يدخل في الإمكان الذي يتعارف وإن قلّ وندر، وقصة مريم لا تتعارف البتة، فلفظ الخلق أقرب إلى الاختراع وأكثر دلالة عليه، وروي أن عيسى عليه السلام، ولد لثمانية أشهر فلذلك لا يعيش من يولد من غيره لمثل ذلك، وقوله تعالى: {إذا قضى} معناه إذا أراد إيجاد، والأمر واحد الأمور.

الراجع لدى المفسر

وردت أداة الاستفهام "أُنَّى" هنا أيضا في معناها اللغوي صراحة، أي: للاستفهام بمعنى من أين؟ وكيف؟ ويدل على ذلك تصريح القاضي ابن عطية الأندلسي به في تفسيره، حيث يقول: "وقول مريم: ﴿رَبِّ أُنَّى يكون لي ولد﴾ استفهام عن جهة حملها"^(٢). وهذا يدل بأن هذا المعنى راجح عند ابن عطية رحمه الله. ودليل ترجيحه كما ذكرنا سالفًا.

(١) - آل عمران، الآية: ٤٧.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٤٣٧.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَاهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ
أَبْيُتٌ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

محل الاستشهاد: "كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم؟".

يجدر بنا أن نقف أولاً وقفة استعراض للحادث الذي صار سببا في نزول هذه الآية الكريمة، وهو ما
روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: نزلت هذه الآيات: ﴿كيف يهدي الله...﴾ في
الحارث بن سويد الأنصاري، كان مسلما ثم ارتدّ ولحق بالشرك، ثم ندم، فأرسل إلى قومه أن يسألوا
رسول الله -ﷺ-: هل لي من توبة؟

قال: فنزلت ﴿كيف يهدي الله﴾ الآيات، إلى قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾ فأرسل إليه قومه، فأسلم.
وهناك تفاسير أخرى مأثورة في بيان سبب نزولها، كلها تحمل في طياتها أنها نزلت في شخص أو عدّة
أشخاص، أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بالكفر، ثم كتبوا إلى أهلهم يسألونهم: هل لنا من
توبة؟ فنزلت هذه الآيات حتى قوله تعالى: ﴿إلا الذين تابوا﴾.

الراجح لدى المفسر

يقول القاضي الفقيه، الإمام الكبير أبو محمد ابن عطية الأندلسي: وقوله تعالى: كيف سؤال عن حال
لكنه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد للأمر كما قال عليه السلام: كيف تفلح أمة أدمت وجه
نبيها؟ فالمعنى أنهم لشدة هذه الجرائم يبعد أن يهديهم الله تعالى، ويحتمل أن يريد الإخبار عن أن
الظالم في ظلمه ليس على هدى من الله، فتجيء الآية عامة تامة العموم^(٢).

ينتج من كلام ابن عطية رحمه الله بأن كلمة "كيف" هنا للاستفهام عن الحال وهذا هو الراجح لديه
لأن القول الثاني بأن كلمة "كيف" للإخبار ذكر بصيغة "يحتمل" وهذا دليل واضح بأن الاستفهام
هنا في معناه اللغوي الصريح للحال والكيفية.

(١) - آل عمران، الآية: ٨٦.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٤٦٨.

واتفق معه في هذا المعنى الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله فقال: **الِاسْتِفْهَامُ وَهُوَ الْعَالِبُ وَيُسْتَفْهَمُ بِهَا (كيف) عَنْ حَالِ الشَّيْءِ لَا عَنْ ذَاتِهِ^(١).**

كلام السيوطي ظاهر بأن لكلمة "كيف" معان ولكن المعنى الغالب وأكثر الاستعمال هو السؤال عن الكيفية.

(١) الاتقان في علوم القرآن ص ٢٦٤ ج ٢ المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٩٨٣/١٣٩٤ ،

جدول المعاني اللغوية الصريحة الراجحة عند ابن عطية رحمه الله لأدوات الاستفهام في سورة البقرة			
ر.م	أداة الاستفهام	المعنى اللغوي الصريح الراجح	الآية ورقمها
١	ماذا	ماذا يكون؟	﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمت فأتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي﴾ (البقرة: ١٢٤)
٢	ما	الاستفهام عن "ما يعبدون؟"	﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾ (البقرة: ١٣٣)
٣	من	السؤال عن العاقل	﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾ (البقرة: ٢٤٥)
٤	كيف	الاستفهام عن حال إحياء الموتى وكيفيته	﴿وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن﴾ (البقرة: ٢٦٠)

جدول المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة آل عمران			
ر.م	أداة الاستفهام	المعنى اللغوي الصريح الراجح	الآية ورقمها
٥	أنيّ	الاستفهام بمعنى كيف ومن أين؟	﴿قال يا مريم أني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ آل عمران: ٣٧

<p>﴿قال ربّ أتّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ آل عمران: ٤٠</p>	<p>الاستفهام بمعنى كيف يكون؟</p>	<p>أتّى</p>	<p>٦</p>
<p>﴿قالت ربّ أتّى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر﴾ آل عمران: ٤٧</p>	<p>الاستفهام بمعنى كيف ومن أين يكون؟</p>	<p>أتّى</p>	<p>٧</p>
<p>﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ آل عمران: ٨٦</p>	<p>الاستفهام عن الحال</p>	<p>كيف</p>	<p>٨</p>

ترجيحات ابن عطية في الثالث الأول من القرآن الكريم

المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهامية في سورة البقرة:

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١).

محل الاستشهاد: "كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ".

وجّهت الآية خطاباً فيه تقرير وتوبيخ للكفار، بسبب كفرهم بالله - سبحانه - وذكّرهم بنعم الله - جلّ وعزّ - عليهم وقدرته - تعالى - الكاملة البديعة هذه؛ كنتم أمواتاً في العدم، قبل أن تخلقوا، ثم خلقكم ربكم وأخرجكم إلى الدنيا، فأحياكم، ثم يميتكم بعد حياتكم هذه، ثم يحييكم ويبعثكم بعد الموت، ثم ترجعون إلى عقاب الله وعذابه أو ثوابه لتحاسبوا على ما كسبت أيديكم في الدنيا، وما قدمتم لأنفسكم، وهذا مما لا محيد للكفار عن الإقرار به. وقد ورد اختلاف في ترتيب هاتين الموتين والحياتين:

١ - كنتم أمواتاً ٢ - فأحياكم ٣ - ثم يميتكم ٤ - ثم يحييكم.

(\"فقال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد: فالمعنى: كنتم أمواتاً معدومين، قبل أن تخلقوا دارسين، كما يقال للشيء الدارس: ميت، ثم خلقتهم وأخرجتم إلى الدنيا، فأحياكم، ثم أماتكم الموت المعهود، ثم يحييكم للبعث على ما تقدم.\")

وهو أولى الأقوال التي ذهب إليها آخرون في تفسير هاتين الموتين والحياتين.

(١) البقرة، الآية: ٢٨.

"وقال آخرون: كنتم أمواتا بكون آدم من طين ميتا، قبل أن يحيى، ثم نفخ فيه الروح، فأحياكم بحياة آدم، ثم يميتكم ثم يحييكم على ما تقدم".^(١)

يقول القاضي ابن عطية الأندلسي -رحمه الله-: "وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ لفظه الاستفهام، وليس به، بل هو تقرير وتوبيخ، أي كيف تكفرون بالله ونعمه عليكم وقدرته هذه؟! ومن قال إن كيف تقرير وتعجب فمعناه إن هذا الأمر إن من حقه أن يتعجب منه لغرابته وبعده عن المألوف من شكر المنعم"^(٢)

مما يجدر تبيينه هنا هو أن القاضي ابن عطية - رحمه الله - صرح بأن أداة الاستفهام "كيف" لم تكن في الآية للدلالة على معنى الاستفهام الذي وضعت له، وإنما جاءت هذه الأداة لتوحي بمعنيين آخرين، أحدهما: التقرير والتثبيت والتحقيق، والآخر: التوبيخ والنهر والزجر. فالأداة "كيف" أفادت في الآية دلالة التقرير من ناحية، ومن ناحية أخرى دلالة التوبيخ. "وقيل: هي للتعجب والإنكار".^(٣)

الراجع لدى المفسر:

أن أداة استفهام "كيف" هنا استعمل في معناه المجازي بمعنى الإنكار والتقرير والتعجب، ولكن الراجع لدى الإمام المبجل هو معنى الإنكار والتقرير، والدليل عليه ما نصل إليه عبر كلام ابن عطية رحمه الله بأن الاستفهام هنا للتقرير والتوبيخ، ولكنه أشار إلى قول آخر بقوله: "ومن قال.". (ولم يسم بالقائل) بأنه للتعجب أيضا ولكنه ضعيف لديه هذا القول، والقريظة عليه بأنه لم يذكر

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١١٤.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١١٣.

(٣) عبد الكريم محمد يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه - إعرابه، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، طبع في مطبعة الشام، توزيع مكتبة الغزالي، ص ٢٠.

القائل فقط أشار "من قال". والله أعلم وهذا دليل على أن الاستفهام هنا بمعنى التعجب فيه ضعف والراجع هو معناه الإنكار والتقرير.

ولقد ذكر نفس هذا المعنى بدرالدين صاحب البرهان في علوم القرآن فقال:

قال الراغب في تفسيره كيف هنا استخبار لا استفهام والفرق بينهما أن الاستخبار قد يكون تنبيها للمخاطب وتوبيخا ولا يقتضي عدم المستخبر والاستفهام بخلاف ذلك وقال: في المفردات كل: ما أخبر الله بلفظ كيف عن نفسه فهو إخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو توبيخ نحو: {كيف تكفرون} (١).

كلام بدر الدين ظاهر في معناه لا بأنه وضع بأن "كيف" هنا للتوبيخ ولا يجوز بأن نجعله للاستفهام محضا

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).
محل الاستشهاد: "أَجْعَلُ".

هذه الهمزة الاستفهامية تحمل الكثير من المعاني، وقد صرحها ابن عطية بإحالتها إلى أصحابها، يقول عن القاضي أبي محمد أنه ذكر معنيين أو دالتين من معاني الهمزة ودلالاتها في هذا السياق قائلا: "فهذا إما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه، أو من عصيان من يستخلفه

(١): البرهان في علوم القرآن بدرالدين زركشي ص ٣٣١ ج ٤

(٢): البقرة، الآية: ٣٠.

الله".^(١) ففي ذلك جاءت الهمزة دالة على معنى التعجب. ثم أتبعه المعنى الثاني قائلاً: "وإما على طريق الاستعظام والإكبار للفصلين جميعاً، الاستخلاف، والعصيان".^(٢)

ثم جاء ابن عطية برأي أحمد بن يحيى ثعلب وغيره بأن الاستفهام قد جاء في الآية للدلالة على الاستفهام المحض.^(٣) ثم أتبعه برأي لم يصرح بقائله، فقال عنهم: "وقال آخرون: كان الله تعالى قد أعلم الملائكة أنه يخلق في الأرض خلقاً يفسدون ويسفلكون الدماء" الخ. ثم علق على هذا الرأي بأن الاستفهام في الآية يدل على معنى الاسترشاد والاستعلام.

فالاستفهام في الآية يحتمل المعاني الآتية: التعجب، والاستعظام، والإكبار، والاستفهام المحض.

المعنى الراجح لدى المفسر:

ذكر ابن عطية قول بعض المتأولين في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾^(٤) أن الجملة جاءت على جهة الاستفهام، ثم أتبع هذا الرأي قول القاضي أبي محمد ردا عليهم قائلاً: "قال القاضي أبو محمد عبد الحق رحمته: وهذا يحسن مع القول بالاستفهام المحض في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ؟﴾"^(٥) وقد سبق ذكر رأي القاضي أبي محمد بأنه ما فضّل معنى الاستفهام المحض بل إنه ذهب إلى أن الاستفهام في الآية لا يدل إلا على معنيين: أحدهما: التعجب، والآخر: الاستعظام والإكبار.

ثم ذكر رأي جماعة أخرى في معنى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾^(٦) قائلاً: "وقال آخرون: معناه التمدح ووصف حالهم، وذلك جائز لهم".^(٧) ذكر ابن عطية رأي القاضي أبي محمد معلقاً.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١١٧.

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٧.

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٧.

(٤) البقرة، الآية: ٣٠.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١١٨.

(٦) البقرة، الآية: ٣٠.

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ١١٨.

قوله تعالى: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان

الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾^(١)

محل الاستشهاد: "كيف"

لقد أبطل سبحانه وتعالى في هذه الآية إحدى معتقداته، بأنهم يصفون عيسى عليه السلام وأمه بالألوهية، فقال تعالى في هذه الآية: بأن عيسى عليه السلام وأمه ما كانا إلهين بل كان عيسى عليه السلام نبيا محضا ، ويدل على هذا القصر الإضافي قوله تعالى، "المسيح ابن مريم إلا رسول" أي ما كان يتجاوز من الرسالة والنبوة، وأمه كان صديقة طاهرة عفيفة، ثم أمر تعالى مُحَمَّدًا ﷺ وفي الضمن أمته بالنظر في ضلال هؤلاء القوم وبعدهم عن سنن الحق، وأن الآيات تبين لهم وتبرز في غاية الوضوح، ثم هم بعد ذلك يصرفون أي تصرفهم دواعيهم ويزيلهم تكسلهم عن الحق،

القول الراجح لدى المفسر:

قال ابن عطية رحمه الله في تفسير الاستفهام، وكيف في هذه الآية ليست سؤالا عن حال لكنها عبارة عن حال شأنها أن يسأل عنها بكيف وفيه معنى التعجب لا محالة، وهذا كقولك: كن كيف شئت فأنت صديق،^(٢)

(١): سورة المائدة الآية: ٧٥

(٢): المحرر الوجيز ابن عطية: ص ٢٢٢ ج ٢

نتج من كلام ابن عطية رحمه الله بأن الاستفهام هنا في الآية المذكورة يمكن أن نستعمل في معنيين: السؤال عن الحال والثاني عن شأن الحال، وهنا في معنى الثاني، والدليل عليه استدلاله عن كلام العرب، كما أن العرب يقولون: كن كيف شئت فأنت صديق.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)

محل الاستشهاد: "ما"

لقد ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية استهزاء المنافقين والمشركين، فكانوا يقولون ويحلفون بأغلاظ الأيمان لو جاءت الآية كما طلبنا لآمنوا بك وصدقناك، إن الله تعالى رد قولهم هذا وأخبر الأنصار والمهاجرين الذين يحرضون على إيمانهم بأنهم كاذبون في أقوالهم، وما يريدون إلا الاستهزاء بالدين وأهله، ولو جئنا بجميع الآيات لديهم لما آمنوا وصدقوك.

هنا وردت في الآية المباركة كلمة "ما" هل هو للاستفهام أم النافية؟ لقد ذكر ابن عطية رحمه الله قولين مع الشرح والتفصيل، نذكرهما كما ذكر ابن عطية رحمه الله حتى يتجلى الخلاف. فقال: قوله تعالى: "وما يشعركم" فاختلف المتأولون فمن المخاطب من الضمير المنصوب بقوله "وما يشعركم" ومن المستفهم بـ «ما» التي يعود عليها الضمير الفاعل في «يشعركم»، فقال مجاهد وابن زيد:

المخاطب بذلك الكفار، وقال الفراء وغيره، المخاطب بما المؤمنون، وما يشعركم معناه وما يعلمكم

(١): سورة الأنعام الآية ١٠٩

وما يدريككم؟ وقرأ قوم «يشعركم» بسكون الراء، وهي على التخفيف، ويجسناها أن الخروج من كسرة إلى ضمة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية دواد الأيادي «إنها» بكسر الألف على القطع واستثناف الإخبار، فمن قرأ «تؤمنون» بالتاء وهي قراءة ابن عامر وحمزة استقامت له المخاطبة أولاً وأخراً للكفار، ومن قرأ «يؤمنون» بالياء وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والكسائي فيحتمل أن يخاطب أولاً وآخر المؤمنين، ويحتمل أن يخاطب بقوله وما يشعركم الكفار ثم يستأنف الإخبار عنهم للمؤمنين، ومفعول يشعركم الثاني محذوف ويختلف تقديره بحسب كل تأويل، وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي وابن عامر «أنها» بفتح الألف، فمنهم من جعلها «أن» التي تدخل على الجمل وتأتي بعد الأفعال كعلمت وظننت وأعمل فيها يشعركم، والتزم بعضهم «أن لا» زائدة في قوله لا يؤمنون وأن معنى الكلام وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو تؤمنون فزيدت لا كما زيدت في قوله وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون [الأنبياء: ٩٥] لأن المعنى وحرام على قرية مهلكة رجوعهم.

ودعا إلى التزام حفظ هذا المعنى لأنها لو لم تكن زائدة لعاد الكلام عذراً للكفار وفسد المراد بالآية، وضعف الزجاج وغيره زيادة لا وقال هذا غلط، ومنهم من جعل «أنها» بمعنى لعلها وحكاها سيبويه عن الخليل وهو تأويل لا يحتاج معه إلى تقدير زيادة لا، وحكى الكسائي أنه كذلك في مصحف أبي بن كعب: وما أدراكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون، فهذه كلها بمعنى لعل وضعف أبو علي هذا بأن التوقع الذي فيه لا يناسب الآية بعد التي حكمت بأنهم لا يؤمنون، وترجح عنده في

الآية أن تكون «أن» على بابها وأن يكون المعنى قل إنما الآيات عند الله لأنها إذا جاءت «لا يؤمنون»، فهو لا يأتي بها لإصرارهم على كفرهم، وتكون الآية نظير قوله تعالى: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون [الإسراء: ٥٩] أي بالآيات المقترحة.

قال القاضي أبو محمد رحمته: ويترتب على هذا التأويل أن تكون «ما» نافية، ذكر ذلك أبو علي فتأمل وترجح عنده أيضا أن تكون لا زائدة، وبسط شواهد في ذلك، ووافقه بدرالدين في هذا المعنى ولكن ذكره بصيغة التمریض فقال: وقيل: نافية وحذف المعطوف أي وأنهم يؤمنون.^(١) قال القاضي أبو محمد رحمته: وهذا قول ضعيف لا يعضده لفظ الآية ولا يقتضيه وتحتل الآية أن يكون المعنى يتضمن الإخبار أنهم لا يؤمنون، وقيل لهم وما يشعركم بهذه الحقيقة أي لا سبيل إلى شعوركم بها وهي حق في نفسها وهم لا يؤمنون أن لو جاءت، وما استفهام على هذا التأويل.^(٢)

الراجع لدى المفسر:

لقد ذكر بكل وضوح ابن عطية رحمه الله تأويل أبي علي بأنها للنفي ولكن ثم ضعف قوله بقوله: "وهذا قول ضعيف لا يعضده لفظ الآية" لأن لفظ الآية لا يوافقه ولا يؤيده، ثم ذكر بأن كلمة "ما" هنا للاستفهام ليس للنفي، والمعنى: وما يدريكم بهذه الحقيقة وهي بنفسها بأنهم لا يؤمنون.

(١): البرهان في علوم القرآن بدرالدين ص ٨١ ح ٣

(٢): المحرر الوجيز ابن عطية ص ٣٣٤ ج ٢

قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا

في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾^(١)

محل الاستشهاد: "من"

أن الله تعالى ذكر في هذا الآيات، بأن أهل الجاهلية حرموا من الزينة حسن الملابس وتزيين الجسد والطيبات من المآكل والملذات، وأنبا قوله تعالى - قبل ذلك - وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها [الأعراف: ٢٨] بأن أهل الجاهلية يعزون ضلالهم في الدين إلى الله، فأنتج ذلك أنهم ادعوا أن ما حرموه من الزينة والطيبات قد حرمه الله عليهم، أعقب مجادلتهم ببيان ما حرمه الله حقا وهم ملتبسون به وعاكفون على فعله.

فأمر الله تعالى لنبيه ﷺ ليسئله عن حرم ما أحل الله وحرم ما أحله، قال ابن عطية رحمه الله وأمر الله عز وجل نبيه عليه السلام أن يسأله عن حرم ما أحل الله على جهة التوبيخ والتقرير وليس يقتضي هذا السؤال جوابا، وإنما المراد منه التوقيف على سوء الفعل، وذكر بعض الناس أن السؤال والجواب جاء في هذه الآية من جهة واحدة وتخييل قوله: قل هي للذين آمنوا جوابا.^(٢)

(١): سورة الأعراف الآية: ٣٢

(٢): المحرر الوجيز ابن عطية : ٣٩٣ ج ٢

الراجح لدى المفسر:

قال عطية رحمه الله هنا عن الاستفهام، أن الاستفهام هنا استفهام مجازي لا حقيقي أي للتوبيخ والتقرير وليس المقصود هنا من السؤال جواباً، وهذا هو الراجح لديه، والدليل عليه ما ذكر بعده من القول الثاني ذكره بتعبير " قال بعض الناس " الذي هو دليل على ضعفه وترجيح للقول الأول. والدليل الثاني على ترجيح القول الثاني رده الشنيع في تفسيره على القول الثاني حيث قال: قال القاضي أبو محمد: وهذا نظر فاسد ليس ذلك بجواب السؤال ولا يقتضي هذا النوع من الأسئلة جواباً. والله أعلم

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَمَّنْ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يُأْتِيَهُمُ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١)

محل الاستشهاد: "أ"

هذه الآية تتضمن وعيدا للكفار المعاصرين لمحمد ﷺ لأنه لما أخبر عما فعل في الأمم الخالية قال: ومن يؤمن هؤلاء أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك، وهذا استفهام على جهة التوقيف، قال الله تعالى: هل هناك من يمنع عذابي إذا أتاك ليلاً أو نهاراً، كلا، لأن عذاب الله لا يمنعه أحد إذا جاء.

الراجح لدى المفسر:

هنا وردت كلمة "أؤمن"، اختلف المفسرون فيها: قال ابن عطية رحمه الله: قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أوأمن بسكون الواو وإظهار الهمزتين، وقرأ ورش عن نافع «أوامن» بفتح الواو وإلقاء حركة

(١): سورة الأعراف/ الآية: ٩٨

الهمزة الثانية عليها، وهذه القراءة في معنى الأولى ولكن سهلت، وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي، «أو أمن» بفتح الواو وإظهار الهمزتين ومعنى هذه القراءة: أنه دخل ألف الاستفهام على حرف العطف، ومعنى القراءة الأولى: أنه عطف با "و" التي هي لأحد الشيئين، المعنى: أفأمنوا هذا أو هذا كما تقول: أجاز زيد أو عمرو وليست هذه أو التي هي للإضراب عن الأول كما تقول: أنا أقوم أو أجلس وأنت تقصد الإضراب عن القيام والإثبات للجلوس وتقريره، وقولنا التي هي لأحد الشيئين يعم الإباحة والتخيير كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين أو قولك: جالس الحسن أو جالس ابن سيرين.^(١)

الراجع لدى المفسر

لقد يظهر جلياً بأن الراجع هنا عند ابن عطية رحمه الله هو قراءة عاصم وأبو عمرو، وهؤلاء جعلوا الهمزة الواقعة هنا همزة استفهام لا ليست همزة تأتي مع واو العطف، والدليل عليه هو تفسيره للآية بالمعنى الاستفهامي ووضع العلامة الاستفهام هناك، وهذا دليل رجاحة القول الأول وضعف القول الثاني.

(١): المحرر الوجيز ابن عطية ص ٤٣٢ ج ٢

جدول المعاني الدلالية الصريحة الراجعة عند ابن عطية لأدوات الاستفهام

الأعداد	كلمة الاستفهام	المعنى الراجع	الآية ورقمها
١	كيف	الإنكار والتقريب	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ سورة البقرة الآية: ٢٨
٢	كيف	السؤال عن حال شأن الحال لا عن الحال	﴿الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ سورة المائدة الآية ٧٥
٣	ما	للاستفهام لا للنفي	﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ سورة الأنعام الآية: ١٠٩
٤	من	للتوبيخ استفهام لا يحتاج إلى الجواب	﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات﴾ سورة الأعراف الآية: ٣٢
٥	أ	الهمزة للاستفهام	﴿أو أمن أهل القرى أن يأتيهم﴾ سورة الأعراف الآية: ٩٨
٦	أ	التعجب والاستعظام	﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ البقرة: الآية: ٣٠

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلوة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى اله وصحبه أجمعين، بعون الله وتوفيقه قد أكملت هذا البحث المعنون بعنوان " أدوات الاستفهام و دلالاتها" في الثالث الأول من القرآن الكريم من "تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".

ما ادعيت ولن أدعى بأنني قد قمت بحق البحث بل أقر بتقصيري مهما أجدت فيه، وأقول أيضا ليس هذا البحث خاتمة في هذا الباب بل هنا ميدان خصب لمن أراد أن يسقيه بمجهوداته العلمية، حاولت في البحث أن أكشف الأدوات الاستفهامية وعن معانيها اللغوية والدلالية، ثم النقطة الرئيسية التي تدور حولها البحث هو تفسير مشهور مشهود له في التفنن العلمي والبراعة التفسيرية تفسير ابن عطية الأندلسي المسمي ب "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وقسمت أدوات الاستفهام أولا إلى اللغوية والدلالية، ثم قسمت كل واحد منهما إلى المصرحة وغير المصرحة في تفسير ابن عطية الأندلسي، ثم ذكرت في الباب الثالث من ترجيحات ابن عطية - رحمه الله - لمكانته ومنزلته بين المفسرين في الأدوات الاستفهامية الدلالية واللغوية، لم أتبع في المعاني المصرحة في التفسير لتفسير الآية بتمامها إلا قليلا ، بل شرحت أداة الاستفهام الموجود في الآية، والكتفاء بكل ما هو موجود في المحرر الوجيز وضربت عن تفسير الآية بتمامها صفحا لأنه غير داخل في موضوعنا، ولكن المعاني غير المصرحة قد أثبتتها من المصادر الموثوقة من تفاسير مفسري هذا الفن. أسأل الله تعالى أن يقبل منا هذا الجهد وجعله في ميزان حسناته.

النتائج:

من أهم النتائج التي توصلت إليها أثناء كتابة المقالة هي مما تلي:

- ١- أن الثلاث الأول من القرآن الكريم ميدان خصب للمعاني اللغوية و الدلالية ولأساليب الاستفهام .
- ٢- أن الهمزة من أكثر أدوات الاستفهام استخداما في الثلاث الأول من القرآن الكريم وهي أم الباب.
- ٣- إن من أكثر المعاني المجازية ورودا في الثلاث الأول من القرآن الكريم : الإنكار ثم النفي ، ثم التوبيخ ، ثم التقرير، ثم الاستبعاد.
- ٤- إن من أقل المعاني المجازية ورودا في الثلاث الأول من القرآن الكريم: التسوية ، ثم أيانَ، الأول في سورة البقرة والثاني في سورة الأعراف.
- ٥- و ورد الاستفهام الحقيقي تقريبا في خمس وعشرين آية من الثلاث الأول في القرآن الكريم بينما ورد الاستفهام المجازي قرابة مائة مرة الذي أخذنا في هذا البحث.
- ٦- أن تفسير ابن عطية -رحمه الله - المحرر الوجيز تفسير يليق بالاهتمام لتفسير القرآن الكريم ، لأنه فسر الآية وسرد معانيها المجازية واللغوية عموما.
- ٧- لقد توصلت بعد دراسة تفصيلية وعميقة بأن عدم الصراحة لمعنى الاستفهام في تفسير المحرر الوجيز لا يدل على نقص أو خلل في التفسير، بل سبب عدم صراحة المعنى إما بسبب سبق ذكره أو بسبب وضوح معناه، أو كون هذا المعنى متفق عليه بين المفسرين.

التوصيات:

من خلال النتائج التي توصلت إليها الباحثة توصي بالآتي:

- ١- الدراسة العميقة لأساليب لغوية ودلالية في التراث العربي عامة والقرآن الكريم خاصة.
- ٢- إخراج الدرر المكنونة في الآيات القرآنية التي وردت فيها أداة من أدوات الاستفهام وخاصة في الثلاث الأول من القرآن الكريم، لأنها تحمل في جنباتها المعاني يمكّنك على خدمة كتاب الله وفهمه.
- ٣- دراسة المتبقي من الثلاثين من القرآن الكريم والتعمق في الاستفهامات الدلالية واللغوية.
- ٤- تفسير ابن عطية تفسير يستحق عناية الدارس كل العناية ، لأنه تفسير جليل و حلل المعاني القرآنية للآيات بأسلوب يفهمها القاصي والداني.
- ٥- العملية الدراسية لكل أداة من أدوات الاستفهام على حده، وذكر الآيات التي استخدم فيها الاستفهام.
- ٦- رصد أدوات وأغراض الاستفهام الأكثر استخداما عند الخطباء والمرشدين والوعاظ.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً:

١- الاتقان في علوم القرآن ج ٢ المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي، المحقق: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤/١٩٨٣ عدد الأجزاء: ٤.

٢- الأحرف السبعة للقرآن المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) المحقق: د. عبدالمهيمن طحان الناشر: مكتبة المنارة مكة المكرمة الطبعة: الأولى ١٤٠٨.

٣- الأدب المفرد المؤلف: مُجَّد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ هـ - ٢٥٦ هـ) حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستفيداً من تخریجات وتعليقات مُجَّد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م عدد الصفحات: ٧٤٤.

٤- الاستنباط عند الخطيب الشربيني (٩٧٧ هـ) في تفسيره السراج المنير - جمعاً ودراسة رسالة: ماجستير، جامعة الإمام مُجَّد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه إعداد: أسماء بنت مُجَّد بن عبدالعزيز الناصر إشراف: د عبدالعزيز بن ناصر السبر

٥- استنباطات الشوكاني في تفسيره «فتح القدير» جمعاً ودراسة رسالة الدكتوراة، جامعة الإمام مُجَّد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين قسم القرآن وعلومه إعداد: خلود شاكر فهيد العبدلي إشراف: يوسف بن عبد العزيز الشبل

٦- الأساس في التفسير المؤلف: سعيد حوى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) الناشر: دار السلام - القاهرة الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ

- ٧- أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه - ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، المؤلف: عبد الكريم مُجَّد يوسف، طبع في مطبعة الشام، توزيع مكتبة الغزالي.
- ٨- الأساليب الإنشائية في آيات بني اسرائيل في جامعة السودان رسالة الدكتوراة غير منشورة مُجَّد باجس موسى زياد، .
- ٩- إعراب القرآن الكريم إعداد الأساتذة: عبد الله علوان، خالد الخولي، مُجَّد إبراهيم، صبري عبد العظيم، جاد العزب، السيد فرج.
- ١٠- إعراب القرآن وبيانه، محي الدين بن أحمد مصطفى درويش، الناشر: دار الارشاد للشئون الجامعية دمشق بيروت، الطبعة الرابعة
- ١١- إعراب القرآن أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن مُجَّد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم الناشر: منشورات مُجَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى،
- ١٢- الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط المؤلف: د. ياسين جاسم المحميد
- ١٣- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق المؤلف: عائشة مُجَّد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطيء (ت ١٤١٩هـ) الناشر: دار المعارف الطبعة: الثالث.
- ١٤- أقوال الحسين بن الفضل في التفسير (ت ٢٨٢ هـ) رسالة: ماجستير، جامعة الإمام مُجَّد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه إعداد: نادية بنت إبراهيم النفيسة إشراف: حجاج عربي رمضان.
- ١٥- أقوال الطحاوي في التفسير من أول القرآن حتى نهاية سورة التوبة جمعاً ودراسة رسالة: ماجستير، جامعة الإمام مُجَّد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه إعداد: مُجَّد بن عبد الله الوزرة الدوسري إشراف: د حسن مُجَّد عبد العزيز علي.

- ١٦- أممؤذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل المؤلف: زين الدين أبو عبد الله مُمَّجِد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي الناشر: دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١ .
- ١٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُمَّجِد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) المحقق: مُمَّجِد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- ١٨- أوضح التفاسير المؤلف: مُمَّجِد عبد اللطيف بن الخطيب (ت ١٤٠٢هـ) الناشر: المطبعة المصرية ومكبتها الطبعة: السادسة،
- ١٩- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير) المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر جابر الجزائري الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م عدد الأجزاء: ٥
- ٢٠- إيضاح الوقف والابتداء المؤلف: مُمَّجِد بن القاسم بن مُمَّجِد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ) لمحقق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ٢٢- البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان مُمَّجِد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثيرالدين الاندلسي (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي مُمَّجِد جميل، الناشر: دارالفكر - بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ.
- ٢٣- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن مُمَّجِد بن المهدي، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي الطبعة ١٤١٩ .
- ٢٤- بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن مُمَّجِد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧هـ)
- ٢٥- البرهان في علوم القرآن ص ٢٤٩ ج ٤ أبو عبدالله بدرالدين مُمَّجِد بن عبدالله بهادر الزركشي المحقق مُمَّجِد أبو الفضل إبراهيم الطبعة : الأولى، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى الباني.

- ٢٦- بيان المعاني المؤلف: عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت ١٣٩٨هـ) الناشر: مطبعة الترقى - دمشق.
- ٢٧- تأملات قرآنية المؤلف: أبو هاشم صالح بن عواد بن صالح المغامسي مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- ٢٨- التبيان في إعراب القرآن أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) الناشر : عيسى البابي الحلبي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة.
- ٢٩- تفسير القرآن المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى.
- ٣٠- تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي (ت ٦٤٣ هـ) تحقيق وتعليق: د موسى علي موسى مسعود، د أشرف محمد بن عبد الله القصاص الناشر: دار النشر للجامعات.
- ٣١- التفسير اللغوي للقران الكريم، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة : الأولى، ١٤٣٢هـ، عدد الصفحات: ٧٢٤
- ٣٢- تفسير القرآن الكريم «سورة آل عمران» المؤلف: محمد بن صالح العثيمين الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة، ١٤٣٥.
- ٣٣- تفسير الماوردي النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
- ٣٤- تفسير الجلالين المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى.

- ٣٥- التفسير المنير، الإمام الزحيلي، الناشر: دار الفكر (دمشق ، سورية) الطبعة: الأولى ١٤١١.
- ٣٦- تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، الناشر دار الكلم الطيب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩
- ٣٧- تفسير البغوي "معالم التنزيل"، محمد الحسين بن مسعود (٥١٦هـ)، البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط: ١٤٠٩هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض السعودية،
- ٣٨- تفسير أبي سعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو سعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت-٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٣٩- تفسير المراغي المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م عدد الأجزاء: ٣٠
- ٤٠- تفسير الشيخ أحمد حطية المؤلف: الشيخ الطيب أحمد حطية مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
- ٤١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية لبي وشركاه
- ٤٢- التفسير القرآني للقرآن المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ) الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة
- ٤٣- تفسير الجلالين المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى
- ٤٤- تفسير عبد الرزاق المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الناشر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو

الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨ هـ دار النشر: دار القلم , الدار الشامية - دمشق،

٤٥- تفسير القرآن الكريم «سورة آل عمران» المؤلف: محمد بن صالح العثيمين الناشر: دار ابن

الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة، ١٤٣٥ هـ عدد الأجزاء: ٢

٤٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نضضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى

٤٧- التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون المؤلف: الأستاذ الدكتور مأمون حموش المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش

٤٨- تفسير الشعراوي - الخواطر المؤلف: محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨ هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم

٤٩- التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم، للإمام الطبراني كذا سماه المحقق، وعزاه، والصواب أنه تفسير «كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل» للحداد اليميني (ت ٨٠٠ هـ) لمحقق: هشام بن عبد الكريم البدراني الموصلية الناشر: دار الكتاب الثقافي الأردن - إربد

٥٠- تيسير في التفسير يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية (المؤلف: نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (٤٦١ - المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون الناشر: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول - تركيا الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.

- التحرير والتنوير لابن عاشور: الدار التونسية للنشر ١٨٨٤

٥١- الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي الناشر: دارالكتب العلمية القاهرة الطبعة الثانية ١٣٧٤ عدد الأجزاء ٢٠

٥٢- الجامع الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ) عني بمقابلة

أصوله: أبو الوفاء الأفعاني ت ١٣٩٥ هـ الناشر: لجنة إحياء المعارف النعمانية بجيدر آباد الدكن بالهند، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م

- ٥٣- الجامع الكبير (سنن الترمذي ٥٩- السنن الترمذي المؤلف: أبو عيسى مُجَّد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م عدد الأجزاء: ٦
- ٥٤- جمهرة اللغة المؤلف: أبو بكر مُجَّد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م عدد الأجزاء: ٣
- ٥٥- الجواهر الحسان في تفسير القرآن المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن مُجَّد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ) المحقق: الشيخ مُجَّد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- ٥٦- الحجة في القراءات السبع المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، (المحقق: د. عبد العال سالم مكرم [ت ١٤٢٩ هـ] الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت الناشر: دار الشروق - بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ
- ٥٧- الحكم من المعاملات والمواريث والنكاح والأطعمة في آيات القرآن الكريم المؤلف: أبو بكر بن مُجَّد فوزي رسالة: ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - قسم التفسير.
- ٥٨- دراسات الأسلوب القرآن الكريم المؤلف: مُجَّد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٤ هـ) تصدير: محمود مُجَّد شاعر الناشر: دار الحديث، القاهرة الطبعة: بدون عدد الأجزاء: ١١
- الدخيل في التفسير المرحلة: ماجستير المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية الناشر: جامعة المدينة العالمية.
- دلائل الإعجاز للجرجاني تعليق مُجَّد شاعر: مكتبة الخانجي القاهرة ط ٣ ١٩٩٢.
- ٥٩- روائع البيان تفسير آيات الأحكام المؤلف: مُجَّد علي الصابوني طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي الناشر: مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م عدد الأجزاء: ٢

- ٦٠- روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (١٢٧٠هـ)، حققه: علي عبدالباري عطية، الناشر: دارالكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء ١٦
- ٦١- روح البيان المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوئي، المولى أبو الفداء (ت ١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت.
- ٦٢- زهرة التفاسير المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي.
- ٦٣- السراج في بيان غريب القرآن المؤلف: محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيرى الناشر: بدون ناشر (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض) الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
- ٦٥- سنن ابن ماجه ت الأرئووط المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م عدد الأجزاء: ٥
- ٦٦- السنن الكبرى المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م عدد الأجزاء: ١٢.
- ٦٧- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب كلامها، ابن فارس، تحقيق وتدقيق الدكتور مصطفى الشومى ١٩٦٤
- ٦٨- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١
- ٦٩- الصحيح المسند من أسباب النزول المؤلف: مُقبِلُ بنُ هَادِي بنِ مُقبِلِ بنِ قَائِدَةَ الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة ٢٠٠٤.

- ٧٠- صحيح البخاري المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المحقق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م عدد الأجزاء: ٧ (الأخير فهارس).
- ٧١- العجائب في بيان الأسباب المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس الناشر: دار ابن الجوزي عدد الأجزاء: ٢
- ٧٢- العذب النمي من مجالس الشنقيطي في التفسير [آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي (٢)] المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣ هـ) لمحقق: خالد بن عثمان السبت الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت).
- ٧٣- غرائب القرآن و رغائب الفرقان المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- ٧٤- غريب القرآن المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٧٥- الغريبين في القرآن والحديث المؤلف: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ) تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزدي قدم له وراجعته: أ. د. فتحي حجازي الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ .
- ٧٦- فتح الرحمن في تفسير القرآن المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٧ هـ) اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب الناشر: دار النوادر
- ٧٧- فتح البيان في مقاصد القرآن المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت ١٣٠٧هـ).
- ٧٨- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد المؤلف: المنتجب الهمداني (ت ٦٤٣ هـ) حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح لناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م عدد الأجزاء: ٦

- ٧٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري
جار الله الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثالثة - ١٤٠٨ هـ
- ٨٠- الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية المؤلف: د. عبد الله خضر حمد الناشر: دار القلم،
بيروت - لبنان
- ٨١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)
أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، تحقيق: عدد من الباحثين الناشر:
دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية
- ٨٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه
الكشاف) (المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨ هـ) الناشر:
دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
- ٨٣- لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي
أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١ هـ) تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية
بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٨٤- لسان العرب ابن منظور دار الإحياء والتراث بيروت ط ١٢٩٠.
- ٨٤- اللباب في علوم القرآن، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي والدمشقي ،
الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان ، الطبعة: الأولى.
- ٨٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري
الرويعي الأفريقي، (ت ٧١١ هـ)، الحواشي : لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر -
بيروت. الطبعة : الثالثة، ١٤١٤ هـ ، عدد الأجزاء: ١٥
- ٨٦- لمسات بيانية المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي أعده للشاملة:
أبو عبد المعز
- ٨٧- اللغات في القرآن المؤلف: عبد الله بن الحسين بن حسنون، أبو أحمد السامري حققه
ونشره: صلاح الدين المنجد الناشر: مطبعة الرسالة، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦.

- ٨٨- مختصر تفسير ابن كثير المؤلف: (اختصار وتحقيق) مُجَّد علي الصابوني الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م عدد الأجزاء: ٣
- ٨٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، أبو مُجَّد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية، تحقيق عبد السلام الشافعي مُجَّد، الناشر: دارالكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٩٠- معاني القرآن المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧ هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي / مُجَّد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر الطبعة: الأولى
- ٩١- معاني القرآن المؤلف أبو جعفر النحاس أحمد بن النحاس المحقق مُجَّد علي الصابوني الناشر: أم القرى مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٠٩ -
- ٩٢- معاني القرآن للأخفش [معتزلي] المؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ) الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ٢
- ٩٣- معاني القراءات للأزهري المؤلف: مُجَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠ هـ) الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م عدد الأجزاء: ٣
- ٩٤- معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، المؤلف: حسن عزالدين بن عبدالفتاح أحمد الجمل. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣/٢٠٠٨ عدد الأجزاء ٥
- ٩٥- معاني القرآن وإعرابه المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلي الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٩
- ٩٦- معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن المؤلف: حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨ م عدد الأجزاء: ٥

- ٩٧- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، د.ت)
- ٩٨- معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات) المؤلف: أ. د. أحمد حسن فرحات الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- ٩٩- مغني اللبيب عن كتب الأعراب المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ) المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله الناشر: دار الفكر - دمشق
- ١٠٠- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي المقلب بفخرالدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة-١٤٢٠ هـ
- ١٠١- من بلاغة القرآن المؤلف: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت ١٣٨٤هـ) الناشر: نهضة مصر القاهرة عام النشر: ٢٠٠٥
- ١٠٢- موسوعة التفسير المأثور إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية المشرفون: أ. د. مساعد بن سليمان الطيار - د. نوح بن يحيى الشهري الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي- دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ - ٢٠١٧
- ١٠٣- موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ) (تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف الناشر: المكتبة العلمية الطبعة: الثانية، مزيّدة منقحة عدد الصفحات: ٣٤٥.
- ١٠٣- نواهد الأبقار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراة).

- ١٠٥- النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن سلسلة: ذخائر العرب (١٦) المؤلف: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ) المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف بمصر
- ١٠٦- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى).
- ١٠٧- الوسيط في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
- ١٠٨- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه المؤلف: أبو محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي الماللكي: المحقق: مجموعة رسائل جامعة بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة.

فهرس المحتويات

الباب الأول.....	١٥
المعاني الصريحة لأدوات الاستفهام في الثلاث الأول من تفسير "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".	١٥
الفصل الأول.....	١٧
مدخل:	١٧
المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام التي وردت في سورة البقرة:	٢١
المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام التي وردت في سورة آل عمران:	٣٦
جدول المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة البقرة.....	٥٢
جدول المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة آل عمران.....	٥٤
جدول المعاني اللغوية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة الأعراف.....	٥٦
الفصل الثاني.....	٥٧
المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام.....	٥٧
مدخل:
المعاني الدلالية الصريحة للأدوات الاستفهامية في سورة البقرة:	٩٠
المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة آل عمران:	٧٨

المعاني الدلالي الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة المائدة:	١١٠
جدول المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة البقرة	١٣٢
جدول المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة آل عمران	١٣٤
جدول المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة النساء	١٣٤
جدول المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة المائدة	١٣٩
جدول المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة الأنعام	١٣٩
جدول المعاني الدلالية الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة الأعراف	١٤١
الباب الثاني	١٤٣
المعاني غير الصريحة لأدوات الاستفهام في الثالث الأول من تفسير "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"	١٤١
الفصل الأول	١٤٢
المعاني اللغوية غير الصريحة لأدوات الاستفهام	
مدخل إلى الموضوع:	
الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة في سورة البقرة	١٤٤
الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة في سورة آل عمران	١٤٨
الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة في سورة النساء	١٥٢
الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة في سورة المائدة	١٥٣
الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة في سورة الأعراف	١٥٥

١٥٩	جدول الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة وردت في سورة البقرة.....
١٦٠	فهرس الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة وردت في سورة النساء.....
١٦٣	فهرس الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة وردت سورة المائدة.....
١٦٣	فهرس الاستفهامات اللغوية غيرالصريحة وردت في سورة الأعراف.....
١٦٤	الفصل الثاني.....
١٦٤	المعاني الدلالية غير الصريحة لأدوات الاستفهام.....
١٦٤	مدخل إلى الموضوع:.....
	الاستفهامات الدلالية غيرالصريحة في الثالث الأول من القرآن الكريم من تفسير "المحرر الوجيز":
١٦٦
١٦٦	الاستفهامات الدلالية غيرالصريحة في سورة البقرة.....
١٨٧	الاستفهامات الدلالية غيرالصريحة في سورة آل عمران.....
٢٠٠	الاستفهامات الدلالية غيرالصريحة في سورة النساء.....
٢١٠	الاستفهامات الدلالية غيرالصريحة في سورة المائدة.....
٢١٩	الاستفهامات الدلالية غيرالصريحة في سورة الأنعام.....
٢٤٠	الاستفهامات الدلالية غيرالصريحة في سورة الأعراف.....
٢٥٧	الاستفهامات الدلالية غيرالصريحة في سورة التوبة.....
٢٦٥	جدول المعاني الدلالية غير الصريحة لأدوات الاستفهام في سورة البقرة.....
٢٦٨	الآيات الاستفهامية الدلالية غير الصريحة في سورة آل عمران.....

فهرس الاستفهامات الدلالية غير الصريحة في سورة النساء	٢٧١
فهرس الاستفهامات الدلالية غير الصريحة في سورة المائدة	٢٧٣
فهرس الاستفهامات الدلالية الواردة غير الصريحة في سورة الأنعام	٢٧٤
فهرس الاستفهامات الدلالية غير الصريحة في سورة الأعراف	٢٧٧
الباب الثالث	٢٨١
ترجيحات بن عطية الأندلسي في تفسيره "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"	٢٨١
الفصل الأول: ترجيحات ابن عطية في المعاني اللغوية الصريحة	٢٨١
مدخل:	٢٨٢
غايتها:	٢٨٣
الاستفهامات المرجحة عند ابن عطية رحمه الله في سورة البقرة	٢٨٤
الخاتمة	٣١٣
النتائج:	٣١٤
التوصيات:	٣١٥
قائمة المصادر والمراجع:	٣١٦
فهرس المحتويات	٣٢٩